جامعة الأزهر
كلية أصول الدين بالقاهرة
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

الحركة التجارية في الإسلام

ودورها في نشر الدعوة الإسلامية

(قارة إفريقيا نموذجاً)

إعداد
الدكتور / محمد عباس عبد الرحمن المغنى
مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية
بكلية أصول الدين ـ القاهرة

١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م

ملخص البحث:
يتحدث هذا البحث عن وسيلة من أهم وسائل انتشار الإسلام بالطرق السلمية وهي وسيلة التجارة ودور التجار المسلمين في نشر الإسلام، حيث يتناول البحث الحركة التجارية فى الإسلام ودورها فى نشر الدعوة الإسلامية لإبراز مكانتها، وضوابطها، وآثارها فى نشر الإسلام.
وقد تعرض البحث بالشرح والتحليل لمفهوم الحركة التجارية لغة واصطلاحاً، ومكانة الحركة التجارية وأهميتها في الإسلام، وضوابط الحركة التجارية في الإسلام،وأثر الحركة التجارية في نشر الدعوة الإسلامية.
وقد خلصت الدراسة للنتائج التالية:
أولا: أن الحركة التجارية هي إحدى أوجه النشاط الاقتصادي في الإسلام، وهى تشمل البيع بمختلف صوره، والشركة بجميع أنواعها
ثانيا: أن للحركة التجارية فى الإسلام مكانة عظيمة ، ومنزلة رفيعة ، فهي مهنة شريفة ، اشتغل بها النبيون والمرسلون- عليهم السلام-.
ثالثا: وضع الإسلام مجموعة من المبادئ والضوابط لضبط حركة التجارة ، وهي تدخل ضمن النظام الاقتصادي الإسلامي العام.
رابعا: أصبح من الثوابت التاريخية أن الإسلام انتشر في مشارق الأرض ومغاربها بعدة طرق من أهمها ما قام به التجار المسلمون
الكلمات الدلالية: (الحركة التجارية- نشر الدعوة- قارة إفريقيا)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علي سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلي آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلي يوم البعث العظيم وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد ،،،

فقد شاءت إرادة الله أن تكون الدعوة الإسلامية خاتمة الرسالات الإلهية ، ورسولها سيدنا محمد(ﷺ) هو خاتم الأنبياء والمرسلين قال تعالى: (مَا كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَلكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخاتَمَ النَّبِيِّينَ) (١).

ولما كانت رسالة الإسلام كذلك ؛ فقد كفل الله لها الصلاحية ، والشمول ، وأتاح لها فرصة التطبيق العملي في حياة الداعية الأول محمد(ﷺ) الذي طبق المبادئ ، وأكمل الدين قال تعالي :(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً) (٢).

وقد بلغ النبي (ﷺ) الدعوة الإسلامية علي أكمل وجه للناس عامة ؛ انطلاقًا من أمر الله له بالبلاغ ، ومن عموم رسالته (ﷺ) ، وقد سلك النبي (ﷺ) في سبيل تبليغ الدعوة الإسلامية كافة الوسائل المتاحة . ولاشك أن أتباع النبي (ﷺ) من المسلمين مطالبون بتبليغ هذه الرسالة إلي الناس جميعاً بعد وفاته (ﷺ) ، فهم المسؤلون عن نشر الإسلام في العالم كله بالطرق السلمية ؛ إلا إذا عاق الدعوة عائق ، أو ظهر الاعتداء علي الإسلام والمسلمين . وقد فهم المسلمون الأوائل هذا الواجب العظيم فانطلقوا يبلغون الدعوة الإسلامية بكافة الطرق السلمية ، لا طمعاً في مال ، ولا طلباً لجاه ، أو سلطان ، ولا رغبة في التوسع ، إنما طلباً لسيادة الحق ، والعدل ، والخير في المجتمع البشري .

ولقد كثرت الكتابات والأبحاث حول أسباب انتشار الدعوة الإسلامية قديمًا وحديثًا ، وركز معظمها علي الفتوحات الإسلامية انبهارًا بعظمتها ؛ حيث امتدت الرقعة الإسلامية لدولة الإسلام في فترة لا تتجاوز المائة عام من المحيط الأطلنطي غربًا ، حتي حدود الصين شرقاً ، وازدهرت تلك البلاد التي فتحها المسلمون ازدهارًا عظيمًا ،وهذا ما جعل الكُتَّاب والباحثين يركزون علي هذه الوسيلة من وسائل انتشار الإسلام بحثاً عن أسبابها ، وملابساتها ، وتاريخها ، ونتائجها ، مما أدي لإهمال جانب كبير من جوانب نشر الدعوة الإسلامية وهو (وسائل نشر الدعوة الإسلامية بالطرق السليمة) . وقد اتخذ أعداء الإسلام من وسيلة نشر الإسلام عن طريق الفتوحات الإسلامية فرصة لاتهام الإسلام بأنه انتشر بحد السيف ، وأنه لولا القوة لما كان للإسلام هذا الازدهار والانتشار ، وعلى حد زعمهم (فقد كان المسلمون يحملون القرآن في يد والسيف في يد أخري في سبيل نشر الإسلام) (٣).إلي آخر تلك الاتهامات الظالمة والحاقدة .

والناظر لتاريخ الإسلام يري أن حركة الفتح الإسلامي التي امتدت شرقاً وغرباً كانت ذا أثر ضئيل في نشر الإسلام ؛ إذ أن الإسلام لم ينتشر بعد هذه الفتوحات إلا بقرون عديدة ، وخير شاهد علي ذلك أن حركة الفتح الإسلامي لمصر، والمغرب ، وغرب إفريقيا وشرقها لم تتمخض عن انتشار الإسلام بشكل واسع ، مما يؤكد علي حقيقة أن الإسلام لم ينشر بحد السيف كما يزعم المشرقون الحاقدون علي الإسلام وأهله ؛ بل انتشر الإسلام بمبادئه السمحة ، وأخلاق رجاله المسلمين ، الذين حملوا مبادىء الإسلام وأخلاقه في سلوكياتهم ، ومعاملاتهم مع غير المسلمين مما كان سببًا في اعتناق الكثير منهم للدين الإسلامي والدخول تحت لوائه .

ومن هنا فقد استعنت بالله تعالي وبعد استشارة ثُلة من أساتذة الدعوة الإسلامية ـ حول موضوع هذا البحث ـ وعلى رأسهم أ. د / حسن عبدالرؤوف البدوي (عضو اللجنة العلمية لترقية الأساتذة بجامعة الأزهر) والذي زكى هذا الاختيار وباركه ، فقمت بالكتابة في هذا البحث الذي يتحدث عن وسيلة من أهم وسائل انتشار الإسلام بالطرق السلمية وهي وسيلة التجارة ودور التجار المسلمين في نشر الإسلام وذلك تحت عنوانه :

الحركة التجارية في الإسلام ودورها في نشر الدعوة الإسلامية

(قارة إفريقيا نموذجاً)

---

(١) سورة الأحزاب : الآية : ٤٠ .

(٢) سورة المائدة : الآية : ٢ .

(٣) راجع فى ذلك: كتاب الدولة الأموية والمعارضة ـ المستشرق / فان فلوتن ـ صـ٧٥ ـ ت د/ إبراهيم بيضون طبعة ببيروت ـ ط ثانية ـ عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.. وتاريخ مسلمي أسبانيا ـ المستشرق / دوزي ـ ج١ ص ١٩ ت د/ حسن حبشي ـ طبعة دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٣م.

وليس من هدف هذا البحث الوقوف على انتشار الإسلام في كافة أرجاء قارات العالم الست ([1]) بصورة وافية ، لما فى ذلك من الإسهاب الذي لا يتحمله مثل هذا البحث ، إنما هي إشارات لأهم الأقطار الكبرى لنرى كيف وصلتها الدعوة الإسلامية ، وكيف انتقلت منها إلى غيرها ، معتمداً فى ذلك على قارات العالم القديم : (إفريقيا ، وآسيا ، وأوروبا) ([2]) وسوف تكون هذه الدراسة حول القارة الإفريقية ، فقد ساهمت الحركة التجارية الإسلامية فى نشر الإسلام فى معظم جهات القارة الإفريقية ، وكان للتجار المسلمين دورهم البارز في نقل الإسلام من الشمال الإفريقي ثم إلى وسط وشرق وجنوب إفريقيا .

ولا أتطرق لقارات العالم الجديد (استراليا ، وأمريكا الشمالية ، وأمريكا الجنوبية) وذلك لأن تأثير الحركة التجارية فى نقل الإسلام لهذه القارات الجديدة كان طفيفاً ، وذلك لتغير الأحوال والظروف السياسية ، والاقتصادية ، وإن وجدت طُرقاً سلمية لنشر الإسلام فى هذه القارات مثل (حركة الهجرة الإسلامية ، والأقليات المسلمة) وغيرها من الوسائل التى تحتاج لدراسات علمية لبيان دورها وليس هنا مجال ذلك .

راجياً بهذا العمل ثواب الله تعالي ، وأن أشارك بهذا الجهد المتواضع إسهاماً فى ميدان الدعوة الإسلامية كتابةً وتأليفًا ؛ لإرشاد السالكين ، وتمكينهم من الدعوة إلى الله على بصيرة .

☒ **أهمية الموضوع :**

ترجع أهمية هذا الموضوع لما له من تعلق وثيق بمجال تخصصي في الدعوة الإسلامية وذلك من ناحيتين :

❖ الأولي : الناحية النظرية : وهي المبادئ والضوابط التي وضعها الإسلام لضبط حركة التجار المسلمين وهي تدخل ضمن النظام الاقتصادي الإسلامي العام ، إذ أن ضوابط التجارة والسوق ، وما يتعلق بذلك هي جزء لا يتجزأ من النظام الاقتصادي في الإسلام ، وهذا ما سميته (بالحركة التجارية في الإسلام) فمن خصائص الإسلام أنه شامل ، ومن مظاهر شموله : شمول أحكامه الخاصة بعلاقات الناس فيما بينهم بيعاً وشراءً وقضاءً واقتضاءً ، والتي تُكوِن كل مجموعة منها نظامًا خاصًا في موضوع خاص ومن أهم هذه الأنظمة النظام الاقتصادي في الإسلام وهو عبارة عن قواعد وأحكام تنظم النشاط الاقتصادي للأفراد ، والتي تنبع وتتفق مع الأحكام والخصائص العامة للإسلام .

❖ الثانية : وهي الناحية التطبيقية العملية : والتى تتمثل في إبراز جانب من الجهود التي قام بها التجار المسلمين في نشر الدعوة الإسلامية في شتي الأماكن، وهي داخلة ضمن إطار مفهوم الدعوة الإسلامية بلاغاً ونشراً وهي إحدى شقي الدعوة إلي الله تعالي كما هو مقرر عند علماء الدعوة .وبهذا تظهر العلاقة الوثيقة بين قضية البحث المطروحة للدراسة وتخصص الباحث الدقيق في مجال الدعوة الإسلامية .

☒ **أسباب اختيار الموضوع :**

إضافة لما سبق ذكره من أسباب ضمنية دفعتني للكتابة حول هذا الموضوع فهناك جملة من الأسباب الأخرى أبرزها ما يلى :-

١) أهمية هذا الموضوع وكونه جديراً بالبحث والدراسة وبذل الجهد لتجليته ، وإماطة اللثام عن وجه الإسلام المُشرِق من ناحية انتشاره ، وبيان موقعه بين الأديان الأخري .

٢) إغفال الكثير من المصادر والمراجع الدعوية لحركة التجارة الإسلامية وبيان دورها الفعال في نشر الإسلام فأردت أن أنقب عنها .

٣) أن حركة التجارة الإسلامية تُعدُ إحدي الوسائل الدعوية التي عملت علي نشر الإسلام بالطريق السلمي في الكثير من البلاد التي لم تدخلها الجيوش الإسلامية ، ولا يخفي ما في تجلية هذا الأمر من رد عملى مقنع لأولئك الحاقدين من المستشرقين ، وأعداء الإسلام الذين يزعمون أن الإسلام انتشر بحد السيف .

٤) كما يُعد الوقوف علي حقيقة انتشار الإسلام بالطُرق السِلمية خاصة وسيلة التجارة فتحاً لباب الأمل أمام بعض الدعاة الذين يُصابون باليأس أحياناً أمام تيارات الفساد والكفر والإلحاد التي تملك الإمكانات المادية والمعنوية ، في حين لا يملك الدعاة إلا إمكانات محدودة فكيف تصل الدعوة إلي العالم شرقاً وغرباً .

☒ **منهج البحث :** يعتمد هذا البحث علي منهجين أساسين :

([1]) لا تتفق المراجع العلمية على اعتبار أن قارات العالم ستاً ، فهناك من يعدها خمساً باعتبار أن الأمريكتين قارة واحدة .

([2]) وذلك لأن هذه الدراسة ستكون بمشيئة الله تعالى حول القارة الإفريقية ، على أمل فى أن تُجرى دراسات أخرى حول قارتى آسيا وأوروبا إن شاء الله تعالى.

أولهما المنهج الوصفي : وذلك في الجزء الأول من هذه الدراسة الخاص بالحركة التجارية في الإسلام ، حيث يقوم علي توصيف الآداب المتعلقة بهذا الجانب ، والضوابط التي وضعها الإسلام لذلك .

وثانيها المنهج التاريخي : والذي أعتمد عليه في الجزء التاني من البحث ؛ لأقوم برصد حركة التجار المسلمين فى العالم ، ولأقدم النماذج المُثلي في هذه الناحية المهمة .

☒ **الدراسات السابقة :** من الدراسات السابقة فى موضوع البحث ، والتى عول عليها معظم الباحثين الذين كتبوا حول هذا الموضوع ما يلى :

١) كتاب : (الدعوة إلى الإسلام : بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية) كتبه باللغة الإنجليزية المستشرق / سير توماس . و. آرنولد (1864 م-١٩٣٠م) .ترجمة وتعليق : د .حسن إبراهيم حسن د. عبد المجيد عابدين د. إسماعيل النحراوي. الناشر: مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة : ١٩٧١م.
٢) انتشار الإسلام بالطريق السلمي ـ د/ محمد فاوي عسر ، سلسلة دراسات في الإسلام ـ يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة ـ عدد ١١٢ ـ السنة (١٠) ـ رجب ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
٣) انتشار الإسلام فى القارة الإفريقية ـ د/ حسن إبراهيم حسن ـ طبعة مكتبة النهضة القاهرة ١٩٦٣ م .
٤) المجتمعات الإسلامية ماضيها وحاضرها، د/ إبراهيم أحمد العدوى، طبعة عام ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

علاقة البحث بهذه الدراسات : لقد أفاد البحث كثيراً من هذه الدراسات السابقة ، إلا أن هذه الدراسات كان لها وجهات مختلفة ومتعددة ، ولهذا البحث وجهته ، وفيما يلى بيان لأوجه الاتفاق والاختلاف بين هذه الأبحاث والبحث الذى نحن بصدده ، ويتضح ذلك مما يلى :

فكتاب (الدعوة إلى الإسلام) للمستشرق / توماس . و. آرنولد والذى يعد المرجع الأساس ، فالموضوع الأساس للكتاب هو: قضية انتشار الإسلام عبر التاريخ بدءاً من الداعية الأول رسول الإسلام محمد ـ ﷺ ـ ، مروراً بانتشاره أيام الخلافة الراشدة وما بعدها من فترات الفتوحات الإسلامية ، مركزاً فيه على قضية التسامح الديني الإسلامي في تمدده وانتشاره في الجزيرة العربية وخارجها. وقد أُجريت دراسات نقدية كثيرة حول هذا الكتاب منها المادح ، ومنها القادح ([1])، فمع وجود كثير من الإنصاف والعدل في هذا الكتاب ، إلا أنه لم يسلم من النقد والملاحظات ومن المآخذ على هذا الكتاب بإيجاز:

١) إن الباحث يشم من كلام آرنولد عن التسامح الديني في الانتشار الإسلامي رائحة إماتة الروح الجهادية عند المسلمين ، فقد غض الطرف عن آيات الجهاد مبرهناً بزعمه على أن الإسلام لم ينتشر بالسيف ، وإنما انتشر بالدعوة السلمية المتبرئة من كل قوة .
٢) التمجيد والتفخيم لكتابات المستشرقين ، والاعتماد عليها كمصدر من مصادر الدليل ، فقد اعتمد كثيراً على كتابات المستشرقين ورجع إليهم في كل ما أشكل عليه فهمه، كما صرح بذلك في تقديمه لكتابه ، ويحاول أن يضفي على بعض المراجع الاستشراقية نوعاً من الهالة والتضخيم كدعاية وتسويق للمؤلفات الاستشراقية في الدراسات العربية ،ومن خلال الاستقراء لمراجعه ومصادره فى كتابه يتأكد لدينا هذه الوجهة ، فغالب المراجع أجنبية استشراقية ، ونظرة عابرة لحواشي كتابه تعزز هذه القول.
٣) إسقاط المصطلحات الغربية على التاريخ الإسلامي كمصطلح (القومية) الذى يتنافى مع عالمية الدين الإسلامى ، فضلاً عما يثيره من جدل بين المسلمين من ناحية جواز استعماله والأخذ بمضمونها.
٤) الزعم بأن الرسول ـ ﷺ ـ تحمل مشاق الدعوة مكرها بعد صراع نفسي ، ولم يكن عن قناعة سابقة ، وفي ذلك يقول آرنولد في سياق حديثه عن حياة محمد باعتباره داعية إلى الإسلام في الباب الثاني- : " ولما اقتنع محمد آخر الأمر، بعد قلق ونزاع نفسي طويل بأنه مكلف بحمل رسالة دينية من قِبل الله، وجه أول جهوده إلى إقناع قومه بصدق الدين الجديد .
٥) الزعم بأن الإسلام انتشر ببطء شديد في البلاد المسيحية بسبب تساهل الكنيسة وانحلالها... ويفهم من وراء ذلك ، أن هذا الانتشار البطيء لم يكن لولا ذلك التقاعس والتساهل .. وكأن الإسلام ليس له من عناصر القوة والتأثير ما يمكنه من الانتشار سواء تساهلت الكنيسة أم لم تتساهل.

([1]) هناك دراسات وأبحاث عن توماس آرنولد وكتابه " الدعوة إلى الإسلام " ، منها : "دراسة نقدية لكتاب : الدعوة إلى الإسلام " عبارة عن رسالة ماجستير في الدعوة من المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة للباحث محمود حمزة عزوني ، تحت إشراف : الدكتور : إبراهيم عكاشة . ومنهج المستشرق توماس آرنولد في كتابه الدعوة إلى الإسلام : عرض ونقد ـ ضمن أبحاث وأنشطة مقرر: مناهج الاستشراق والمستشرقين على طلاب الدراسات العليا ـ عقيدة ـ كلية التربية ـ جامعة الملك سعود، الدكتور: خالد بن عبد الله القاسم.

هذه هى بعض المآخذ العلمية على كتاب توماس أرنولد ، وهى لا تمنع من الاستفادة بالكتاب أو النقل عنه مع أخذ الحيطة والحذر ، فقد استفدت منه كثيراً ، ونبهتُ إلى بعض أخطائه فى ثنايا هذ البحث .

أما كتاب انتشار الإسلام بالطريق السلمي ـ د/ محمد فاوي عسر ، فهو صورة مصغرة وموجزة لكتاب (الدعوة إلى الإسلام) للمستشرق / توماس آرنولد ، وقد تناول مجموعة من الطرق السلمية فى نشر الإسلام كالتجار ، والطرق الصوفية ....إلخ .

أما كتاب انتشار الإسلام فى القارة الإفريقية ـ د/ حسن إبراهيم حسن ، فهو مرجع عربى أصيل فى هذا المجال ، رجع إليه معظم من كتب عن الإسلام فى إفريقيا ، وهو خاص بالحديث عن انتشار الإسلام فى القارة الإفريقية دون سواها ، وقد اعتمد فى ذلك على المنهج التاريخى الذى من خلاله يقوم على رصد الوقائع والأحداث التاريخية .

أما كتاب المجتمعات الإسلامية ماضيها وحاضرها، د/ إبراهيم أحمد العدوى ، فهو عبارة عن عرض تاريخى موجز لانتشار الإسلام فى العالم بشتى الطرق والوسائل ، السلمية وغير السلمية ، كالفتوحات الإسلامية والطرق الصوفية والتجار ...إلخ

أما هذا البحث : فهو محاولة علمية للحديث عن إحدى وسائل نشر الإسلام بالطرق السلمية ، وهى وسيلة (الحركة التجارية فى الإسلام) ، لبيان مفهومها ، ومكانتها فى الإسلام ، وضوابطها ، وما يتعلق بذلك ضمن إطار المنهج الإسلامى العام ، فى ضوء النصوص الإسلامية ، ومتابعة سلوك التجار المسلمين ، مع إعطاء صورة واضحة عن دور التجار المسلمين فى نشر الدعوة الإسلامية فى معظم الجهات الكبرى لقارات العالم القديم كنماذج وأنماط ، للدلالة على ما سواها من أقطار العالم ، مبرزاً فى ذلك كله الوسائل ، والأساليب التى اتبعها التجار المسلمون فى نشر الإسلام فى المشارق والمغارب ، والآثار المباركة التى ترتبت على الحركة التجارية فى الإسلام داخل الجزيرة العربية وخارجها .

☒ **تقسيم البحث و خطته :** وقد جاء هذا البحث في مقدمة منهجية وأربعة مباحث وخاتمة .

أما المقدمة فبها : أهمية البحث، وأسباب اختياره، ومنهجه ، والدراسات السابقة ، وخطته وهي كما يلي :-

المبحث الأول : **مفهوم الحركة التجارية لغة واصطلاحاً** .

المطلب الأول : المفهوم اللغوي للحركة التجارية .

المطلب الثاني : المفهوم الاصطلاحي للحركة التجارية

المبحث الثاني : **مكانة الحركة التجارية وأهميتها في الإسلام** .

المطلب الأول : أهمية الحركة التجارية ومكانتها فى القرآن الكريم .

المطلب الثاني : أهمية الحركة التجارية ومكانتها في ضوء السنة النبوية .

المبحث الثالث : **ضوابط الحركة التجارية في الإسلام** .

المطلب الأول : ضوابط الحركة التجارية المتعلقة بالتاجر

المطلب الثاني : ضوابط الحركة التجارية المتعلقة بالتجارة .

المبحث الرابع : **آثر الحركة التجارية في نشر الدعوة الإسلامية**

المطلب الأول : أثر الحركة التجارية في نشر الدعوة الإسلامية داخلياً

المطلب الثانى :أثر الحركة التجارية في نشر الدعوة الإسلامية خارجياً (قارة إفريقيا نموذجاً)

الخاتمة : وتشتمل على : نتائج البحث ، والتوصيات ، والمراجع .

وأخيراً : أسأل الله تعالى التوفيق والنجاح والسداد والقبول لهذا البحث فى الأرض وفى السماء وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

د/ محمد عباس عبدالرحمن المغنى

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين . القاهرة

المبحث الأول : مفهوم الحركة التجارية لغة واصطلاحاً .

يستهدف هذا المبحث التعريف بمصطلح (الحركة التجارية) ، ويتكون هذا المصطلح من كلمتين هما : (الحركة ، والتجارية) وهذا يتطلب تجلية مفهوم الكلمتين ثم الربط بينهما لنخرج بالمعنى الذى نقصده فى هذا البحث ، وذلك فى مطلبين على النحو التالى :

المطلب الأول : المفهوم اللغوي والاصطلاحى للحركة .

أ : الحركة فى اللغة :

جاء فى المصباح المنير : " الحركة خلاف السكون يقال (حرك) (حركا) و(الحركة) واحدة منه والأمر منه (احرك) بالضم و (حركته) (فتحرك) و (الحاركان) ملتقى الكتفين " ([1]) وتقول : " حَرَكَ الشيءُ يحرُك حَرَكاً وحَرَكَة وكذلك يتحرَّك وتقول : قد أعْيا فما به حَراكٌ . قال . وتقول : حركْت مَحْركَه بالسيف حَرْكا ، والمَحْرَك : مُنتهى العُنُقِ عند مِفْصل الرّأس . وحَرِكَ إذا عُنَّ عن النِّساء . والحَرِيكُ : العِنِّين . قال الفرّاء : والمُحَرِّكُ : المُقَلِّب "([2]) .

ويستفاد من هذا أن أصل هذه الكلمة يرجع إلى مادة (ح ر ك) بفتح الحاء والراء والكاف،وهى بخلاف كسر الراء التى تعنى مرض العنة فى الرجال وهى تطلق على معنيين هما :

١) أن الحركة تعنى الاهتزاز وعدم الثبات من إطلاق الحارك على الكتف لشدة تحركه .
٢) أن الحركة تطلق ويراد بها الانتقال من مكان إلى آخر وهى ضد السكون. وهذا المعنى هو المراد هنا .

ب : الحركة فى الاصطلاح :

وللحركة فى الاصطلاح معانى متعددة أختار منها ما يلى :" الحركة في الكم انتقال الجسم من كمية إلى أخرى كالنمو والذبول ولا تكون إلا للجسم . الحركة في الكيف كتسخين الماء وبرودته وتسمى حركة استحالة . . الحركة العرضية ما يكون عروضها للجسم بواسطة عروضها لآخر بالحقيقة كجالس السفينة . الحركة الذاتية ما يكون عروضها لذات الجسم نفسه. الحركة القسرية ما يكون مبدؤها بسبب ميل مستفاد من خارج كحجر مرمي إلى فوق . الحركة الإرادية ما لا يكون مبدؤها بسبب أمر خارج مقارن للشعور والإرادة كحركة الحيوان بإرادته . الحركة الطبيعية ما لا يحصل بسبب أمر خارج وليس بشعور وإرادة كحركة الحجر إلى السفل " . ([3])

ومن هذا البيان يظهر لك أن الحركة ليست منحصرة في معنى واحد ، إنما لها معاني مختلفة ، لكنها فى العرف العام تعنى: الانتقال من مكان إلى مكان آخر ، والمعنى المراد من هذه المعانى السابقة هو الحركة الإرادية ، وهى الحركة التى لها دوافع معلومة وهى ما يسميها علماء النفس بالسلوك المدفوع والذى يتميز به الإنسان عن الحيوان ، وهى تقابل الحركة الاضطرارية الفطرية بدافع فطرى ، والحركة القسرية التى لا داخل للشىء المحرك فيها كحركة الحجر .

المطلب الثاني : المفهوم اللغوى و الاصطلاحي لكلمة التجارية :

أ : التجارية فى اللغة :

يعود أصل هذه الكلمة إلى مادة (ت ج ر) فالعرب تقول : " التَّجْرُ : وهم جَماعة التجار ، وقد تَجَرَ يَتْجَرُ تِجارَة ، وأرض مَتْجَرَةٌ : يُتْجَرُ إليها ... تقول العرب : إنه لتاجر بذلك الأمر ، أي حاذق به ، ويقال : رَبِحَ فلان في تجارته ، إذا أَفْضَلَ ، وأربح ، إذا صادف سُوقاً ذاتَ رِبحْ . ([4]) . وفى لسان العرب " تَجَرَ يَتْجُرُ تَجْراً وتِجَارَةً باع وشرى وكذلك اتَّجَرَ وهو افْتَعَل وقد غلب على الخَمَّار ... ورجلٌ تاجِرٌ والجمع تِجارٌ بالكسر والتخفيف وتُجَّارٌ وتَجْرٌ مثل صاحب وصَحْبٍ. " ([5]) .

وفى المعجم الوسيط : "(تجر) تجرا وتجارة مارس البيع و الشراء و يقال تجر في كذا (تاجر) فلان فلانا اتجر معه (اتجر) تجر (التاجر) الشخص الذي يمارس الأعمال التجارية على وجه الاحتراف بشرط أن

([1]) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ج ١ ص١٣٠ ـ الفيومي ـ طبعة ونشر المكتبة العلمية بيروت.
([2]) تهذيب اللغة ـ أبو منصور الأزهري ـ ج٤ ص ٦٠ ـ الناشر دار إحياء التراث العربي ـ سنة ٢٠٠١م ـ بيروت .
([3]) التوقيف على مهمات التعاريف ـ المناوي ـ ص٢٧٥ ـ طبعة دار الفكر المعاصر بيروت ، دمشق ـ سنة ١٤١٠هـ .
([4]) تهذيب اللغة ـ أبو منصور الأزهري ـ ج١١ ص ٥ .
([5]). لسان العرب ـ ابن منظور ـ ج٤ ص ٧٩ ـ الناشر : دار صادر – بيروت ـ الطبعة الأولى.

تكون له أهلية الاشتغال بالتجارة (ج) تجر وتجار وتجار (التجارة) ما يتجر فيه ، و تقليب المال لغرض الربح ، (المتجر) مكان التجارة " .([1]) .

وبناءً على ما سبق فالتّجارة في الأصل : مصدر دالّ على المهنة ، وفعله تجر يتجر تجراً وتجارةً ، والقائم بالفعل تاجر ، والجمع تجار ، والفعل نفسه تجارة وهي تقليب المال بالبيع والشّراء ، وما يترتب عليه من ربح أو كساد .

ب : التجارية فى الاصطلاح :

والمفهوم الاصطلاحى للتجارة قريب جداً من المعنى اللغوى ، ويكاد يتفق معه تمام الاتفاق ، ونقف هنا على أهم هذه التعريفات :

يقول الإمام الرازى [2] ـ رحمه الله ـ فى تفسيره لآية (الدَّيْنْ) بسورة البقرة مُعرفًا التجارة بأنها : " عبارة عن التصرف في المال سواء أكان حاضراً أم في الذمة لطلب الربح " ([3]) .

والتجارة عند الإمام القرطبى[4] : " هي البيع والشراء" ([5]) .

وعرفها الجرجانى بقوله : " التجارة عبارة عن شراء شيء ليباع بالربح " ([6])

وعرف العلامة ابن خلدون [7] التجارة بأنها : " محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أياما كانت السلعة من دقيق ، أو زرع ، أو حيوان ، أو قماش ، وذلك القدر النامي يسمى ربحاً فالمحاول لذلك الربح إما أن يختزن السلعة ويتحين بها حوالة الأسواق من الرخص إلى الغلاء فيعظم ربحه، وإما بأن ينقله إلى بلد آخر تنفق فيه تلك السلعة أكثر من بلده الذي اشتراها فيه فيعظم ربحه ، ولذلك قال بعض الشيوخ من التجار لطلب الكشف عن حقيقة التجارة أنا أعلمها لك في كلمتين اشتراء الرخيص وبيع الغالي ، فقد حصلت التجارة إشارة منه بذلك إلى المعنى الذي قررناه والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لا رب سواه " ([8]).

وخلاصة ما ذكره ابن خلدون أن الحركة التجارية ما هى إلا (شراء بالرخيص وبيع بالغالى) " وهذا هو مفهوم التجارة وحقيقتها فى اعتبار الباحثين من فقهاء الإسلام وعلمائه ، ولا نحسبها إلا هي هي بمفهومها وحقيقتها فى اعتبار الدارسين والباحثين من المتأخرين ، وعلماء الاقتصاد الحديث ، لا منازعة فى الألفاظ والعبارات بعد وحدة المعاني والمفاهيم " ([9]).

فالتجارة فى اصطلاح الاقتصاديين وأهل القانون لا تختلف كثيراً عما ذكره علماء الإسلام فهى : " القيام بالمعاملات بين الأفراد والأمم بطُرق المقايضة أو النقود " ([10]).

وعرفت المادة الأولى من القانون التجاري التاجر بأنه : " كل من اشتغل بالمعاملات التجارية واتخذها حرفة معتادة له " ([11]). واشترطوا فيمن يُطلق عليه صفة التاجر أربعة شروط : ـ

([1]). المعجم الوسيط ـ إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات ـ ص ٨٢ ـ تحقيق مجمع اللغة العربية ـ الناشر دار الدعوة.

([2]) الفخر الرازي : (٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ = ١١٥٠ ـ ١٢١٠ م) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري ، أبو عبد الله ، فخر الدين الرازي : الإمام المفسر أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، وهو قرشي النسب . أصله من طبرستان ، ومولده في الري، من كتبه (مفاتيح الغيب). الأعلام – الزركلي ـ ج٦ صـ ٤٤٣ طبعة دار العلم للملايين ـ الطبعة (١٥) / مايو ٢٠٠٢ م .

([3]) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ـ الرازي ـ ج٧ ص ١٠٣ـ الناشر دار الكتب العلمية ـ سنة ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م بيروت

([4]) القرطبي : (ـ ٦٧١ هـ = ـ ١٢٧٣ م)محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجى الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي من كبار المفسرين.صالح متعبد.من أهل قرطبة.رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها.من كتبه" الجامع " و" التذكرة "وكان ورعاً متعبداً، طارحاً للتكلف.الأعلام الزركلى ج٥ صـ٣٢٢ .

([5]) الجامع لأحكام القرآن ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ـ ج ٥ ص ١٥١ ـ طبعة دار الشعب ـ القاهرة .

([6]) التعريفات ـ علي بن محمد بن علي الجرجاني ـ ج١ ص ٧٣ ـ الناشر دار الكتاب العربي ـ سنة ١٤٠٥ هـ بيروت.

([7]) ابن خلدون: (٧٣٢ ـ ٨٠٨ ه = ١٣٣٢ ـ ١٤٠٦ م) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الاشبيلي، من ولد وائل بن حجر:الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي.من كتبه العبر، المقدمة. الأعلام ـ الزر كلى ـ ج٣ صـ٣٣٠.

([8]) مقدمة ابن خلدون ـ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ـ ج١ ص ٣٩٤طبعة دار القلم ـ سنة ١٩٨٤م ـ بيروت.

([9]) التجارة فى ضوء القرآن والسنة ـ د/ عبدالغنى الراجحى ـ ص ١٥ ، ١٦ ـ ط مطابع شركة الإعلانات الشرقية .

([10]) انظر : مبادىء التجارة ـ عبدالحميد محمود السنباطى ، ومجلى روفائيل عطية ص ٦ ـ طبعة مطابع الأخبار ـ الجهاز المركزى للكتب الجامعية والوسائل التعليمية .

([11]) الأعمال التجارية والتاجر ـ د/ حسين النورى ـ ص ٧٠ ، ٧١ ـ طبعة دار الجيل للطباعة والنشر ـ مكتبة عين شمس .

١) الاشتغال بالأعمال التجارية .
٢) واحتراف الاشتغال بها .
٣) وأن يعمل باسمه ولحسابه .
٤) وأن تتوفر لديه الأهلية التجارية . ([1])

ومن خلال العرض السابق يتضح أن :

مفهوم التجارة عند علماء المسلمين ، والاقتصاديين وأهل القانون قريب الصلة بالمفهوم اللغوي ومتفق معه تمام الاتفاق فهى تعنى تداول المال بيعاً وشراءً بغرض الربح فإذا ما أضفنا إلى كلمة التجارة (الحركة) أضافت معنىً جديدًا ، فكلمة الحركة لا يظهر معناها إلا إذا أُضيفت لشىء آخر فإذا قلنا (الحركة الاستشراقية) فنعنى بها الحركة التى قام بها المستشرقون فى العالم . وإذا قلنا (الحركة التبشيرية) نعنى بها الحركة التى قام بها المبشرون . وإذا قلنا (الحركة التجارية فى الإسلام) فنعنى بها الحركة والجهود التى قام بها التجار المسلمون بيعاً وشراءً ، أخذاً وعطاءً ، داخلياً وخارجياً ، ومن خلالها نشروا الإسلام فى العالم .

وحركة التجارة الإسلامية هى ما يُطلق عليه بلغة العصر (العلاقات التجارية بين الدول) ، وقد كان لهذه العلاقات دورها في نشر الدعوة الإسلامية سواء أكانت هذه العلاقات التجارية علاقات فردية ، أم جماعية ، ومع أن المصادر التي بين أيدينا تغفل أثر هذه الوسيلة في نشر الدعوة الإسلامية ، إلا أنها في الحقيقة وسيلة لا يمكن إغفالها ، لما لحركة التجارة الإسلامية من دور كبير في نشر الإسلام سلميًا في بلاد لم تدخلها جيوش المسلمين ، فقد انتشر الإسلام في كثير من بقاع الأرض بفضل التجار المسلمين المخلصين الصادقين ، بحيث صار بعض هذه المناطق تُشكّل اليوم الثقل البشري للأمة الإسلامية ، في جنوب غرب آسيا ، وفي إندونيسيا ، وباكستان ، وبنغلادش ، والهند ، وماليزيا ، وسنغافورة. وغيرها من المناطق سواء في آسيا أم إفريقيا كما سنعرض لذلك فى هذا البحث فى حينه إن شاء الله .

([1]) راجع : الأعمال التجارية والتاجر ـ د/ حسين النورى ـ ص ٧٠ ، ٧١ .

المبحث الثاني : مكانة الحركة التجارية وأهميتها في الإسلام

يقوم هذا المبحث على بيان أهمية الحركة التجارية وقيمتها فى الإسلام وذلك من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول : أهمية الحركة التجارية في ضوء القرآن الكريم.

التجارة لا تكاد تخلو منها أمة من الأمم ، ولا زمان من الأزمنة ، فقد صاحبت البشرية من قديم الزمان ، وإن اختلفت طرقها وكيفيتها ؛ إذ أن تبادل المنافع من أسباب التكامل الإنساني فى هذه الحياة . وللتجارة فى الإسلام منزلة كبرى ، ومكانة سامية يدل على ذلك آيات القرآن الكريم ، فقد ذكر الله تعالىالتجارة فى ستة مواضع من كتابه العزيز (١) ولها معان متنوعة تعود فى جملتها إلى ثلاثة معان(٢) أُجملها فيما يلى:

الأول التجارة المعنوية : ويقصد بها متاجرة الإنسان مع الله تعالى ، كالمجاهدة بالنفس ، والمال ـ وهى واجبة على كل مسلم ـ وقد تكرر هذا المعنى كثيراً فى كتاب الله (٣) فى مثل قوله تعالى : (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَمَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢)) (٤) .

الثانى : التجارة الحسية : ففى مقابل التجارة المعنوية نجد التجارة الحسية والتي يُقصد بها البيع والشراء ،بين الإنسان وأخيه الإنسان وهى من المباحات وذلك فى مثل قوله تعالى: (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوا) (٥). وقوله تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ) (٦).

الثالث : ما يلتقى فيه الحسى والمعنوى : وهى تجارة الإنسان مع الشيطان ـ وهى محرمة وممنوعة شرعاً ـ لأنها تؤدى للهلاك فى الدنيا والآخرة وقد بيّن سبحانه وتعالى هذه التجارة الخاسرة وصفات أصحابها ، الذين باعوا الآخرة الباقية ، بالدنيا الفانية ، وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله (: أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَما كانُوا مُهْتَدِينَ) (٧) . والذى يعنينا من هذه الأنواع هو النوع الثانى ، وهو موضوع البحث وتتضح أهميته فى النقاط التالية :

١) فمما يدل على مكانة التجارة ، وشرفها ، وإقرار الإسلام لها ، أن هناك آيات قرآنية مباركة أشارت لعمل النبى ـ ﷺ ـ بالتجارة ، وذلك فى معرض التكذيب لرسالته ـ ﷺ ـ من المشركين ، بسبب أنه يعمل بالتجارة قال تعالى : (وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ) (٨).

٢) ومما يدل على مكانة الحركة التجارية ، وقيمتها ، أنه سبحانه وتعالى بيّن فى كتابه أن العمل بالتجارة هو سنة الأنبياء والمرسلين قبل سيدنا محمد ـ ﷺ ـ قال تعالى : (وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْواقِ وَجَعَلْنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكانَ رَبُّكَ بَصِيراً) (٩).

٣) وقد أباح الله تعالى التجارة التى أساسها ـ كما علمنا ـ البيع والشراء ودعا إليها قال تعالى : (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوا) (١٠). يقول الشيخ السعدى ـ رحمه الله ـ فى الآية : " وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ) أي : لما فيه من عموم المصلحة ، وشدة الحاجة ، وحصول الضرر بتحريمه ، وهذا أصل في حل جميع أنواع التصرفات الكسبية حتى يرد ما يدل على المنع (وَحَرَّمَ الرِّبَواْ) لما فيه من الظلم وسوء العاقبة ، والربا نوعان : ربا نسيئة ... وربا فضل ... وكلاهما محرم بالكتاب والسنة ، والإجماع " (١١).

٤) ولما أحل الله التجارة أمر سبحانه بالإشهاد على البيع فقال تعالى : (وَأَشْهِدُواْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ) (١٢).قال ابن العربى ـ رحمه الله ـ : " اختلف الناس في لفظ أفعل في قوله تعالى ({ وأشهدوا إذا تبايعتم }) على قولين أحدهما : أنه فرض قاله الضحاك ، الثاني : أنه ندب قاله الكافة ، وهو الصحيح "(١٣).

---

(١) انظر : بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ـ محمد بن يعقوب الفيروزابادى ـ ج٤ ص٢٩٥ ، ٢٩٦ ـ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ طبعة رابعة ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥م .

(٢) انظر : الإسلام والاقتصاد ـ أ / أحمد الشرباصى ـ ٧٥ ، ٧٦ ـ القاهرة ـ د ت .

(٣) انظر : سورة النور الآية ٣٧ ، وفاطر الآية ٢٩ .

(٤) سورة الصف : الآيات من ١٠ ـ ١٣ .

(٥) سورة البقرة : الآية ٢٧٥ .

(٦) سورة النساء : الآية ٢٩ .

(٧) سورة البقرة : الآية ١٦ .

(٨) سورة الفرقان : الآية : ٧ .

(٩) سورة الفرقان : الآية : ٢٠ .

(١٠) سورة البقرة : الآية ٢٧٥ .

(١١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ السعدي ـ ج١ ص ١١٧ ـ طبعة مؤسسة الرسالة ـ سنة ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م ـ بيروت.

(١٢) سورة البقرة : الآية ٢٨٢ .

(١٣) أحكام القرآن ـ أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي ـ ج١ ص ٣٤٢ ـ طبعة دار الفكر للطباعة والنشر بيروت لبنان .

٥) ونظراً لأهمية التجارة فى بناء الأمم وريادتها فقد حث الإسلام عليها ورغب فيها ، وجعل ممارستها فى إطار المنهج الإسلامي الصحيح الذى لا يبيح أكل أموال الناس بالباطل من أفضل أسباب كسب المال الحلال قال تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ) (١). قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : كأنه يقول: لا تتعاطوا الأسباب المحرمة في كتاب الأموال ، لكن المتاجر المشروعة التي تكون عن تراض من البائع والمشتري فافعلوها وتسببوا بها في تحصيل الأموال" (٢).وهذا يدل على جواز التجارة المشروعة .

٦) ولأهمية التجارة ، وعظيم منفعتها ، أباحها الله تعالى فى موسم الحج قال تعالى : (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُمْ مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ) (٣) . وقد ذكر جمع من المفسرين أن المراد بابتغاء الفضل فى الآية الكريمة هو التجارة . يقول الإمام ابن العربي ـ رحمه الله ـ : " في سبب نزولها ثبت في الصحيح عن ابن عباس ـ ﷺ ـ أنه قال : كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية فتأثموا في الإسلام أن يتجروا فيها فنزلت الآية ({ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم }) يعني في مواسم الحج ويقول القاضى أبوبكر ابن العربى ـ رحمه الله ـ : قال علماؤنا في هذا دليل على جواز التجارة في الحج للحاج مع أداء العبادة وأن القصد إلى ذلك لا يكون شركًا ، ولا يخرج به المكلف عن رسم الإخلاص المفترض عليه ، خلافا للفقراء أن الحج دون تجارة أفضل أجرًا "(٤). فدلت الآية على جواز التجارة فى أيام الحج فمن باب أولى جوازها فى بقية الأيام والمواسم .

٧) وعدَ الله تعالى التجارة من أهم أبواب تحصيل المال ودعا الناس وندبهم إليها بعد أداء أعظم شعائر الإسلام قال تعالى : (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوَاةُ فَانتَشِرُواْ فِي الأَرْضِ وَابْتَغُواْ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّواْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِماً قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَازِقِينَ) (٥) . والمراد من فضل الله هنا هو التجارة يقول الشيخ الشنقيطى ـ رحمه الله ـ : "وقوله تعالى : { فإذا قضيت الصلواة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله } أي : بالبيع والتجارة بدليل قوله قبله : { وذروا البيع } أي : فإذا انقضت صلاة الجمعة فاطلبوا الربح الذي كان محرمًا عليكم عند النداء لها . وقد قدمنا ... أن غلبة إرادة المعنى المعين في القرآن تدل على أنه المراد ؛ لأن الحمل على الغالب أولى ولا خلاف بين العلماء في أن المراد بالفضل المذكور في الآية ربح التجارة ."(٦)
.

٨) سوى الله تعالى بين المجاهدين والذين يتاجرون متحرين الكسب الطيب قال تعالى : (وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (٧) . قال القرطبى فى المسألة الثامنة فى تفسيره للأية : " سوى الله تعالى في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتسبين المال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والإحسان والإفضال ، فكان هذا دليلاً على أن كسب المال بمنزلة الجهاد ؛ لأنه جمعه مع الجهاد في سبيل الله " .(٨)

٩) وأعان الإسلام على ممارسة التجارة وذلك بأن خفف من العبادات بسببها ، وذلك بإجازة قصر الصلاة ، والفطر فى رمضان للمسافر ، سواء أكان سفره للتجارة أم غيرها من الأسفار المباحة ، ونسخ الله تعالى عن المسلمين وجوب التهجد بالليل بعد أن عملوا به سنة كاملة ، وذلك تخفيفاً عنهم لحاجتهم للأسفار فى التجارة وغيرها قال تعالى : (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٠). (٩)

---

(١) سورة النساء : الآية ٢٩ .
(٢) تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير الدمشقي أبو الفداء ـ ج١ ص ٤٨٠ ـ طبعة دار الفكر بيروت ـ سنة ١٤٠١هـ .
(٣) سورة البقرة : الآية ١٩٨ .
(٤) أحكام القرآن ـ ابن العربي ـ ج١ ص ١٩٢ ـ طبعة دار الفكر للطباعة والنشر بيروت لبنان .
(٥) سورة الجمعة : الآية ٨ .
(٦) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ـ الشنقيطي ـ ج١ ص ٨٩ ـ طبعة دار الفكر بيروت.ـ سنة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
(٧) سورة المزمل : جزء من الآية ٢٠ .
(٨) الجامع لأحكام القرآن ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ـ ج ١٩ ص ٥٥ـ دار الشعب ـ القاهرة .
(٩) سورة المزمل : جزء من الآية ٢٠ .

المطلب الثاني : أهمية الحركة التجارية في ضوء السنة النبوية :

وكما رأينا اهتمام القرآن الكريم بالتجارة ، فقد اهتمت السنة النبوية أيضًا بالتجارة قولاً وعملاً ، لبيان منزلتها ، وعظيم منفعتها ، ومما يدل على مكانتها فى السنة النبوية ما يلى :

١) من ناحية الاقتداء بصاحب السنة رأينا الداعية الأول سيدنا محمد ـ ﷺ ـ يعمل بحرفة التجارة ، وليست تجارته ـ ﷺ ـ مع خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عنها ـ قبل بعثته بخافية على أحد (١).

٢) وفى السنة نجد أن النبى ـ ﷺ ـ أقام سوقاً بالمدينة ـ بجوار المسجد (٢) ـ ورتب بنفسه أوضاعها وشئونها ، معلناً بذلك أهمية التجارة باعتبارها إحدى جوانب الاقتصاد الإسلامي . وكذا كان الكثير من الصحابة تجاراً (٣)، وقد سخروا كل أموالهم لخدمة الدعوة الإسلامية .

٣) وجعل الرسول ـ ﷺ ـ التّجارة من أفضل طرق الكسب ، وأشرفها إذا توقّى التّاجر طرق الكسب الحرام والتزم بآدابها . فعن سفيان الثوري عن وائل بن داود عن سعيد بن عمير عن عمه قال : (سئل رسول الله ـ ﷺ ـ أي الكسب أفضل قال كسب مبرور) (٤) . وعن رافع بن خديج عن أبيه قال قيل : يا رسول الله أي الكسب أطيب قال كسب الرجل بيده وكل بيع مبرور) (٥) . وقوله « وكلّ بيع مبرور »: إشارةً إلى التّجارة .يقول المناوى ـ رحمه الله ـ قوله : « وكلّ بيع مبرور »أي مقبول عند الله بأن يكون مثابا به أو في الشرع بأن لا يكون فاسدا ولا غش فيه ولا خيانة لما فيه من إيصال النفع إلى الناس بتهيئة ما يحتاجونه ونبه بالبيع على بقية العقود المقصود بها التجارة واعلم أن أصول المكاسب ثلاثة : زراعة ، وصناعة ، وتجارة . والحديث يقتضي تساوي الصناعة باليد والتجارة ، وفضل (أبو حنيفة) التجارة ، ومال (الماوردي) إلى أن الزراعة أطيب الكل ، والأصح كما اختاره (النووي) أن العمل باليد أفضل . قال : فإن كان زراعاً بيده فهو أطيب مطلقاً لجمعه بين هذه الفضيلة وفضيلة الزراعة " (٦) فدل هذا على أن التجارة من أفضل أنواع الكسب مما يدعو للاشتغال بها ، واتخاذها مهنة خاصة إذا كان صاحبها صادقاً أميناً .

٤) ومدح الرسول ـ ﷺ ـ التاجر الصدوق وجعله فى منزلة تصل لمرتبة الأنبياء والشهداء ، فعن أبي سَعِيدٍ عن النبي ـ ﷺ ـ قال:(التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مع النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ) (٧) قال المناوى : " التاجر الصدوق الأمين يحشر يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء . قال الحكيم : إنما لحق بدرجتهم لأنه احتظى بقلبه من النبوة ، والصديقية ، والشهادة ، فالنبوة انكشاف الغطاء، والصديقية استواء سريرة القلب بعلانية الأركان ، والشهادة احتساب المرء بنفسه على الله ، فيكون عنده في حد الأمانة في جميع ما وضع عنده . وقال الطيبي : قوله : مع النبيين بعد قوله التاجر الصدوق حكم مرتب على الوصف المناسب من قوله : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم)النساء ٦٩، وذلك أن اسم الإشارة يشعر بأن ما بعده جدير بما قبله لاتصافه بإطاعة الله ، وإنما ناسب الوصف الحكم لأن الصدوق بناء مبالغة من الصدق كالصديق ، وإنما يستحقه التاجر إذا أكثر تعاطيه الصدق ، لأن الأمناء ليسوا غير أمناء الله على عباده ، فلا غرو لمن اتصف بهذين الوصفين أن ينخرط في زمرتهم "(٨).

٥) وحض النبى ـ ﷺ ـ على التجارة لما فيها من منافع جمة خاصة من ناحية المكسب روى أنه ـ ﷺ ـ قال (تسعة أعشار الرزق في التجارة والعشر الباقى فى سائر الأعمال) (٩). قال الماوردي : " وإنما كان كذلك

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ـ عبد الملك بن هشام أبو محمد ـ ج٢ ص ٥ ـ ـ طبعة دار الجيل ـ بيروت طبعة ١٤١١هـ .

(٢) وكان يسمى مسجد سوق المدينة المسمى بقيع الخيل ولا يعرف اليوم . انظر التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ـ الامام شمس الدين السخاوي ـ ج١ ص ٤٠ الناشر دار الكتب العلمية سنة النشر ـ بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

(٣) وأشهرهم : عبدالرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان فضائل الصحابة ـ أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ـ ج١ ص٤٥٧ ـ تحقيق د. وصي الله محمد عباس ـ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت ـ سنة النشر ١٤٠٣ – ١٩٨٣م .

(٤) المستدرك على الصحيحين ـ أبو عبدالله الحاكم النيسابوري ـ ج ٢ ص ١٢ ـ طبعة دار الكتب العلمية بيروت ـ سنة ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م وقال :هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٥) المستدرك ج ٢ ص ١٣ ـ وقال :وهذا خلاف ثالث على وائل بن داود إلا أن الشيخين لم يخرجا عن المسعودي ومحله الصدق

(٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير ـ عبد الرؤوف المناوي ـ ج١ ص ٥٤٧ ـ طالمكتبة التجارية الكبرى مصر ـ ١٣٥٦هـ .

(٧) الجامع الصحيح سنن الترمذي ـ محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ـ ج٣ ص ٥١٥ـ بَاب ما جاء في التُّجَّارِ وَتَسْمِيَةِ النبي صلى الله عليه وسلم إِيَّاهُمْ) ح رقم ١٢٠٩ ـ تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ـ الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت . قال أبو عِيسَى هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ لَا نَعْرِفُهُ إلا من هذا الْوَجْهِ من حديث الثَّوْرِيِّ عن أبي حَمْزَةَ وأبو حَمْزَةَ اسْمُهُ عبد اللَّهِ بن جَابِرٍ وهو شَيْخٌ بَصْرِيٌّ حدثنا سُوَيْدُ بن نَصْرٍ أخبرنا عبد اللَّهِ بن الْمُبَارَكِ عن سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ عن أبي حَمْزَةَ بهذا الإسناد نَحْوَهُ .

(٨) فيض القدير شرح الجامع الصغير ـ عبد الرؤوف المناوي ـ ج٣ ص ٢٧٨ ـ ط المكتبة التجارية الكبرى مصر ـ ١٣٥٦هـ

(٩) مسند الفردوس بمأثور الخطيب للهمذانى ـ ج ٣ ص ١٧٦ ـ ح رقم ٨٧٩ ـ طبعة دار الكتب العلمية طبعة أولى ١٩٨٦م . وعلق عليه المناوى بقوله : ص عن نعيم بن عبد الرحمن الأزدي مقبول من الطبقة الثانية ويحيى بن جابر الطائي مرسلا هو قاضي حمص قال في

لأن التجارة فرع لمادتي الناج والزرع ، وهي نوعان تقليب في الحضر من غير نقلة ولا سفر ، والثاني تقليب في المال بالأسفار ، ونقله إلى الأمصار مما يحتاجه الخاص والعام ، إذ هي مادة أصل الحضر ، وسكان الأمصار والمدن ، والاستمداد بها أعم نفعًا ، وأكثر ربحًا ، ولا يستغني عنه أحد من الأنام ، وأما المواشي فإنما هي مادة أهل الفلوات ، وسكان الخيام ، لأنهم لما لم يستقر بهم دار ، ولم يضمهم أمصار افتقروا إلى الأموال المنتقلة ، فاتخذوا الحيوان ليستقل في النقلة بنفسه ويستغني في العلوفة برعيه ، فمعظم نفعه إنما هو لأولئك اهـ . وهذا لا يقتضي أفضلية التجارة على الصناعة والزراعة لأنه إنما يدل على أن الرزق في التجارة أكثر ولا تعارض بين الأكثرية والأفضلية ([1]).

وخلاصة القول :

يتضح مما سبق أن للتجارة منزلة عظمى فى الإسلام ، وذلك لما لها من فوائد متعددة ، تعود على الفرد والمجتمع ، ومن ثم فقدأجمع المسلمون على جواز التّجارة في الجملة ، وتقتضيه الحكمة ، لأنّ النّاس يحتاج بعضهم إلى ما في أيدي بعض ، وهذه سنّة الحياة ، وتشريع التّجارة وتجويزها هو الطّريق إلى وصول كلّ واحد منهم إلى غرضه ، ودفع حاجته .

الكشاف صدوق وفي التقريب ثقة يرسل كثيرا ورواه أيضا إبراهيم الحربي في غريب الحديث عن نعيم المذكور قال الحافظ العراقي ورجاله ثقات ونعيم هذا قال فيه ابن منده ذكر في الصحابة ولا يصح وقال أبو حاتم الرازي وابن حيان تابعي فعلى هذا الحديث من طريقه مرسل فيض القدير شرح الجامع الصغير- المناوي٣ ص ٢٤٤.

([1]) فيض القدير شرح الجامع الصغير ـ عبد الرؤوف المناوي ـ ج٣ ص ٢٤٤ .

المبحث الثالث : ضوابط الحركة التجارية في الإسلام

وضع الإسلام مبادئ وقواعد تجب مراعاتها قبل الدخول فى حركة الاستثمار والتجارة ، وصاغ كثير من الباحثين والعلماء هذه الضوابط وأفردوا لها أبحاثاً متعددة ، ووضعوا لها أصولاً لما يحل ويحرم في باب المعاملات ([1]) وتتلخص هذه الضوابط فيما يلي :(ضوابط متعلقة بالتاجر، وضوابط متعلقة بالتجارة) وهذا ما سأعرض له فى المطلبين التاليين :

المطلب الأول : ضوابط الحركة التجارية المتعلقة بالتاجر .

إن التجارة في الإسلام تحكمها ضوابط وقيم أخلاقية ينبغي على التجار التحلي بها ، وهذه الضوابط والقيم مستمدة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه ـ ﷺ ـ ، وقد وضع الإسلام ضوابط متعددة للتجارة خاصة فيمن يمارسها وهو (التاجر) وأهم هذه الضوابط التى تضبط الحركة التجارية ما يلى :

١) النية الصالحة في الوصول إلى الرزق الحلال وإعفاف النفس والأهل عن الحرام

وقد ذكر الإمام الغزالي أن حسن النية من آداب التاجر المسلم فقال:" الأول حسن النية والعقيدة في ابتداء التجارة فلينو بها الاستعفاف عن السؤال وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم واستعانة بما يكسبه على الدين وقياما بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين به ولينو النصح للمسلمين وأن يحب لسائر الخلق ما يحب لنفسه ولينو اتباع طريق العدل والإحسان في معاملته كما ذكرناه ولينو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل ما يراه في السوق فإذا أضمر هذه العقائد والنيات كان عاملا في طريق الآخرة فإن استفاد مالا فهو مزيد وإن خسر في الدنيا ربح في الآخرة "([2]) .

٢) التبكير في طلب الرزق

فينبغي على التاجر المسلم التبكير في طلب الرزق قال الإمام الترمذي:[باب ما جاء في التبكير بالتجارة] ثم روى بإسناده عن صخر الغامدي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:(اللهم بارك لأمتي في بكورها، قال: وكان ـ أي رسول الله ﷺ ـ إذا بعث سريةً أو جيشاً بعثهم أول النهار وكان صخر رجلاً تاجراً وكان إذا بعث تجارة بعثهم أول النهار فأثرى وكثر ماله) ([3]). قال المباركفوري في التحفة: (فأثرى) أي صار ذا ثروة بسبب مراعاة السنة. "([4])

٣) من آداب التاجر الخلق الحسن

الأخلاق الحسنة من القواعد التي أكمل بناءها الإسلام ؛ فالخلق الحسن له مكانة عظيمة في دين الإسلام وقد أثنى الله عز وجل على نبيه ـ ﷺ ـ بحسن الخلق فقال جل وعلا:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ([5]). وقد وردت أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ تحث على الخلق الحسن منها: ما رواه الحاكم عن ميمون بن أبي شبيب عن أبي ذر ـ ﷺ ـ قال :قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (يا أبا ذر اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن)([6]) .والأخلاق الحسنة كالصدق ، والأمانة ، والوفاء بالعقود ، وكذا العهود ، وحسن المعاملة ، وإنظار المعسرين ، وترك المماطلة في سداد الديون ، وأداء الحقوق لأصحابها ، ونحو ذلك من

([1]) ومن هذه الأبحاث التي أفدت منها كثيراً فى هذا المبحث ما يلى : فقهُ التاجرِ المسلمِ وآدابُه ـ د/ حسام الدين بن موسى عفانه ـ ص ٢٠٩ وما بعدها ـ توزيع المكتبة العلمية ودار الطيب للطباعة والنشر القدس ـ الطبعة الأولى ـ سنة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م . أداب التاجر وشروط التجارة ـ ابراهيم بن محمد ـ طبعة دار الصحابة بطنطا ـ طبعة ثانية ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م . الإشارة إلى محاسن التجارة ـ للشيخ أبى الفضل جعفر بن على الدمشقى ـ ص ٦٤ وما بعدها م س . التجارة فى ضوء القرآن والسنة ـ د/ عبدالغنى الراجحى ـ ص ١٥ ، ١٦ ـ ط مطابع شركة الإعلانات الشرقية . وانظر : الإسلام والاقتصاد ـ أ / أحمد الشرباصى ـ ٩٠ ، ١١٥ ـ القاهرة ـ د ت . وانظر : التجارة فى ضوء القرآن والسنة ـ د/ عبدالغنى الراجحى ـ ص ٥٤ ، ٦٤ ـ ط مطابع شركة الإعلانات الشرقية . وانظر : الحياة الاقتصادية فى العصور الإسلامية الأولى د / محمد ضيف الله بطانية ص ٣٣ ـ ٤٢ ـ طبعة دار طارق توزيع دار الكندى الأردن . وانظر :الأسس التى تحكم النشاط التجارى فى الإسلام ـ د/ محمد سليمان الأشقر ـ ج١ ص ١٤٥ ـ ١٥١ ـ ضمن بحوث فقهية فى قضايا اقتصادية معاصرة ـ طبعة دار النفائس الأردن ـ طبعة أولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م . وانظر :المبادىء العامة لأخلاقيات المال ـ السفير / محمد أمين جبر ص١٥٢ ـ ١٥٤ ـ طبعة م الشروق الدولية القاهرة ـ طبعة أولى ١٤٣٢٣هـ /٢٠٠٣ م. الإشارة إلى فقه البيع والتجارة ـ إبراهيم محمد حسين الشويخ ـ ص ٣٠ وما بعدها .

([2]) إحياء علوم الدين ـ أبو حامد الغزالي ـ ج٢ ص ٨٣.

([3]) الجامع الصحيح سنن الترمذي ـ أبو عيسى الترمذي ـ ج٣ ص٥١٧ . قال الترمذي: حديث صخر الغامدي حديث حسن .

([4]) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ـ المباركفوري ـ ج٤ ص ٣٣٨ ـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت.

([5]) سورة القلم الآية ٤.

([6]) المستدرك ـ الحاكم ـ ج١ ص٨ ـ ح رقم ١٢١ ـ وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

الأخلاق الفاضلة الحميدة كلها مطلوبة من المسلم بشكل عام ، ومن التاجر المسلم على وجه الخصوص. ومن المعلوم أن الإسلام قد دخل أقطاراً كثيرة على يد التجار المسلمين أصحاب مكارم الأخلاق.

٤) من آداب التاجر وفاء الكيل والميزان

من الضوابط التى شرعها الله تعالى في التجارة وجوب إيفاء الكيل والميزان قال تعالى:﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ (١) وقال تعالى:﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ (٢) وقال تعالى:﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (٣). وقد حرم الله سبحانه وتعالى تطفيف الكيل والميزان فقال عز وجل:﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤)لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)﴾ (٤) . يقول الإمام الغزالي محذراً التاجر من التطفيف:"إلا يكتم في المقدار شيئا وذلك بتعديل الميزان والاحتياط فيه وفي الكيل فينبغي أن يكيل كما يكتال ... ولا يخلص من هذا إلا بأن يرجع إذا أعطي وينقص إذا أخذ إذ العدل الحقيقي قلما يتصور فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان فإن من استقصى حقه بكماله يوشك أن يتعداه، وكان بعضهم يقول لا أشتري الويل من الله بحبة فكان إذا أخذ نقص نصف حبة وإذا أعطى زاد حبة وكان يقول ويل لمن باع بحبة جنة عرضها السموات والأرض وما أخسر من باع طوبى بويل وإنما بالغوا في الاحتراز من هذا وشبهه لأنها مظالم لا يمكن التوبة منها إذ لا يعرف أصحاب الحبات حتى يجمعهم ويؤدي حقوقهم " (٥) .

٥) من آداب التاجر الوفاء بالوعد:

كثيرٌ من النصوص من كتاب الله وسنة نبيه ـ ﷺ ـ أمرت بالوفاء بالوعد وحثت على ذلك وذمت من لم يف بوعده فمن هذه النصوص قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (٦). فهذه الآية الكريمة تأمر بالوفاء بالعقود والوعد داخل في ذلك. وقال تعالى:﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (٧)وورد في السنة النبوية ما يدل على وجوب الوفاء بالوعد فمن ذلك ما جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها:(أن أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ كان يَدْعُو في الصَّلَاةِ وَيَقُولُ اللهم إني أَعُوذُ بِكَ من الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ فقال له قَائِلٌ ما أَكْثَرَ ما تَسْتَعِيذُ يا رَسُولَ اللَّهِ من الْمَغْرَمِ قال إِنَّ الرَّجُلَ إذا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ)(٨) فهذه الأدلة وغيرها تدل على وجوب الوفاء بالوعد. وأخيراً ينبغي أن يقال إن الأخذ بقول من أوجب الوفاء بالوعد يضبط معاملات الناس وخاصة في الأمور المالية وقد أخذت كثير من المصارف الإسلامية التي تتعامل وفق الأحكام الشرعية بمبدأ الإلزام بالوعد لما في ذلك من ضبط للمعاملات المالية.

٦) من آداب التاجر الإقالة

والإقالة عند الْفُقَهَاءِ هي:[رَفْعُ الْعَقْدِ وَإِلْغَاءُ حُكْمِهِ وَآثَارِهِ بِتَرَاضِي الطَّرَفَيْنِ]. (٩) والإقالة أمر مندوب إليه شرعاً ومرغب فيه وقد حث النبي ـ ﷺ ـ على أن يقيل البائع المشتري إن ندم على الشراء لأي سبب من الأسباب فقد ورد في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:(من أَقَالَ مُسْلِمًا أَقَالَهُ الله عَثْرَتَهُ يوم الْقِيَامَةِ) (١٠) قال صاحب عون المعبود في شرح الحديث: (من أقال مسلما) أي بيعه (أقاله الله عثرته) أي غفر زلته وخطيئته قال في إنجاح الحاجة صورة إقالة البيع إذا اشترى أحد شيئا من رجل ثم ندم على اشترائه إما لظهور الغبن فيه أو لزوال حاجته إليه أو لانعدام الثمن فرد المبيع على البائع وقبل البائع رده أزال الله مشقته وعثرته يوم القيامة لأنه إحسان منه على المشتري لأن البيع كان قد بت فلا يستطيع المشتري فسخه انتهى "(١١)

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٥٢.
(٢) سورة الإسراء الآية ٣٥.
(٣) سورة الرحمن الآية ٩.
(٤) سورة المطففين الآيات ١-٦.
(٥) إحياء علوم الدين ـ أبو حامد الغزالي ـ ج٢ ص ٧٧.
(٦) سورة المائدة : الآية ١ .
(٧) سورة الإسراء الآية ٣٤. .
(٨) الجامع الصحيح ـ البخاري ـ ج٢ ص ٨٤٤ ـ ح رقم ٢٢٦٧ ـ بَاب إذا قَاصَّ أو جَازَفَهُ في الدَّيْنِ تَمْرًا بِتَمْرٍ أو غَيْرِهِ) ـ طبعة دار ابن كثير بيروت، اليمامة ـ سنة النشر ١٤٠٧ – ١٩٨٧.
(٩) الموسوعة الفقهية الكويتية ٣٢٤/٥.
(١٠) سنن ابن ماجه ـ أبو عبدالله القزويني ـ٢ / ٧٤١ـ ح رقم٢١٩٩ ـ تحقيق/ فؤاد عبد الباقي ـ الناشر دار الفكر بيروت.
(١١) عون المعبود شرح أبي داود ـ شمس الحق العظيم آبادي ـ ج ٩ ص٢٣٧ ـ ط دار الكتب العلمية بيروت ـ سنة ١٩٩٥م .

وينبغي أن يعلم أن عقد البيع إذا تم بصدور الإيجاب والقبول من المتعاقدين فهو عقد لازم والعقود اللازمة عند الفقهاء لا يملك أحد المتعاقدين فسخها إلا برضى الآخر إذا لم يكن بينهما خيار لقوله ﷺ:[البيّعان بالخيار ما لم يتفرقا] رواه البخاري ومسلم. ومع ذلك فقد اتفق أهل العلم على أن من آداب البيع والشراء الإقالة ، قال الإمام الغزالي عند ذكره الإحسان في المعاملة: " أن يقيل من يستقيله فإنه لا يستقيل إلا متندم مستضر بالبيع ولا ينبغي أن يرضى لنفسه أن يكون سبب استضرار أخيه "(١) ولا شك أن الإقالة من باب الإحسان والتراحم والتيسير على الناس والرفق بهم وتقديم العون لهم وإقالة عثراتهم وهي أمور مطلوبة من المسلم ، وأخيراً أنبه على أمرين : -

أولهما: ما ورد في بعض ألفاظ أحاديث الإقالة من قوله ﷺ (من أقال مسلماً بيعته) فإن ذكر المسلم في الحديث ورد من باب التغليب وإلا فإقالة غير المسلم كإقالة المسلم قال الإمام الصنعاني:[وأما كَوْنُ الْمُقَالِ مُسْلِمًا فَلَيْسَ بِشَرْطٍ، وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ لِكَوْنِهِ حُكْماً أَغْلَبِيّاً وَإِلَّا فَثَوَابُ الْإِقَالَةِ ثَابِتٌ فِي إقَالَةِ غَيْرِ الْمُسْلِمِ وَقَدْ وَرَدَ بِلَفْظِ مَنْ أَقَالَ نَادِماً أَخْرَجَهُ الْبَزَّار] (٢) .

والثاني:إن الْإِقَالَةُ تَكُونُ وَاجِبَةً إذَا كَانَتْ بَعْدَ عَقْدٍ مَكْرُوهٍ أَوْ بَيْعٍ فَاسِدٍ، لِأَنَّهُ إذَا وَقَعَ الْبَيْعُ فَاسِداً أَوْ مَكْرُوهاً وَجَبَ عَلَى كُلِّ مِنْ الْمُتَعَاقِدَيْنِ الرُّجُوعُ إلَى مَا كَانَ لَهُ مِنْ رَأْسِ الْمَالِ صَوْناً لَهُمَا عَنْ الْمَحْظُورِ، لِأَنَّ رَفْعَ الْمَعْصِيَةِ وَاجِبٌ بِقَدْرِ الإمكان، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِالْإِقَالَةِ أَوْ بِالْفَسْخِ. كَمَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْإِقَالَةُ وَاجِبَةً إذَا كَانَ الْبَائِعُ غَارّاً لِلْمُشْتَرِي وَكَانَ الْغَبْنُ يَسِيراً، وَإِنَّمَا قُيِّدَ الْغَبْنُ بِالْيَسِيرِ هُنَا، لِأَنَّ الْغَبْنَ الْفَاحِشَ يُوجِبُ الرَّدَّ إنْ غَرَّهُ الْبَائِعُ عَلَى الصَّحِيحِ](٣) .

٧) عدم الحلف في البيع والشراء لترويج السلعة

ومن الضوابط التي يجب مراعاتها الحذر من الحلف في البيع والشراء لترويج السلعة " ذلك لأن الحلف تأكيداً لجودة السلعة ، مما يجعل المشترى يتغاضى عن فحصها ومعاينتها بدقة ، كما أن كثرة الحلف تجعل القسم مبتذلاً على اللسان فيصير عادة توقع صاحبها أحياناً فى الحنث " (٤) . وأيضاً لأن كثرة الحلف مكروهة هذا إذا كان الحالف صادقاً لقوله تعالى:﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ (٥) .قال القرطبي: " قوله تعالى : (واحفظوا أيمانكم) أي بالبدار إلى ما لزمكم من الكفارة إذا حنثتم وقيل : أي بترك الحلف فإنكم إذا لم تحلفوا لم تتوجه عليكم هذه التكليفات " (٦) ونقل القرطبي أيضاً عن بعض المفسرين في قوله تعالى:﴿وَلاَ تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ سورة البقرة الآية ٢٢٤، [بأن المعنى لا تكثروا من اليمين بالله تعالى فإنه أهيب للقلوب ولهذا قال الله تعالى:﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ وذمَّ من كثَّر اليمين فقال الله تعالى:﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾ والعرب تمتدح بقلة الأيمان...] (٧). وأما إذا كان الحالف كاذباً متعمداً للكذب فقد وقع في الحرام قال الله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٨) . وقد نهى النبي ﷺ عن كثرة الحلف في البيع والشراء ويلحق به غيرهما من وجوه التعامل بين الناس فقد ثبت في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:(الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة) (٩) . وعن أبي قتادة الأنصاري ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:(إياكم وكثرة الحلف في البيع فإنه ينفق ثم يمحق) (١٠) . وعن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ قال:(ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم قال: فقرأها رسول الله ثلاث مرات . قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب) (١١) .فعلى التجار أن يتقوا الله في أنفسهم وأن لا يكثروا من الأيمان.قال أبو

---

(١)إحياء علوم الدين - محمد بن محمد الغزالي أبو حامد - ج٢ ص ٨٢

(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام - محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير- ج٣ ص ٣٣ - تحقيق محمد عبد العزيز الخولي - الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت - سنة النشر ١٣٧٩هـ ..

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية ٣٢٥/٥.

(٤) الاقتصاد الإسلامي مبادىء وأهداف وخصائص - الشيخ / حسن سرى ص ١٥٠ - طبعة الإسكندرية - ١٤١٩ هـ ١٩٩٩م

(٥) سورة المائدة الآية ٨٩

(٦) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ج ٦ ص ٢٨٥

(٧) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ج ٣ ص ٩٧ .

(٨) سورة آل عمران الآية ٧٧.

(٩) الجامع الصحيح - البخاري - ج٢ ص٧٣٥ - ح رقم١٩٨١ - بَاب { يَمْحَقُ الله الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ .

(١٠) صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج - ج٣ ص ١٢٢٨ - بَاب النَّهْيِ عن الْحَلِفِ في الْبَيْعِ) - دار إحياء التراث العربي بيروت.

(١١) صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج - ج١ ص ١٠٢ - ح رقم ١٠٦ - بَاب بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ إسْبَالِ الْإِزَارِ وَالْمَنِّ بِالْعَطِيَّةِ.

حامد الغزالي:" ولا ينبغي أن يحلف عليه ألبتة فإنه إن كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهي من الكبائر التي تذر الديار بلاقع وإن كان صادقا فقد جعل الله تعالى عرضة لأيمانه وقد أساء فيه إذ الدنيا أخس من أن يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة..... فإذا كان الثناء على السلعة مع الصدق مكروها من حيث إنه فضول لا يزيد في الرزق فلا يخفى التغليظ في أمر اليمين "([1]) .

٨) وجوب تعلُم أحكام البيع والشراء.

فقد حث الله سبحانه وتعالى على التفقه في الدين فقال جلَّ جلاله:﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾([2]). فيجب على المسلم أن يتعلم من أمور دينه ما هو ضروري لعبادته ولعمله ، سواء ما يتعلق بالدين كالصلاة والصوم ، أم يتعلق بالمعاملة كالبيع والشراء، فعلى التاجر المسلم أن يتعلم أحكام البيع والشراء وما يتعلق بالربا حتى يتجنبه ونحو ذلك من الأحكام. وقد كان السلف ـ رضوان الله عليهم ـ يؤكدون على ضرورة تعلم أحكام التجارة قبل دخول السوق روى الترمزى عن عُمَرُ بن الْخَطَّابِ ـ ﷺ ـ قال : (لَا يَبِعْ فِي سُوقِنَا إلا من قد تَفَقَّهَ فِي الدِّينِ) ([3]).

ويقول الإمام علي بن أبى طالب ـ ﷺ ـ : (من اتجر قبل أن يتفقه ارتطم في الربا ثم ارتطم ثم ارتطم أي وقع وارتبك ونشب) ([4]).

ويقول حجة الإسلام الغزالى في باب علم الكسب بطريق البيع والربا : " اعلم أن تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مسلم مكتسب ؛ لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم وإنما هو طلب العلم المحتاج إليه والمكتسب يحتاج إلى علم الكسب ومهما حصل علم هذا الباب وقف على مفسدات المعاملة فيتقيها وما شذ عنه من الفروع المشكلة فيقع على سبب إشكالها فيتوقف فيها إلى أن يسأل فإنه إذا لم يعلم أسباب الفساد بعلم جملي (أى على سبيل الإجمال) فلا يدري متى يجب عليه التوقف والسؤال ولو قال لا أقدم العلم ولكني أصبر إلى أن تقع لي الواقعة فعندها أتعلم وأستفتي فيقال له وبم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جمل مفسدات العقود فإنه يستمر في التصرفات ويظنها صحيحة مباحة فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة ليتميز له المباح عن المحظور وموضع الإشكال عن موضع الوضوح " ([5]).

ونقل الإمام الزرقانى عن ابن العربي في القبس قال : " البيع والنكاح عقدان يتعلق بهما قوام العالم ؛ لأن الله خلق الإنسان محتاجا إلى الغذاء مفتقرا إلى النساء وخلق له ما في الأرض جميعا ولم يتركه سدى يتصرف باختياره كيف شاء فيجب على كل مكلف أن يتعلم ما يحتاج إليه لأنه يجب على كل أحد ألا يفعل شيئا حتى يعلم حكم الله فيه . وقول بعضهم يكفي ربع العبادات ليس بشيء إذ لا يخلو مكلف غالبا من بيع أو شراء "([6]).

وقال الإمام النووى فى المجموع :" أن من أراد التجارة لزمه أن يتعلم أحكامها فيتعلم شروطها ،وصحيح العقود من فاسدها ، وسائر أحكامها "([7]).

وقال ابن نجيم الحنفي في البحر الرائق:[وكان التُّجَّارُ في الْقَدِيمِ إذَا سَافَرُوا اسْتَصْحَبُوا مَعَهُمْ فَقِيهًا يَرْجِعُونَ إلَيْهِ ، وَعَنْ أَئِمَّةِ خُوَارِزْمَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لِلتَّاجِرِ من فَقِيهٍ صَدِيقٍ اهـ " ([8]).

وبهذا يظهر لنا : أن تعلم أحكام التجارة من باب فرض العين في حق التجار، لأن صحة أعمالهم التجارية متوقفة على العلم بها ، ومعرفة أحكامها ، ليحترز عن الشبهات والمحرمات والمكروهات، وكذا كل أهل الحرف، فكل من يمارس عملاً يجب عليه تعلم الأحكام المتعلقة به ليمتنع عن الحرام.وهذا الواجب ينبغي أن يكون قبل الخوض في التجارة .

٩) - الموازنة بين أمور الدنيا وأمور الآخرة.:

فالتاجر المسلم الحق هو الذي يوازن بين أمور الدنيا وأمور الآخرة ، وقد أثنى الله عز وجل على الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا عن شيء من الواجبات فقال:﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾([1]).

([1]) إحياء علوم الدين ـ محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ـ ج٢ ص ٧٥ .
([2]) سورة التوبة الآية ١٢٢..
([3]) سنن الترمذي ـ أبو عيسى الترمذي ـ ج٢ ص ٣٥٧ ـ وقال أبو عِيسَى هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ .
([4]) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ـ محمد الخطيب الشربيني ـ ج٢ ص ٢٢ ـ طبعة دار الفكر ـ بيروت .
([5]) إحياء علوم الدين ـ محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ـ ج٢ ص ٦٤ ـ طبعة دار االمعرفة بيروت .
([6]) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ـ الزرقاني ـ ج٣ ص ٣٢٣ ـ طبعة دار الكتب العلمية بيروت ـ سنة ١٤١١هـ.
([7]) المجموع ـ النووي ج٩ ص ١٤٦ ـ طبعة دار الفكر بيروت ـ سنة النشر ١٩٩٧م .
([8]) البحر الرائق شرح كنز الدقائق ـ زين الدين ابن نجيم الحنفي ـ ج٥ ص ٢٨٢ ـ الناشر دار المعرفة بيروت.

يقول الإمام البغوى : فى معنى الآية : "(لا تلهيهم) لا تشغلهم (تجارة) قيل خص التجارة بالذكر لأنها أعظم ما يشتغل به الإنسان عن الصلاة والطاعات وأراد بالتجارة الشراء وإن كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعا لأنه ذكر البيع بعد هذا كقوله (وإذا رأوا تجارة) يعني الشراء وقال الفراء التجارة لأهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يديه قوله (ولا بيع عن ذكر الله) عن حضور المساجد لإقامة الصلاة (وإقام) أي لإقامة (الصلاة) حذف الهاء وأراد أداءها في وقتها لأن من أخر الصلاة عن وقتها لايكون من مقيمي الصلاة وأعاد ذكر إقامة الصلاة مع أن المراد من ذكر الله الصلوات الخمس لأنه أراد بإقام الصلاة حفظ المواقيت روى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقوا حوانيتهم فدخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة) ([2]).

وقال ابن كثير: " يقول تعالى لا تشغلهم الدنيا وزخرفها ، وزينتها ، وملاذ بيعها وربحها عن ذكر ربهم الذي هو خالقهم ورازقهم، والذين يعلمون أن الذي عنده هو خير لهم وأنفع مما بأيديهم، لأن ما عندهم ينفد وما عند الله باق، ولهذا قال تعالى:﴿ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ يقدمون طاعته ومراده ومحبته على مرادهم ومحبتهم" ([3]).

وقد عاتب الله عز وجل الصحابة الذين تركوا النبي ﷺ أثناء خطبة الجمعة عندما جاءت قافلة تجارية وفيهم نزل قوله تعالى:﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضّوَاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِماً قُلْ مَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ مّنَ اللّهْوِ وَمِنَ التّجَارَةِ وَاللّهُ خَيْرُ الرّازِقِينَ﴾.([4]). روى الإمام البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:(بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ أقبلت عير تحمل طعاماً فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً فنزلت هذه الآية ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضّوَاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِماً ﴾.

وقال الإمام البخاري: عن قتادة : كان القوم يتجرون ولكنهم كانوا إذا نابهم حق من حقوق الله لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حتى يؤدوه إلى الله]. ([5]).

ويقول الإمام الغزالي فى الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم آخرته " ولا ينبغي للتاجر أن يشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضائعا وصفقته خاسرة وما يفوته من الربح في الآخرة لا يفي به ما ينال في الدنيا فيكون اشترى الحياة الدنيا بالآخرة بل العاقل ينبغي أن يشفق على نفسه وشفقته على نفسه يحفظ رأس ماله ورأس ماله دينه وتجارته فيه " ([6]).

ولذا فقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بإجابة النداء لصلاة الجمعة وترك البيع والشراء فقال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ([7]).

([1]) سورة النور : الآية : ٣٧ .
([2]) تفسير البغوي ـ البغوي ـ ج٣ ص ٣٤٨ ـ الناشر دار المعرفة بيروت.
([3]) تفسير القرآن العظيم ـ ا بن كثير ـ ج٣ ص ٢٩٦ ـالناشر دار الفكر بيروت ـسنة النشر ١٤٠١هـ .
([4]) سورة الجمعة : الآية : ٩ . .
([5]) الجامع الصحيح المختصر ـ البخاري ـ كتاب التفسير ـ بَاب التِّجَارَةِ في البرج ٢ ص ٧٢٦ ـ ح رقم ١٩٥٣ ـ
([6]) إحياء علوم الدين ـ الغزالي أبو حامد ـ ج٢ ص ٨٣.
([7]) سورة الجمعة الآية ٩.

المطلب الثاني : ضوابط الحركة التجارية المتعلقة بالتجارة .

لقد اهتم الإسلام بالتجارة ووضع لها من الضوابط والمبادىء ما يجعلها عاملاً سامياً ، إذ جعلها مرتبطة بالقيم والأخلاق الإسلامية ويتضح ذلك مما يأتى :

١) الحركة التجارية قائمة على التراضى :

فالمعاملات فى الإسلام قائمة على التراضى وعدم الجبر والقسر ، فلا تصح العقود إلا بناءً على رضا الطرفين ، وهذا ما أشارت إليه آيات القرآن التى أباحت التجارة قال تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ) (١).يقول ابن كثير : " ومن هذه الآية الكريمة احتج الشافعي على أنه لا يصح البيع إلا بالقبول لأنه يدل على التراضي .... وقال مجاهد (إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) بيعا أو عطاء أحد أحدا ، ورواه ابن جرير ثم قال : قال رسول الله ﷺ : (البيع عن تراض) والخيار بعد الصفقة ولا يحل لمسلم أن يضر مسلما هذا حديث مرسل ومن تمام التراضي إثبات خيار المجلس كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا) وذهب إلى القول بمقتضى هذا الحديث أحمد والشافعي وأصحابهما وجمهور السلف والخلف ،ومن ذلك مشروعية خيار الشرط بعد العقد إلى ثلاثة أيام بحسب ما يتبين فيه مال البيع ولو إلى سنة في القرية ونحوها كما هو المشهور عن مالك رحمه الله " (٢). وهكذا يشترط الإسلام للحركة التجارية أن تقوم على التراضى حتى تسود الثقة والمحبة بين الناس.

٢) الحركة التجارية قائمة على الصدق والأمانة فى التعامل :

فالصدق مطلوب من المسلم عموماً في كل أموره وأحواله قال سبحانه وتعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣) . والصدق مطلوب من التاجر المسلم على وجه الخصوص نظراً لأهمية الصدق في المعاملات، فعن حكيم بن حزام - ﷺ عن النبي ﷺ قال:(الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ ما لم يَتَفَرَّقَا أو قال حتى يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا في بَيْعِهِمَا وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا) (٤) .فالصدق في البيع والشراء سبب لحصول البركة والكذب سبب لمحق البركة.

وكذلك فإن الصدق والأمانة والنصيحة من أعظم أخلاق التجار فقد ورد في الحديث عن أبي سعيد الخدري - ﷺ - أن النبي - ﷺ - قال:(التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء) (٥).

وخرج رسول الله - ﷺ- إلى المصلى بالمدينة فوجد الناس يتبايعون فقال : يا معشر التجار فاستجابوا له ورفعوا أبصارهم وأعناقهم إلى رسول الله - ﷺ- فقال : (إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا إلا من اتقى وبر وصدق)(٦) . ويعتبر الإسلام الصدق من أهم الركائز التى تقوم عليها المعاملات بين الناس (٧) ويوجب الإسلام على المتعامل أن يحرص على نقل المعلومات الكاملة البينة الواضحة عن سلعته بأمانة وإخلاص وألا يكتم عيباً فيها ، بحيث لو اطلع عليه المشترى لما أقدم على الشراء .

٣) الحركة التجارية قائمة على العدل والإحسان مع جميع الناس :

ومما يجب على التاجر المسلم أن يتحلى به العدل والإحسان مع جميع الناس يقول أبو حامد الغزالي: " وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعا ، والعدل سبب النجاة فقط وهو يجري من التجارة مجرى رأس المال والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة وهو يجري من التجارة مجرى الربح ولا يعد من الغفلاء من قنع في معاملات الدنيا برأس ماله ، فكذا في معاملات الآخرة فلا ينبغي للمتدين أن يقتصر على العدل واجتناب الظلم ويدع أبواب الإحسان وقد قال الله تعالى:﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (٨) وقال عز وجل:﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (٩) ونعني بالإحسان فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فإن الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم "(١٠) .

---

(١) سورة النساء : الآية ٢٩ .
(٢) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ج١ ص ٤٧٩ ، ٤٨٠ ..
(٣) سورة التوبة : الآية ١١٩ .
(٤)الجامع الصحيح المختصر - البخاري - ٢ / ٧٣٢ - ح رقم ١٩٧٣ بَاب إذا بَيَّنَ الْبَيِّعَانِ ولم يَكْتُمَا وَنَصَحَا .
(٥) سنن الترمذي - الترمذي - ج٣ ص ٥١٥- رقم ١٢٠٩ وسبق الحكم عليه .
(٦) المستدرك - الحاكم - ج٢ ص٨ - ح رقم ٢١٤٤ - وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .
(٧) انظر :أحكام السوق فى الإسلام وأثرها فى الاقتصاد الإسلامى - أحمد بن يوسف الدريويش - ص ٤٧ - طبعة دار عالم الكتب بالرياض .
(٨) سورة القصص الآية : ٧٧.
(٩) سورة النحل الآية : ٩٠ .
(١٠)إحياء علوم الدين - محمد بن محمد الغزالي أبو حامد - ج٢ ص ٧٩ - طبعة دار االمعرفة بيروت.

٤) الحركة التجارية قائمة على تحريم الربا:

ومن هذه الضوابط المتعلقة بالتجارة تحريم الربا ، فالربا محرم بنص كتاب الله وسنة رسول الله - ﷺ- قال تعالى:﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ (١) وروى مسلم فى صحيحه عن جَابِرٍ -رضي الله عنه- قال : (لَعَنَ رسول اللَّهِ - ﷺ- آكِلَ الرِّبَا وموكله وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ وقال هُمْ سَوَاءٌ) (٢)

٥) الحركة التجارية قائمة على تحريم كل معاملة فيها غش وخداع :

ثبت في الحديث عن أبي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- قال : (من حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا)(٣) . وهذا الحديث عام يشمل الغش فى كافة المعاملات وصور الغش والخداع كثيرةٌ جداً وخاصة في التجارة والأعمال المختلفة فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: (بيع المواد الفاسدة ، والمنتهية الصلاحية ، والتلاعب في الأوزان ، وبيع المواد الضارة بالصحة ، والتي تسبب الأمراض المستعصية.....إلخ

٦) الحركة التجارية قائمة على تحريم الاتجار بالمحرمات :

ومن الضوابط التي تحكم الحركة التجارية فى الإسلام تحريم الاتجار فى المحرمات سواء أكان ذلك بانتهاك محرم أم ترك واجب. يقول الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾. (٤) ومن صور الاتجار في المحرمات: (التجارة في الخمر بمختلف أسمائها ، وكذا العمل في صناعتها ، والعمل في قطف العنب لتصنيعها ، وبيع العنب لمن يعصره خمراً . وقد صح في الحديث الذى رواه مسلم عن جَابِرِ بن عبد اللَّهِ -رضي الله عنه- أَنَّهُ سمع رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- يقول عَامَ الْفَتْحِ وهو بِمَكَّةَ : (إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ فَقِيلَ : يا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ فإنه يُطْلَى بها السُّفُنُ وَيُدْهَنُ بها الْجُلُودُ وَيَسْتَصْبِحُ بها الناس فقال: لَا هو حَرَامٌ ثُمَّ قال رسول اللَّهِ - ﷺ- عِنْدَ ذلك : قَاتَلَ الله الْيَهُودَ إِنَّ اللَّهَ عز وجل لَمَّا حَرَّمَ عليهم شُحُومَهَا أَجْمَلُوهُ ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ) (٥) .

ويلحق بتحريم الاتجار بالخمر الاتجار بالمخدرات والسموم القاتلة كالهيروين والأفيون والحشيش، وكذا الأفلام الخليعة ، والصحف والمجلات التي تنشر الفحشاء والمنكر ، وكذا العمل في طباعتها ، وطباعة أي مادة تُحارب الله ورسوله ودينه. ومن الأعمال المحرمة الاشتغال بعمل أو وظيفة من شأنها الإعانة على ظلم أو حرام فهي حرام كمن يشتغل في عمل ربوي أو محل للخمر أو في مرقص أو ملهى أو نحو ذلك. (٦). وكذلك العمل في وظيفة تلحق الضرر والأذى بالمسلمين سواء كان الضرر أو الأذى مادياً أو معنوياً.

٧) الحركة التجارية قائمة على حرمة المتاجرة بالمواد المسروقة والمغصوبة :

ومن الأعمال المحرمة المتاجرة بالمواد المسروقة والمغصوبة وهي التي أخذت من أصحابها بغير رضا كالمواد التي تصادر من الناس ظلماً وعدواناً. فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي - ﷺ- أنه قال : («مَنِ اشْتَرَى سَرِقَةً وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهَا سَرِقَةٌ فَقَدْ شَرَكَ فِي عَارِهَا وَإِثْمِهَا») (٧).

٨) الحركة التجارية قائمة على تحريم المعاملات التجارية التي فيها غرر :

ومن الضوابط في هذا المجال تحريم المعاملات التي فيها غرر وخطر" ويدخل فيه مسائل كثيرة غير منحصرة كبيع الآبق والمعدوم والمجهول وما لا يقدر على تسليمه وما لم يتم ملك البائع عليه وبيع السمك في الماء الكثير واللبن في الضرع وبيع الحمل في البطن وبيع بعض الصبرة مبهما وبيع ثوب من أثواب وشاة من شياه ونظائر ذلك وكل هذا بيعه باطل لأنه غرر من غير حاجة وقد يحتمل بعض الغرر بيعا اذا دعت إليه حاجة كالجهل بأساس الدار وكما إذا باع الشاة الحامل والتي في ضرعها لبن فإنه يصح للبيع لأن الأساس تابع للظاهر من الدار ولأن الحاجة تدعو إليه فإنه لا يمكن رؤيته وكذا القول في حمل الشاة ولبنها وكذلك أجمع المسلمون على جواز أشياء فيها غرر حقير " (٨).

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٧٥ .
(٢) صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج - باب أَخْذِ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ) ٢ / ١٢١٩ ح رقم١٥٩٨ .
(٣)صحيح مسلم - مسلم - ٤٣ بَاب قَوْلِ النبي صلى الله عليه وسلم من غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا) ١ / ٩٩ ح رقم١٠١
(٤)سورة المنافقون الآية ٩..
(٥)صحيح مسلم - مسلم - (١٣ بَاب تَحْرِيمِ بَيْعِ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ)٣ / ١٢٠٧ ح رقم١٥٨١
(٦) انظر:الحلال والحرام فى الإسلام - د/ يوسف القرضاوى - ص١٢٦ - طبعة مكتبة وهبة ط ٢٩ عام ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م
(٧) المستدرك على الصحيحين - الحاكم - ج٢ ص٤١ - ح رقم ٢٢٥٣وقال :والحديث صحيح ولم يخرجاه .
(٨) صحيح مسلم بشرح النووي - النووي - ج١٠ ص ١٥٦ - الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت - سنة ١٣٩٢هـ .

والأصل فى ذلك نهى النبي - ﷺ- عن كل بيع فيه غرر ؛ لأنه يؤدى للخصومة بين الطرفين ، وذلك مثل بيع الثمار قبل بدو صلاحها وبيع ما في صلب الفحل ، وبطن الناقة روى مسلم فى صحيحه عن أبي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قال : (نهى رسول اللَّهِ - ﷺ- عن بَيْعِ الْحَصَاةِ وَعَنْ بَيْعِ الْغَرَرِ)(١) .
روى مسلم فى صحيحه عن ابن عُمَرَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - (نهى عن بَيْعِ الثَّمَرِ حتى يَبْدُوَ صَلَاحُهَا نهى الْبَائِعَ وَالْمُبْتَاعَ)(٢) . وعلى هذا فكل عقد للبيع فيه غرر وجهالة يؤدى إلى الخصومة أو الظلم فقد نهى عنه الإسلام.

٩) الحركة التجارية قائمة على السماحة في البيع والشراء وإنظار المعسر

من آداب التاجر السماحة في البيع والشراء وإنظار المعسر ،فالسهولة والسماحة في البيع والشراء أمر مطلوب شرعاً وقد وردت أحاديث كثيرة في ذلك منها: عن جابر- رضي الله عنه- أن رسول الله - ﷺ- قال:(رَحِمَ الله رَجُلًا سَمْحًا إذا بَاعَ وإذا اشْتَرَى وإذا اقْتَضَى) (٣)وعن أبي هريرة - رضي الله عنه- أن رسول الله - ﷺ - قال:(إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ سَمْحَ الْبَيْعِ سَمْحَ الشِّرَاءِ سَمْحَ الْقَضَاءِ) (٤).
وأما إنظار المعسر فقد قال الله تعالى:﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٥).وهذه الآية وإن كانت قد نزلت في دين الربا إلا أن سائر الديون ملحق به لحصول المعنى الجامع بينهما فإذا أعسر المديون وجب إنظاره وهو اختيار الإمام الطبري.
عن أبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه- قال قال رسول اللَّهِ - ﷺ - : (من أنظر مُعْسِرًا أو وَضَعَ له أَظَلَّهُ الله يوم الْقِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يوم لَا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ) (٦).

١٠)الحركة التجارية قائمة على تحريم الغش :

من ضوابط الحرة التجارية في الشريعة الإسلامية تحريم الغش بكل صوره وأشكاله وقد وردت أدلة كثيرة تدل على تحريم الغش منها ما ثبت في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ:(مرَّ على صُبرة طعام - كومة- فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله، أي المطر. قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غشنا فليس منا). (٧) ..
وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:(المسلم أخو المسلم لا يحل لمسلمٍ باع من أخيه بيعاً فيه عيبٌ إلا بيَّنه له)(٨) وهذا مما يدل على حرمة الغش لأنه وسيلة لأكل أموال الناس بالباطل إذ أن حقيقة الغش"قال في النهاية الغش ضد النصح من الغشش وهو المشرب لكدر انتهى ، وقال في القاموس غشه لم يمحضه النصح أو أظهر له خلاف ما أضمر كغششه والغش بالكسر الاسم منه انتهى "(٩)
والغش بمقتضى الأحاديث السابقة يعتبر من كبائر الذنوب.قال الشيخ ابن حجر الهيتمي المكي:" تنبيه: عدُّ هذا -الغش- كبيرة هو ظاهر بعض ما في هذه الأحاديث من نفي الإسلام عنه مع كونه لم يزل في مقت الله أو كون الملائكة تلعنه ... وضابط الغش المحرم أن يعلم ذو السلعة من نحو بائع أو مشتر فيها شيئاً لو اطلع عليه مريد أخذها ما أخذها بذلك المقابل فيجب عليه أن يعلمه به ليدخل في أخذه على بصيرة، ويؤخذ من حديث واثلة وغيره ما صرح به أصحابنا أنه يجب أيضاً على أجنبي علم بالسلعة عيباً أن يخبر به مريد أخذها وإن لم يسأله عنها كما يجب عليه إذا رأى إنساناً يخطب امرأة ويعلم بها أو به عيباً أو رأى إنساناً يريد أن يخالط آخر لمعاملة أو صداقة أو قراءة ... وعلم بأحدهما عيباً أن يخبر به وإن لم يستشر به كل ذلك أداء للنصيحة المتأكد وجوبها لخاصة المسلمين وعامتهم] (١٠)
ويقول ابن حجر أيضاً:[ونحن لا نحرم التجارة ولا البيع والشراء فقد كان أصحاب النبي ﷺ يتبايعون ويتجرون في البز وغيره من المتاجر، وكذلك العلماء والصلحاء بعدهم ما زالوا يتجرون ولكن على القانون الشرعي والحال المرضي الذي أشار الله تعالى إليه بقوله عز قائلاً:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ

---

(١) صحيح مسلم - مسلم - بَاب بُطْلَانِ بَيْعِ الْحَصَاةِ وَالْبَيْعِ الذي فيه غَرَرٌ) ٣ / ١١٥٣ ح رقم١٥١٣.
(٢) صحيح مسلم - مسلم - بَاب النَّهْيِ عن بَيْعِ الثِّمَارِ قبل بُدُوِّ صَلَاحِهَا ٣ / ١١٦٥ ح رقم١٥٣٣.
(٣) الجامع الصحيح المختصر - محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي - ج٢ ص ٧٣٠ - .
(٤) سنن الترمذي - ج٣ ص٦٠٩ . قال: هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ - وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣٢٧/٢.
(٥) سورة البقرة الآية ٢٨٠.
(٦) سنن الترمذي - الترمذي - ج٣ ص٥٩٩. قال أبو عِيسَى : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ من هذا الْوَجْهِ .
(٧) صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج - ج١ ص ٩٩- ح رقم ١٠٢ - باب قَوْلِ النبي ﷺ من غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا) .
(٨) سنن ابن ماجه - أبو عبدالله القزويني - ج٢ ص ٧٥٥ - ٤٥ بَاب من بَاعَ عَيْبًا فَلْيُبَيِّنْهُ) - ح رقم ٢٢٤٦ - ط دار الفكر بيروت
(٩) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي - المباركفوري - ج ٤ ص ٤٥٣ .
(١٠) الزواجر عن اقتراف الكبائر - ابن حجرالهيثمي - ج١ ص٤٦١ - ط م العصرية لبنان / صيدا – بيروت - ١٤٢٠/١٩٩٩م .

بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ سورة النساء الآية ٢٩. فبين الله أن التجارة لا تحمد ولا تحل إلا إن صدرت عن التراضي من الجانبين والتراضي إنما يحصل حيث لم يكن هناك غش ولا تدليس، وأما حيث كان هناك غش وتدليس بحيث أخذ أكثر مال الشخص وهو لا يشعر بفعل تلك الحيلة الباطلة معه المبنية على الغش ومخادعة الله ورسوله فذلك حرام شديد التحريم موجب لمقت الله ومقت رسوله وفاعله داخل تحت الأحاديث السابقة والآتية، فعلى من أراد رضا الله ورسوله وسلامة دينه ودنياه ومروءته وعرضه وأخراه أن يتحرى لدينه وأن لا يبيع شيئاً من تلك البيوع المبنية على الغش والخديعة" ([1]) . فيجب على البائع أن يبين للمشتري ما في السلعة من عيب إن كان فيها ويحرم عليه أن يكتم شيئاً من عيوبها فإذا أعلم المشتري بالعيب ثم اشترى السلعة مع علمه بالعيب يكون البائع قد أبرأ ذمته .

١١)الحركة التجارية قائمة على تحريم النجش

النجش هو أن يزيد في ثمن السلعة من لا يريد شراءها ليغري المشتري بالزيادة، يقول ابن عبدالبر : " وأما النجش فلا أعلم بين أهل العلم اختلافا في أن معناه أن يعطي الرجل الذي قد دسه البائع وأمره في السلعة عطاء لا يريد شراءها به فوق ثمنها ليغتر المشتري فيرغب فيها أو يمدحها بما ليس فيها فيغتر المشتري حتى يزيد فيها أو يفعل ذلك بنفسه ليغر الناس في سلعته وهو لا يعرف أنه ربها وهذا معنى النجش عند أهل العلم" ([2])

والنجش حرام بنص أحاديث النبي ﷺ فقد ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:(نهى النبي ﷺ عن النجش) ([3]) .نهى النبي ﷺ عن استغلال جهل المشترى بأسعار السلع في الأسواق نظراً لأنه ليس من أهل المنطقة مثلاً أو لغير ذلك من الأسباب فقد منع النبي ﷺ تلقي الركبان من أهل البادية قبل وصولهم للسوق لما في ذلك من استغلال لجهلهم بالأسعار ولما فيه من التضييق على أهل الحاضرة. فعن أبي هريرة ﷺ قال:(نهى النبي ﷺ عن التلقي وأن يبيع حاضر لباد) ([4]) .

وهذا يتضمن تحريم بيع الحاضر للبادي، وعلة النهي عن بيع الحاضر للبادي:[... ما يؤدي إليه هذا البيع من الإضرار بأهل البلد، والتضييق على الناس. والقصد أن يبيعوا للناس برخص. قال ابن القاسم: لم يختلف أهل العلم في أن النهي عن بيع الحاضر للبادي إنما هو لنفع الحاضرة، لأنه متى ترك البدوي يبيع سلعته، اشتراها الناس برخص، ويوسع عليهم السعر، فإذا تولى الحاضر بيعها، وامتنع من بيعها إلا بسعر البلد، ضاق على أهل البلد، وقد أشار النبي ﷺ في تعليله إلى هذا المعنى" . ([5])

ويمكن أن يكون النهي حتى لا يحول أهل الحاضرة بين وصول أهل البادية إلى الأسواق ومعرفة الأسعار الحقيقية فيشتري أهل الحاضرة السلع بأرخص الأسعار ثم يغالون في أسعارها.

وخلاصة القول :

كانت هذه هى بعض الضوابط والقواعد التى وضعها الإسلام ، والتى هى من أخلاقيات التجارة ، ومن أساسيات المعاملات المالية فى الإسلام ." ولقد أصبحت التجارة الآن علماً له قواعده وأصوله ، وله أقسامه وتخصصاته ، وله كلياته ومعاهده ، وله وزارة فى كل دولة ، واتسعت آفاق التجارة وأصبحت بضائعها تُنقل بالبر والبحر والجو ، وصفقاتها تُعقد بالتلفون اللاسلاكى والتلكس ، وهناك طرق حديثة أخرى كالانترنت والفاكس ، واختصرت الأجهزة الحديثة الأبعاد والأزمنة ، ولكنها إن لم تخضع لرقابة إسلامية ، ولم تكن فى حدود ما أحل الله كانت وبالاً على صاحبها والعياذ بالله " ([6]) .

ومما سبق يتضح حجم الضوابط التي وضعها الإسلام فى مجال الحركة التجارية للمسلم ، وهى فى جملتها تشكل وتبنى الشخص المسلم الذي يُقدم على التجارة والاستثمار ، حتى يكون أهلاً للملكية و الاتفاق مما يدلنا على الصلة القوية بين الأمور الحياتية الدنيوية ، والقيم الروحية فى الدين الإسلامي والتي ليست بمعزل عن وشائج الإخوة الإنسانية في المجتمع العالمي .

([1])الزواجر - ابن حجر الهيثمي - ج١ ص ٤٦٣ .

([2]) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد - ابن عبد البر النمري - ج ١٣ ص ٣٤٨ - تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري - الناشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب - سنة النشر ١٣٨٧هـ .

([3])الجامع الصحيح - البخاري - ج٢ ص ٧٥٣ - ح رقم ٢٠ ٥٣ - باب النَّجْشِ وَمَنْ قال لَا يَجُوزُ ذلك الْبَيْعُ .

([4]) الجامع الصحيح - البخاري - ج٢ ص٧٥٧ - ح رقم٢٠٤٩- بَاب هل يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ بِغَيْرِ أَجْرٍ وَهَلْ يُعِينُهُ أو يَنْصَحُهُ .

([5]) الموسوعة الفقهية الكويتية٨٢/٩.

([6]) الكسب الطيب أبحاث فى وظيفة المال فى الإسلام - الشيخ / أحمد أحمد جلباية - ص ٧٠ ، ٧١ - طبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت - ط أولى ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.

المبحث الرابع : آثر الحركة التجارية في نشر الدعوة الإسلامية

وبعد هذا البيان الموجز لضوابط الحركة التجارية فى الإسلام ـ والتى التزم بها المسلمون الأوائل ، وكانت سبباً فى انتشار الإسلام في المشارق والمغارب ـ أعرض هنا لأثر الحركة التجارية الإسلامية مبيناً دورها فى نشر الدعوة الإسلامية فى العالم ، مبيناً دور التجار المسلمين الذين عملوا على نشر الدعوة الإسلامية بين أهل البلاد التي رحلوا إليها بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وبالسلوك الطيب ، والأخلاق الإسلامية الفاضلة ، حتى دخل الكثير من أهل تلك البلاد في الإسلام عن طريقهم منذ الأيام الأولى للإسلام ، سواء على المستوى الداخلى أم الخارجى ، وفيما يلى بيان ذلك فى المطالب التالية : ـ

المطلب الأول : أثر الحركة التجارية في نشر الدعوة الإسلامية داخلياً

كان للحركة التجارية أثر ملموس في نشر الدعوة الإسلامية علي المستوي الداخلي في الجزيرة العربية ونستبين أهم هذه الآثار المباركة من خلال النقاط التالية :

١) دور الحركة التجارية فى الإعلام بدين الإسلام :

فمن أهم الآثار للحركة التجارية الداخلية إعلام الناس بالدعوة الإسلامية " فقد لعبت الرحلات التجارية والأسواق دوراً كبيراً فى إعلام الناس بدين الإسلام فى دوره المكى والمدني ، داخل وخارج حدود الجزيرة العربية ([1]) ، لأنه من الطبيعى المقرر أن التنقلات والالتقاءات فى الأسواق وغيرها تعطى فرصة كبيرة للأقاويل والأحاديث بين الناس ، فلابد أن يكون ظهور الإسلام من أول الأحاديث التى كانوا يتحدثون بها فى هذه المناسبات ، لا سيما وهو أكبر حدث تاريخي بالجزيرة بل بالعالم . "([2]) . وقد أثمرت هذه العلاقات التجارية ثمارها المباركة فى مجال الدعوة الإسلامية من ناحية البلاغ والنشر .

٢) الرحلات التجارية ودورها فى التعريف بالإسلام :

تؤكد الشواهد القرآنية على أن الحركة التجارية كانت إحدى الظواهر الحياتية عند العرب ، فقد كانت لهم قوافل تجارية جبارة تجوب أنحاء الجزيرة العربية ، وكانت لهم علاقات تجارية مع البلاد المجاورة لهم فى شبه الجزيرة ، وقد أشار القرآن الكريم إلي ذلك ممتناً علي قريش بذكر الرحلتين التجاريتين الصيفية إلي بلاد الشام شمالاً، والشتوية إلي بلاد اليمن جنوباً ، فقد كانوا يجوبون الصحراء شمالاً وجنوباً طلباً للأقوات والأرزاق قال تعالى :(لإِيلافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤) . ([3])

ذكر الإمام القرطبي في تفسيره لسورة قريش البلاد التي كانت تشد إليها ومنها قوافل التجارة فقال : " وكان أصحاب الإيلاف أربعة إخوة: هاشم، وعبد شمس، والمطلب،ونوفل، بنو عبد مناف.فأما هاشم فإنه كان يؤلف ملك الشام، أي أخذ منه حبلا وعهدا يأمن به في تجارته إلى الشام.وأخوه عبد شمس كان يؤلف إلى الحبشة.والمطلب إلى اليمن.ونوفل إلى فارس.ومعنى يؤلف يجير.فكان هؤلاء الإخوة يسمون المجيرين.فكان تجار قريش يختلفون إلى الأمصار بحبل هؤلاء الأخوة، فلا يتعرض لهم. والتأويل: أن قريشا كانوا سكان الحرم، ولم يكن لهم زرع ولا ضرع، وكانوا يميرون في الشتاء والصيف آمنين، والناس يتخطفون من حولهم، فكانوا إذا عرض لهم عارض قالوا: نحن أهل حرم الله، فلا يتعرض الناس لهم.... وكانت إحدى الرحلتين إلى اليمن في الشتاء، لأنها بلاد حامية، والرحلة الأخرى في الصيف إلى الشام، لأنها بلاد باردة.وعن ابن عباس أيضا قال: كانوا يشتون بمكة لدفئها، ويصيفون بالطائف لهوائها.وهذه من أجل النعم أن يكون للقوم ناحية حر تدفع عنهم برد الشتاء، وناحية برد تدفع عنهم حر الصيف، فذكرهم الله تعالى هذه النعمة. "([4]).

وثبت قرآنيا بما لا يدع مجالاً للشك أنه كان للحضارة السبيئية واليمنية رحلات تجارية من الجنوب إلي الشمال حتي وصلت إلي بلاد الشام (القري التى بارك الله فيها) ، وقد أشار القرآن الكريم إلي ذلك في قوله تعالي : (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ(١٩)) ([5]).

([1]) للمزيد انظر : أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ـ د / إبراهيم على شعوط ـ مبحث : النشاط التجارى وأثره فى ثقافة العرب ص ٢٧ ـ طبعة دار الشروق جدة ـ طبعة سابعة ـ سنة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

([2]) التجارة فى ضوء القرآن والسنة ـ د/ عبدالغنى الراجحى ـ ص٢٩ـ ط مطابع شركة الإعلانات الشرقية ـ القاهرة .

([3]) سورة قريش كاملة .

([4]) الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبى ـ ج ٢٠ ص ٢٠٤ .

([5]) سورة سبأ : الآيات من ١٥ ـ ١٩ .

وبناءً على هذا فمجموع الطرق التجارية هى : " من سبأ إلى الشام ذهابًا وإيابًا ، ومن مكة إلى الشام ذهابًا وإيابًا ، ومن إفريقيا إلى آسيا ذهابًا وإيابًا عبر الصحراء ، والبحر الأحمر ، والبحر العربي " (١) .

٣) الأسواق التجارية فى الجزيرة العربية ودورها فى التعريف بالإسلام :

لا شك أن للأسواق العربية دوراً بارزاً فى التعريف بالإسلام ، فقد ذكر العلماء أنه كانت للعرب أسواق كثيرة يزاولون فيها التجارة داخل الجزيرة العربية وخارجها (٢) ومن أشهر أسواق العرب : " سوق هجر ناحية البحرين جنوب الخليج العربي وكانت على اتصال ببلاد الهند وفارس (٣)، وحجر واليمامة أواسط نجد وشرقيه وعلى أنقاضها قامت مدينة الرياض "(٤). وسوق عكاظ وهو من أشهرها جاء فى البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ كَانَتْ عُكَاظٌ وَمَجَنَّةُ وَذُو الْمَجَازِ أَسْوَاقًا فِى الْجَاهِلِيَّةِ ، فَلَمَّا كَانَ الإِسْلاَمُ تَأَثَّمُوا مِنَ التِّجَارَةِ فِيهَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ) فِى مَوَاسِمِ الْحَجِّ "(٥). وعكاظ كان من الأسواق العامة التى كان يفد إليها الناس من أطراف الجزيرة العربية وكان يقع جنوب الطائف ، وفيه بجوار الأعمال التجارية نشد الأشعار ، والتفاخر بالأنساب ، وكانوا يُقيمون به شهر شوال كاملاً ، ثم ينتقلون إلى سوق مجنة ، فيقيمون بها عشرين يومًا من ذى القعدة ، ثم ينتقلون إلى سوق ذى المجاز فيقيمون بها إلى الحج . (٦).

ومن الأسواق التي ذكرها المؤرخون داخل الجزيرة العربية أسواق المدينة ومنها :"سوق بنى قينقاع ، سوق البطحاء، سوق الجسر..الخ " (٧).

ومن أشهر الأسواق تلك الأسواق الواقعة على ساحل البحر مثل : " سوق عدن جنوب تهامة على ساحل بحر الهند ، وسوق صنعاء عاصمة اليمن ، وسوق عمان على ساحل بحر اليمن"(٨).

وكانت الحركة التجارية فى هذه الأسواق مع البلاد المجاورة مثل الهند ، والحبشة ، وبلاد فارس . وتدلنا الشواهد التاريخية علي شدة إقبال العرب علي التجارة سواء أكانوا من الشام، أم من اليمن، أم من البحرين ، وغيرها يقول أ / جواد علي في (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) ـ وهو يتحدث عن اقتصاديات الجزيرة العربية فى مكة المكرمة ـ : " ظن الناس ، أن مكة قبل الإسلام ، كانت أرض التجارة والتجار، وقبلة جميع العرب، ومجمع أصنام كل العرب، وموضع تكدس الأموال، وبلد الربا والمرابين. وهو استنتاج أخذ من الروايات التي قصها أهل الأخبار عنها دون نقد ولا تحليل. ولكننا لو استعرضنا ما ذكره أهل الأخبار أنفسهم عن هجر وعن البحرين وبقية العربية الشرقية، فانه يرينا على قلته، إن مدن وقرى هذا الجزء من جزيرة العرب، لم تكن أقل درجة في المال والتجارة والإنتاج من مكة أو المدينة، إن لم تكن قد تفوقت عليهما بالفعل،.دليل ما جاء في أخبارهم عن مقدار الزكاة والصدقات التي أرسلها عمال الرسول والخلفاء إلي المدينة، فإنها تدل على وجود تجارة وأعمال في هذه الأرضين ربما كانت قد فاقت أرباح وأعمال أهل مكة، لكننا لا نعرف عنها شيئاً، بسبب عدم اهتمام المؤرخين والإخباريين بأخبارها في الجاهلية، لعدم وجود صلة لها بتأريخ الإسلام، أو بسبب عدم وقوفهم على أخبارها، فلم يتطرقوا لذلك إلى شيء من أحوالها بصورة مفصلة،فظهرت وكأنها قد تأخرت عن مكة من النواحي الاقتصادية " . (٩) .

٤) حركة الأسواق التجارية فى الجزيرة العربية مداً وجزراً وأثرها الدعوى :

ومن الآثار الطيبة للحركة التجارية أن هؤلاء التجار الذين كانوا يأتون إلي الجزيرة العربية ، ويلتقون بتجار العرب كانوا يسمعون عن بعثة الرسول ﷺ ـ وينقلون ذلك إلي بلادهم ، مما كانت سببًا في قدوم الكثير منهم إلي أرض الجزيرة العربية ؛ ليسمعوا من الرسول ﷺ ـ وقد كان لذلك أثره الطيب في اعتناق الكثير منهم للإسلام وذلك بفضل الحركة التجارية وشاهد ذلك ما ذكره الطبري فى تاريخه عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، أنه ﷺ ـ أتى بني عامر بن صعصعة، فدعاهم إلي الله، وعرض عليهم نفسه، فقال رجل منهم ،يقال له بيحرة بن فراس: والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب. ثم قال له: أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك؛ أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال: الأمر إلي الله يضعه حيث يشاء. قال: فقال له: أفتهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا ظهرت كان الأمر لغيرنا ! لا حاجة لنا بأمرك. فأبوا عليه، فلما صدر الناس، رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم؛ قد كانت أدركته السن؛ حتى لا يقدر على أن يوافي

---

(١) التجارة فى ضوء القرآن والسنة ـ د/ عبدالغنى الراجحى ـ ص ٢٣.

(٢) انظر : تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة التاسع والعاشر للميلاد د / سعيد عبدالله بن بيه القحطانى ـ ص ١٤٧ ـ١٥٧ ـ طبعة دارة الملك عبدالعز ـ الرياض .

(٣) أسواق العرب فى الجاهلية ـ سعيد الأفغانى ص ٢٤٥ ـ طبعة دار الفكر بدمشق ـ طبعة ثانية ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م.

(٤) بلاد العرب ـ الحسن الأصفهانى ـ ص ٢٢٢، ٣٥٨ وما بعدها ـ منشورات دار اليمامة الرياض السعودية ـ عام ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨م ـ تحقيق حمد الجاسر ، د/ صالح العلى .

(٥) صحيح البخارى كتاب البيوع باب الأَسْوَاقِ الَّتِى كَانَتْ فِى الْجَاهِلِيَّةِ فَتَبَايَعَ بِهَا النَّاسُ فِى الإِسْلاَمِ . ح رقم ٢٠٩٨ – ج ٨ ص ١٠.

(٦) بلاد العرب ـ الحسن الأصفهانى ـ ص ٣١ .

(٧) السيرة النبوية ـ ابن هشام – ج ٣ ص ٥٣.

(٨) معجم البلدان ـ ياقوت الحموى – ج٣ص ٤٢٦، ج ٤ ص ٧٠، ج ٤ ص ١٤٢ـ طبعة دار صادر بيروت ـ١٣٧٦هـ/١٩٦٠ م.

(٩) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ د / جواد علي ـ ج١ ص ٣٩٩٨ ـ طبعة دار الساقي ـ ط الرابعة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

معهم الموسم، فكانوا إذا رجعوا إليه، حدثوه بما يكون في ذلك الموسم؛ فلما قدموا عليه ذلك العام، سألهم عما كان في موسمهم، فقالوا: جاءنا فتى من قريش، ثم أحد بني عبد المطلب، يزعم أنه نبي، ويدعو إلى أن نمنعه ونقوم معه؛ ونخرج به معنا إلى بلادنا. قال: فوضع الشيخ يده على رأسه، ثم قال: يا بني عامر، هل لها من تلافٍ ! هل لذناباها من مطلب ! والذي نفس فلان بيده ما تقولها إسماعيلي قط ! وإنها لحق، فأين كان رأيكم عنه ! فكان رسول الله ﷺ على ذلك من أمره؛ كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام، ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الله من الهدى والرحمة، لا يسمع بقادم يقدم من العرب؛ له اسمٌ وشرفٌ إلا تصدى له فدعاه إلى الله، وعرض عليه ما عنده. ([1]).

ومن الثمار اليانعة للحركة التجارية في صدر الإسلام ، الإعلان بدين الإسلام خارج الجزيرة العربية ، وذلك نتيجة الرحلات التجارية ، ومن ذلك قدوم الوفد التجاري العربي إلى (هرقل) - عظيم الروم - ([2]) فقد روى البخاري قال : حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ قَالَ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِى رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ - وَكَانُوا تُجَّارًا بِالشَّأْمِ - فِى الْمُدَّةِ الَّتِى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ فَدَعَاهُمْ فِى مَجْلِسِهِ ، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ فَقَالَ أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِى يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِىٌّ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا . فَقَالَ أَدْنُوهُ مِنِّى ، وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ ، فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ . ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ قُلْ لَهُمْ إِنِّى سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ ، فَإِنْ كَذَبَنِى فَكَذِّبُوهُ . فَوَاللَّهِ لَوْلاَ الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَىَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ ، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِى عَنْهُ أَنْ قَالَ كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ قُلْتُ هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ . قَالَ فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ قُلْتُ لاَ . قَالَ فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ لاَ . قَالَ فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَقُلْتُ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ . قَالَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ قُلْتُ بَلْ يَزِيدُونَ . قَالَ فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ قُلْتُ لاَ . قَالَ فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ قُلْتُ لاَ . قَالَ فَهَلْ يَغْدِرُ قُلْتُ لاَ ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِى مُدَّةٍ لاَ نَدْرِى مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا . قَالَ وَلَمْ تُمْكِنِّى كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ . قَالَ فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ قُلْتُ نَعَمْ . قَالَ فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ قُلْتُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ ، يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ . قَالَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ قُلْتُ يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ . فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِى نَسَبِ قَوْمِهَا ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ ، فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِى بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ ، قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ ، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ ، وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ ، وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ ، وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لاَ تَغْدِرُ ، وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ . فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَىَّ هَاتَيْنِ ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ ، فَلَوْ أَنِّى أَعْلَمُ أَنِّى أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ . ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - الَّذِى بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى ، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ . سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّى أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ وَ (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لاَ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) قَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ ، وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ ، وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا ، فَقُلْتُ لأَصْحَابِى حِينَ أُخْرِجْنَا لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِى كَبْشَةَ ، إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِى الأَصْفَرِ . فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَىَّ الإِسْلاَمَ . وَكَانَ ابْنُ النَّاظُورِ صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وَهِرَقْلَ سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ ، يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ ، فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ قَدِ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ . قَالَ ابْنُ النَّاظُورِ وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً يَنْظُرُ فِى النُّجُومِ ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ إِنِّى رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِى النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ ، فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ قَالُوا لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلاَّ الْيَهُودُ فَلاَ يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ ، فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ . فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى

([1]) تاريخ الرسل والملوك - الطبري - ج١ ص ٤١٢.

([2]) هرقل الأول قيصر الروم (٦١٠- ٦٤١ م) :هو هرقل قيصر الروم الإمبراطور البيزنطيّ، كان يحكم إمبراطورية واسعة، توزّعت مع الإمبراطورية الإيرانية العالم المتمدّن في ذلك اليوم، وحكمت نصف العالم تقريبا، وكانت لها ولايات واسعة غنيّة متمدنة راقية، في القارات الثلاث: أوربة، وآسيا، وإفريقية، وخلفت الدولة الرومية الكبرى التي خضع لها العالم القديم.وكان من أسرة يونانية الأصل، ولد في «كيبوديشية» ونشأ في قرطاجنة «كارتهيج» ، وكان ابن حاكم إفريقية الروميّ ... وكان من كبار ملوك العالم في عصره، لا ينافسه في اتساع المملكة، والقوة الحربية، وزهوّ المدنية، إلا الإمبراطور الإيرانيّ خسرو الثاني، ومات سنة ٦٤١ م في القسطنطينية، ودفن فيها. السيرة النبوية - الشيخ /أبوالحسن الندوي - ص٤٠٠ - الناشر دار ابن كثير – دمشق الطبعة: الثانية عشرة - ١٤٢٥ هـ

أَمْرِهِمْ أُتِىَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ ، يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لاَ . فَنَظَرُوا إِلَيْهِ ، فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَبِ فَقَالَ هُمْ يَخْتَتِنُونَ . فَقَالَ هِرَقْلُ هَذَا مَلِكُ هَذِهِ الأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ . ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ ، وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ ، وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ ، فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْىَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِىِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَأَنَّهُ نَبِىٌّ ، فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِى دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ ، ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الرُّومِ ، هَلْ لَكُمْ فِى الْفَلاَحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِىَّ ، فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الأَبْوَابِ ، فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ ، وَأَيِسَ مِنَ الإِيمَانِ قَالَ رُدُّوهُمْ عَلَىَّ .وَقَالَ إِنِّى قُلْتُ مَقَالَتِى آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ ، فَقَدْ رَأَيْتُ فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ ... ([1]).

وخلاصة هذه الرحلة التجارية : أن أباسفيان بن حرب ـ ﷺ ـ ذهب بعد صلح الحديبية علي رأس وفد تجاري إلي (إيلياء ، وغزة) ببلاد الشام ، فعلم (القيصر هرقل) ([2]) بوجودهم ، وكان قد سمع عن ظهور الإسلام فاستدعي أبا سفيان ورجاله ، وأخذ يسأله عن الإسلام ورسوله ـ ﷺ ـ علي النحو السابق وقد أثمرت هذه الرحلة التجارية ثماراً دعوية طيبة أهمها ما يلى : ـ

- **أولاً** : الإعلام بدين الإسلام خارج جزيرة العرب ، وذلك أن هذه الحركة قد أعطت متنفساً لسؤال الناس عن الإسلام ورسوله ، إذ أن ظهور الإسلام كان من أعظم الأحداث التي كان الناس يتحدثون بها في ذلك الحين .يقول الشيخ / محمد الغزالى : " وقد هاجت حاشية هرقل لاكتراث القيصر بهذه الرسالة، وازدادوا هياجاً عندما عرض عليهم- لا ندري جادا أم هازلا- أن يعتنقوا هذا الدّين!. وهرقل- في نظرنا- رجل سياسيّ، وأمر الدين لا يعنيه إلا بقدر ما يدعم ملكه، وينمّي قوته، وقد تولّى شؤون الدولة في وقت كانت الخلافات الكنسيّة حول طبيعة المسيح تغلي غليان المرجل، وتثير في الأمة انقسامات مخيفة، وقد حاول التقريب بين وجهات النظر المتباينة، وجمع الكنائس المتخاصمة على مذهب واحد فعجز، وتمرّد عليه اليعاقبة وغيرهم في مصر والشام.فالكلام في الإلهيات ليس غريباً عليه، والتقريب بين وجهات النظر لمصلحة الدولة- ديدنه، ولعلّه في أعماق قلبه يحسّ سخف أولئك المختلفين جميعا.وربّما تألقت في نفسه لوقت محدود فكرة الخروج من عقيدة التثليث إلى بساطة التوحيد ثم انطفأت؛ لما ستجرّه على الدولة من خلاف أشقّ في وهمه، وأمر المملكة- عنده- أهمّ من أي شيء آخر.وشاءت لباقة قيصر السياسي أن يستدعي دحية، وأن يحاول إيهامه بأنّه مسلم! ثم أعطاه قدرا من الدنانير.. وصرفه!.وعاد دحية إلى رسول الله ـ ﷺ- بالنبأ، فقال النبي ـ ﷺ-: «كذب عدوّ الله، ليس بمسلم» ، وأمر بالدنانير فقسمت على المحتاجين. ([3])
- **ثانياً** : أن هرقل وبلا أدنى شك علم بهذه الأسئلة التى وجهها للوفد التجارى صدق نبوة الرسول ـ ﷺ- وأنه النبي المنتظر ولكن منعه حبّ الملك عن الدخول في الإسلام. قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ :" وَلاَ عُذْرَ لَهُ فِي هَذَا لأَنَّهُ قَدْ عَرَفَ صِدْقَ النَّبِيِّ ـ ﷺ- وَإِنَّمَا شَحَّ فِي الْمُلْكِ وَرَغِبَ فِي الرِّيَاسَةِ فَآثَرَهَا عَلَى الإِسْلاَمِ وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ مُصَرَّحًا بِهِ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ هِدَايَتَهُ لَوَفَّقَهُ كَمَا وَفَّقَ النَّجَاشِيَّ وَمَا زَالَتْ عَنْهُ الرِّيَاسَةُ وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَوْفِيقَهُ "([4]) وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : "لَوْ تَفَطَّنَ هِرَقْلُ لِقَوْلِهِ ـ ﷺ- فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْهِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ وَحَمَلَ الْجَزَاءَ عَلَى عُمُومِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَسَلِمَ لَوْ أَسْلَمَ مِنْ كُلِّ مَا يَخَافُهُ وَلَكِنَّ التَّوْفِيقَ بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى " ([5]). وسواء أأسلم أم لم يسلم ([6]) إلا أن قدوم هذا الوفد التجارى على بلاده كان له ما بعده من الآثار الكبيرة ،يقول الشيخ /عبد المجيد الزنداني معلقاً على هذا الحدث مبيناً

([1]) صحيح البخارى كتاب بدأ الوحى ـ باب كيف كان بدأ الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ج ١ ص ١٥ ـ ح رقم ٧ .

([2]) قيصر لقب لكل من ملك الروم فى الشام، ويقال لكل من ملك الفرس: كسرى، والترك: خاقان، والحبشة: النجاشى، والقبط: فرعون، ومصر: العزيز، وحمير: تبع. وكان اسم قيصر الذى كان بالشام وكتب إليه النبى ـ ﷺ- كتابه: هِرَقل، بكسر الهاء وفتح الراء، هذا هو المشهور. وقال الجوهرى: يقال أيضًا: هرْقل، بإسكان الراء، ولا ينصرف للعجمة والعلمية.وتنازع ابنا عبد الحكم فى أنه هل كان يقال له: هرقل أم قيصر؟ وترافعا إلى الشافعى، رحمه الله تعالى، فقال: هو هرقل، وهو قيصر، فهرقل اسم علم له، وقيصر لقب. وفى الصحيح أن رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قال: "إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده بالعراق" .قال: وسبب الحديث أن قريشًا كانت تأتى الشام والعراق كثيرًا للتجارات فى الجاهلية، فلما أسلموا خافوا انقطاع سفرهم إليهما لمخالفتهم أهل الشام والعراق بالإسلام، فأجابهم النبى ـ ﷺ- على حسب حاجتهم، فقال: لا قيصر ولا كسرى بعدهما فى هذين الإقليمين، فلا ضرر عليكم، وكان كما قال ـ ـ ﷺ- فلم يكن قيصر بعده فى الشام إلى الأن، ولا يكون، ولا كسرى بعده فى العراق، ولا يكون، وقال ـ ﷺ- ـ: "والذى نفسى بيده، لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله" ، فكان كذلك، ففتحت الصحابة الإقليمين فى زمن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه. تهذيب الأسماء واللغات ـ النووي ـ ج ٢ ص ٥٦ ـ ط دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ..

([3]) فقه السيرة ـ الشيخ / محمد الغزالي السقا ـ ص ٣٥٧ ـ الناشر: دار القلم – دمشق ـ الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ .

([4]) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ـ النووي ـ ج ١٢ ص ١٠٧ .

([5]) فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ ابن حجر العسقلاني ـ ج١ ص ٣٧ .

([6]) يرى الكثير من العلماء أن هرقل لم يسلم وللإمام الذهبى فى هذه القضيه كلام نفيس أسجله هنا لأهميته يقول : " وَكَذَا القَوْلُ فِي هِرَقْلَ إِذْ عَرَضَ عَلَى قَوْمِهِ الدُّخُوْلَ فِي الدِّيْنِ فَلَمَّا خَافَهُمْ قَالَ: إِنَّمَا كُنْتُ أَخْتَبِرُ شِدَّتَكُم فِي دِيْنِكُم. فَمَنْ أَسْلَمَ فِي بَاطِنِهِ هَكَذَا فَيُرْجَى لَهُ الخَلاَصُ مِنْ خُلُوْدِ النَّارِ إِذْ قَدْ حَصَّلَ فِي بَاطِنِهِ إِيْمَاناً مَا وَإِنَّمَا يُخَافُ أَنْ يَكُوْنَ قَدْ خَضَعَ لِلإِسْلاَمِ وَلِلرَّسُوْلِ وَاعْتَقَدَ أَنَّهُمَا حَقٌّ مَعَ كَوْنِ أَنَّهُ عَلَى دِيْنٍ صَحِيْحٍ فَتَرَاهُ يُعَظِّمُ لِلدِّيْنَيْنِ كَمَا قَدْ فَعَلَهُ كَثِيْرٌ مِنَ المُسْلِمَانِيَّةِ الدَّوَاوِيْنِ فَهَذَا لاَ يَنْفَعُهُ الإِسْلاَمُ حَتَّى يَتَبَرَّأَ مِنَ الشِّرْكِ. " سير أعلام النبلاء ـ الذهبي ـ ج٣ ص ٣٤٨ ـ الناشر: دار الحديث- القاهرة الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .

فائدته الدعوية : " وممن أقر بنبوة محمد - ﷺ- ولم يدخل في الإسلام هرقل ملك النصارى الروم الذي قال لأبي سفيان بن حرب بعد أن سأله عن أحوال وصفات محمد - ﷺ- :قد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه " ([1]).

☒ ثالثاً : والأهم من ذلك كُلِّه هو أنَّ هرقل، بعد أن وصله كتاب النَّبيّ - ﷺ- بعد الحديبية، وعرف صدق نبوءته - ﷺ- أصبح غير متحمس للقاء المسلمين في ميادين القتال، لمعرفته التامَّة بأنَّهم سيظهرون على غيرهم من الأمَم بما فيهم الرومان، عَرَفَ ذلك من خلال كُتُب النصارى التي بشَّرت بنبي الإسلام أحمد - ﷺ- ومن خلال المنجّمين الذين حذروه من أمة الختان التي ستسلب ملكه منه، وهكذا، فإنه في معارك أخرى جرت بعد ذلك بين المسلمين والبيزنطيين، لم يتولّ هرقل قيادة أي معركة منها، حتى المعارك الحاسمة الضخمة، كاليرموك مثلاً، والتي تُعدّ من حيث حشد القوَّات فيها مِن قِبَل الطرفين، والاستعدادات المبكرة لها، واستشعار الروم وملكهم بخطر المسلمين المستفحل عليهم، وما كان سيترتب عليها من نتائج في حال ظفر أو هزيمة أيٍّ من الفريقين، أكبر بكثير من مؤتة".([2]).

☒ رابعاً : ولا شك أن آثار هذه الحادثة امتدت طويلاً وكان لها أثرها على تاريخ الدعوة الإسلامية يقول د / عماد الدين خليل : " وفي تبوك راح الرسول - ﷺ- يراقب الروم ويتحداهم أن يبرزوا له ويقاتلوه.ويذكر المسعودي أنه جرت خلال ذلك مراسلات بين الرسول - ﷺ- وبين هرقل الذي كان يقيم آنذاك في حمص وربما في دمشق . ويشير (درمنغم) إلى أن اتفاقاً سرياً تم بين محمد وهرقل يقضي بسماح الأخير لعرب الشمال باعتناق الإسلام ، ويبدو أن (درمنغم) بنى استنتاجه هذا على رواية المسعودي آنفة الذكر ، وإن لم يكن من المستبعد أن يُقرّ هرقل اتفاقاً كهذا يُخلصه من كثير من المشاكل التي بدأت دولة الإسلام تسببها لحدوده الجنوبية ، فأخذ الرسول - ﷺ- يتصل في الوقت نفسه بزعماء القبائل النصرانية المنتشرة في المنطقة ويتلقى سفاراتهم، فيعقد معهم معاهدات الصلح والتعاون، ويقطع- بذلك- ولاءهم للدولة البيزنطية ويحولهم إلى مواطنين أو حلفاء للدولة الإسلامية، وهو الهدف الذي كان يطمح إلى تحقيقه منذ بدء صراعه مع الروم. ([3]).

☒ خامساً : يدلك موقف هرقل مع أتباعه الذين كانوا يزعمون أنهم كانوا على دين عيسى عليه الصلاة والسلام، على مدى التكبر على الحق والتعنت في الباطل عند كثير من أهل الكتاب، وهم الذين تحول الدين في تصورهم إلى تقاليد وعصبية، فلا ينظرون إليه من حيث إنه حق أو باطل بمقدار ما يتمسكون به من حيث إنه جزء من تقاليدهم ومظهر لعصبيتهم وشخصيتهم وليكن بعد ذلك إذا شاء حقا أو باطلا. ولقد بدى موقف هرقل بادئ الأمر في مظهر المتدبر المقدر لحقائق الأمور، ولكن يبدو أنه كان يسوس بذلك رعيته وحاشيته ويجس نبضهم، ليطمئن إلى ما ينبغي أن يفعله حفاظا على ملكه وسلطانه حيال هذا الأمر. ([4])

وهذا يدلنا على الدور العظيم الذي لعبته الحركة التجارية في صدر الإسلام في إعلام الناس بالإسلام سواء داخل الجزيرة العربية أم خارجها ، ولقاء (أبو سفيان وهرقل) في بيت المقدس من أعظم الشواهد على ذلك .

٥) دور الأسواق الدعوى والديني في العصر النبوى :

تدلنا الشواهد التاريخية على ما للأسواق من أثر في نشر الدعوة الإسلامية ؛ إذ أنها من أكبر الأماكن التي يتجمع فيها الناس خاصة في مواسم الحج ، والتجارة وهذا ما يؤكد على النشاط الديني للأسواق " فجُل أسواق العرب الموسمية كانت تنظم لأجل الاحتفالات الدينية ، فقد كانت أماكن للعبادة ، ثم عفا عليها النسيان ، وقل شأنها من الناحية الدينية بازدياد شأن الحرم المكي "([5]).

وقد ذكر كثير من المؤرخين - وعلى رأسهم صاحب كتاب معجم البلدان - أن العرب كانوا يأتون عكاظ يطوفون ويحجون إلى صخرة فيه يقول وهو يتحدث عن سوق عكاظ : " وكانت هناك صخور يطوفون بها ويحجون إليها " ([6]) .وهذا يدلل على مكانة الأسواق ودورها الديني فضلاً عن دورها الأدبي والتجاري .

وقد استغل النبي - ﷺ- هذه الوسيلة حيث كان يذهب إلي الأسواق كل عام في موسم الحج ، ليعرض الإسلام علي الناس ، وكان أبو لهب يمشي خلفه ليكذبه فيما يقول روى الحاكم في المستدرك عَنْ طَارِقِ الْمُحَارِبِيِّ ، قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- مَرَّتَيْنِ : مَرَّةً بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ ، وَأَنَا فِي بِيَاعَةٍ لِي أَبِيعُهَا ، وَمَرَّ عَلَيْهِ جُبَّةٌ لَهُ حَمْرَاءُ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ : أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ تُفْلِحُوا ، قَالَ : وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ بِالْحِجَارَةِ ، وَقَدْ أَدْمَى كَعْبَيْهِ وَعُرْقُوبَيْهِ ، وَيَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ لا تُطِيعُوهُ ، فَإِنَّهُ كَذَّابٌ ، قُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : هَذَا غُلامُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، قُلْتُ : فَمَنْ هَذَا الَّذِي يَتْبَعُهُ يَرْمِيهِ ؟ قَالُوا : عَمُّهُ عَبْدُ الْعُزَّى وَهُوَ أَبُو لَهَبٍ قَالَ : فَلَمَّا ظَهَرَ الإِسْلامُ وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ ، أَقْبَلْنَا فِي رَكْبٍ مِنَ الرَّبَذَةِ ، حَتَّى نَزَلْنَا قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَةِ وَمَعَنَا ظَعِينَةٌ لَنَا ، قَالَ : فَبَيْنَمَا نَحْنُ قُعُودٌ إِذْ أَتَانَا رَجُلٌ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَبْيَضَانِ ، فَسَلَّمَ فَرَدَدْنَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلَ الْقَوْمُ ؟ قُلْتُ :مِنَ الرَّبَذَةِ ،

([1]) بينات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومعجزاته - الشيخ / عبد المجيد بن عزيز الزنداني - ص ٢٤ - الناشر: دار الإيمان - القاهرة

([2]) غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية - بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري ص ٢٨٦ -الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م .

([3]) دراسة في السيرة - المؤلف: عماد الدين خليل - ص ٢٥٣ - الناشر: دار النفائس – بيروت الطبعة: الثانية - ١٤٢٥ هـ .

([4]) فقه السيرة النبوية - محمد سعيد رمضان البوطي - ص ٢٥٥ الناشر: دار الفكر – دمشق الطبعة: الخامسة والعشرون - ١٤٢٦ هـ

(٥) دائرة المعارف الإسلامية - مجموعة من المستشرقين - ج ١٢ ص ٣٨٢ - مادة سوق - ترجمة / أحمد الشناوي ، إبراهيم خورشيد د/ عبد الحميد يونس - الطبعة الأولى العربية عام ١٩٣٣م - طبعة بيروت - دار المعرفة.

([6]) معجم البلدان – ياقوت الحموى – ج ٤ ص ١٤٢.

قَالَ : وَمَعَنَا جَمَلٌ أَحْمَرُ فَقَالَ : تَبِيعُونِي الْجَمَلَ ؟ قَالَ : قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : بِكَمْ ؟ قُلْنَا : بِكَذَا وَكَذَا صَاعًا مِنْ تَمْرٍ ، قَالَ : فَمَا اسْتَوْضَعْنَا شَيْئًا ، قَالَ : قَدْ أَخَذْتُهُ قَالَ : ثُمَّ أَخَذَ بِرَأْسِ الْجَمَلِ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ ، فَتَوَارَى عَنَّا فَتَلَاوَمْنَا بَيْنَنَا ، قُلْتُ : أَعْطَيْتُمْ جَمَلَكُمْ رَجُلًا لا تَعْرِفُونَهُ ، قَالَتِ الظَّعِينَةُ : لا تَلُومُوا ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ وَجْهًا مَا كَانَ لِيَخْفُوَكُمْ ، رَأَيْتُ رَجُلًا أَشْبَهَ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ مِنْ وَجْهِهِ ، قَالَ : فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ أَتَى رَجُلٌ ، قَالَ : السَّلامُ عَلَيْكُمْ ، إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ وَإِنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا حَتَّى تَشْبَعُوا ، وَتَكْتَالُوا حَتَّى تَسْتَوْفُوا ، فَأَكَلْنَا حَتَّى شَبِعْنَا ، وَاكْتَلْنَا حَتَّى اسْتَوْفَيْنَا ، قَالَ : فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ وَهُوَ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ : يَدُ الْمُعْطِي الْعُلْيَا ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ أُمَّكَ وَأَبَاكَ ، وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَؤُلاءِ بَنُو ثَعْلَبَةَ بْنِ يَرْبُوعٍ الَّذِينَ قَتَلُوا فُلانًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَخُذْ لَنَا بِثَأْرِنَا ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ ، قَالَ : أَلا لا يَجْنِي امْرُؤٌ عَلَى وَلَدٍ ، أَلا لا يَجْنِي امْرُؤٌ عَلَى وَلَدٍ " ([1]).

٦) عمل النبى -ﷺ- بالتجارة وأثره الدعوى :

ثبت أيضًا عمله -ﷺ- التجارى وذهابه للتجارة بمال السيدة خديجة - رضى الله عنها - إلى الشام وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ، وقد شرُفت أسواق العرب بحضور رسول الله -ﷺ- قبل أن يوحى إليه ، فكان على علم بطبيعتها ومكانتها ، وقد واصل النبى -ﷺ- عمله بالتجارة حتى بعد الزوج من السيدة خديجة ولم يركن إلى الدعة والرحة كما يقول الشيخ / محمد الغزالي : " وقد استأنف محمد -ﷺ- ما ألفه بعد زواجه من حياة التأمل والعزلة، وهجر ما كان عليه العرب في أحفالهم الصاخبة من إدمان ولغو وقمار ونفار، وإن لم يقطعه ذلك عن إدارة تجارته، وتدبير معايشه، والضرب في الأرض والمشي في الأسواق. "([2]).

وكان من أهم الآثار الدعوية المباركة لعمله -ﷺ- بالتجارة أنه اطلع على من حوله وتعرف على طبائع الأمم ، حيث ذهب بالتجارة إلى أسواق الشام ، فساعده ذلك على الاطلاع على تجارب الآخرين ، والاستفادة من آرائهم ، وكان لهذه الإفادة أثرها فى معرفة قبائل العرب وبطونها ، وظهر أثر ذلك فى دعوته لهم ، ومحاوراته إياهم لما قرر أن يعرض الإسلام على قبائل العرب - فى الأسواق - لعلها تنصره وتؤازره ، فكان يطوف على منازل أحياء العرب حتى يدعوهم إلى الله يقول ابْنُ إِسْحَاقَ : " ثُمَّ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مَكَّةَ ، وَقَوْمُهُ أَشَدُّ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ وَفِرَاقِ دِينِهِ إِلَّا قَلِيلًا مُسْتَضْعَفِينَ مِمَّنْ آمَنَ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَعْرِضُ نَفْسَهُ فِي الْمَوَاسِمِ إِذَا كَانَتْ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَيَسْأَلُهُمْ أَنْ يُصَدِّقُوهُ وَيَمْنَعُوهُ حَتَّى يُبَيِّنَ (لَهُمْ) اللَّهُ مَا بَعَثَهُ بِهِ ... وَرَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَقِفُ عَلَى مَنَازِلِ الْقَبَائِلِ مِنَ الْعَرَبِ ، فَيَقُولُ يَا بَنِي فُلَانٍ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَخْلَعُوا مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَنْدَادِ وَأَنْ تُؤْمِنُوا بِي ، وَتُصَدِّقُوا بِي ، وَتَمْنَعُونِي ، حَتَّى أُبَيِّنَ عَنْ اللَّهِ مَا بَعَثَنِي بِهِ ." ([3]).

ولا شك أن اختياره -ﷺ- لهذا الوقت من السنة ، الذى تأتى فيه القبائل العربية من كل حدب وصوب ، يدل على حكمته البالغة فى الدعوة إلى الله ، إذ كان يسهل عليه لقاء القبائل المتنوعة ، التى اجتمعت فى هذا المكان . ويذكر العلامة (ابن كثير) نموذجاً لأثر معرفة الرسول -ﷺ- بقبائل العرب وبطونها وكيف وظف ذلك فى التأثير على المدعويين ، ويتضح ذلك من حديثه لعمه " لَا أَرَى لِي عِنْدَكَ وَلَا عِنْدَ أَخِيكَ مَنَعَةً فَهَلْ أَنْتَ مُخْرِجِي إِلَى السُّوقِ غداً حتى نقر فِي مَنَازِلَ قَبَائِلِ النَّاسِ " وَكَانَتْ مَجْمَعَ الْعَرَبِ.قَالَ فَقُلْتُ هَذِهِ كِنْدَةُ وَلَفُّهَا وَهِيَ أَفْضَلُ مَنْ يَحُجُّ الْبَيْتَ مِنَ الْيَمَنِ وَهَذِهِ مَنَازِلُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، وَهَذِهِ مَنَازِلُ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ؟ قَالَ فَبَدَأَ بِكِنْدَةَ فَأَتَاهُمْ فَقَالَ مِمَّنِ الْقَوْمُ؟ قَالُوا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ.قَالَ مِنْ أَيِّ الْيَمَنِ؟ قَالُوا مِنْ كِنْدَةَ.قَالَ مِنْ أَيِّ كِنْدَةَ؟ قَالُوا مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ مُعَاوِيَةَ، قَالَ فَهَلْ لَكُمْ إِلَى خَيْرٍ؟ قَالُوا وَمَا هُوَ؟ قَالَ: " تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَتُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَتُؤْمِنُونَ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ "... فَانْصَرَفَ مِنْ عِنْدِهِمْ فَأَتَى بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ فَقَالَ مِمَّنِ الْقَوْمُ؟ قَالُوا مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ.فَقَالَ مِنْ أَيِّ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ؟ قَالُوا مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ.قَالَ كَيْفَ الْعَدَدُ؟ قَالُوا كَثِيرٌ مِثْلُ الثَّرَى.... قَالَ الكلبي: فأخبرني عبد الرحمن المعايري عَنْ أَشْيَاخٍ مِنْ قَوْمِهِ قَالُوا: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ بِسُوقِ عُكَاظٍ، فَقَالَ مِمَّنِ الْقَوْمُ؟ قُلْنَا مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ.قَالَ مِنْ أَيِّ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ؟ قَالُوا: بَنُو كَعْبِ بْنِ ربيعة. ([4]) .

والحق أن معرفته -ﷺ- لقبائل العرب وبطونها وأنسابها كان له الأثر الأكبر فى التأثير على المدعويين وهدايتهم إلى الإسلام . ويذكر ابن سعد فى الطبقات ما يدل على أن الرسول -ﷺ- كان ينتقل من سوق إلى آخر كل سنة ليعرض عليهم الإسلام يقول : " أقام رسول الله، -ﷺ-، بمكة ما أقام يدعو القبائل إلى الله ويعرض نفسه عليهم كل سنة بمجنة وعكاظ ومنى أن يؤوه حتى يبلغ رسالة ربه ولهم الجنة، فليست قبيلة من العرب تستجيب له ويؤذى ويشتم حتى أراد الله إظهار دينه ونصر نبيه وإنجاز ما وعده، فساقه إلى هذا الحي من الأنصار لما أراد الله به من الكرامة، فانتهى إلى نفر منهم وهم يحلقون رؤوسهم، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فاستجابوا لله ولرسوله فأسرعوا وآمنوا وصدقوا وآووا ونصروا وواسوا، وكانوا والله أطول الناس ألسنة، وأحدهم سيوفاً " . ([5]) .

([1]) المستدرك على الصحيحين - الحاكم - ج ٢ ص ٦٦٨ ح رقم ٤٣١٩ - وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

([2]) فقه السيرة - الشيخ / محمد الغزالي - ص ٨٢ - طبعة دار القلم – دمشق - الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ.

([3]) تاريخ الرسل والملوك - الطبري - ج١ ص ٤١١ . سيرة ابن هشام - ج١ ص ٤٢٢ .

([4]) البداية والنهاية - ابن كثير - ج ٣ ص ١٧٢ - طبعة دار إحياء التراث العربي - الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م.

([5]) الطبقات الكبرى - محمد ابن سعد - ج١ ص ٢١٧ - طبعة دار صادر - بيروت - الطبعة الأولى - عام ١٩٦٨ م .

وشارك النبى - ﷺ- فى هذه المهمة أكابر الصحابة روى أبونعيم عن ابن عباس - ﷺ- قال : حدثني علي بن أبي طالب - ﷺ- قال : لما أمر الله عز وجل نبيه - ﷺ- أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منى حتي دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب " (١) .

ومن أشهر القبائل التى دعاها النبى - ﷺ- إلى الإسلام ما ذكره الواقدي " إنه - ﷺ- عرض عليهم نفسه ودعاهم إلى الإسلام بنو عامر ، وغسان، وبنو فزارة ، وبنو مرة ، وبنو حنيفة ، وبنو سليم ، وبنو عبس ، وبنو نصر من هوازن ، وثعلبة بن العكابة ، وكندة ، وكلب ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو عذرة ، وقيس بن الخطيم ، وأبو الجيش أنس بن أبي رافع . "(٢) .

ومن خلال العدد الكبير للقبائل (٣) التى كانت تأتى إلى الأسواق يتبين لنا حجم وصعوبة المهمة التى كان يضطلع بها الرسول - ﷺ- لذلك فقد استغرقت هذه المهمة وقتاً طويلاً من عمر الدعوة الإسلامية يقول ابن سعد : " قالوا: أقام رسول الله - ﷺ- بمكة ثلاث سنين من أول نبوته مستخفياً، ثم أعلن في الرابعة فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين، يوافي المواسم كل عام يتبع الحاج في منازلهم في المواسم بعكاظ ومجنة وذي المجاز يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة، فلا يجد أحداً ينصره ولا يجيبه، حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ." (٤) .

وإذا كان الكثير منهم قد أعرض عن الدعوة إلا أن هذه الوسيلة الدعوية من خلال الأسواق التجارية آتت ثمارها كل حين بإذن ربها ، وأصدق مثال علي ذلك : الوفد التجاري المدني الذي جاء إلى (مكة) وتعرف علي الإسلام من رسول الله - ﷺ - في سوق مكة في بيعة العقبة الأولي والثانية حتي صاروا طلائع للإسلام في يثرب ، وتم ذلك عن طريق الأسواق والتجارة ، ومن أجمع الروايات التى ذكرت ذلك ما رواه الحاكم فى المستدرك عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ -رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - لَبِثَ عَشْرَ سِنِينَ يَتْبَعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ فِي الْمَوْسِمِ وَمَجَنَّةَ وَعُكَاظَ وَمَنَازِلِهِمْ مِنْ مِنًى «مَنْ يُؤْوِينِي، مَنْ يَنْصُرُنِي، حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَاتِ رَبِّي فَلَهُ الْجَنَّةُ؟» فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَنْصُرُهُ وَلَا يُؤْوِيهِ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْحَلُ مِنْ مِصْرَ، أَوْ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى ذِي رَحِمِهِ فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ فَيَقُولُونَ لَهُ: احْذَرْ غُلَامَ قُرَيْشٍ لَا يَفْتِنَنَّكَ وَيَمْشِي بَيْنَ رِحَالِهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ حَتَّى بَعَثَنَا اللَّهُ مِنْ يَثْرِبَ فَيَأْتِيهِ الرَّجُلُ مِنَّا فَيُؤْمِنُ بِهِ، وَيُقْرِئُهُ الْقُرْآنَ فَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ فَيُسْلِمُونَ بِإِسْلَامِهِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رَهْطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ، وَبَعَثَنَا اللَّهُ إِلَيْهِ فَائْتَمَرْنَا وَاجْتَمَعْنَا وَقُلْنَا: حَتَّى مَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ، فَرَحَلْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ فَوَاعَدَنَا بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ فَقَالَ لَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ: يَا ابْنَ أَخِي لَا أَدْرِي مَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ جَاءُوكَ إِنِّي ذُو مَعْرِفَةٍ بِأَهْلِ يَثْرِبَ فَاجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ فَلَمَّا نَظَرَ الْعَبَّاسُ فِي وُجُوهِنَا قَالَ: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا نَعْرِفُهُمْ، هَؤُلَاءِ أَحْدَاثٌ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَى مَا نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ، وَالْكَسَلِ، وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ، وَالْيُسْرِ وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى أَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لَا تَأْخُذُكُمْ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ، وَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ عَنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمُ الْجَنَّةُ» فَقُمْنَا نُبَايِعُهُ وَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ وَهُوَ أَصْغَرُ السَّبْعِينَ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ، إِنَّا لَمْ نَضْرِبْ إِلَيْهِ أَكْبَادَ الْمَطِيِّ إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ وَأَنَّ يَعَضَّكُمُ السَّيْفُ فَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَيْهَا إِذَا مَسَّتْكُمْ وَعَلَى قَتْلِ خِيَارِكُمْ وَمُفَارَقَةِ الْعَرَبِ كَافَّةً، فَخُذُوهُ وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللَّهِ وَإِمَّا أَنْتُمْ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خِيفَةً فَذَرُوهُ فَهُوَ عُذْرٌ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالُوا: يَا أَسْعَدُ أَمِطْ عَنَّا يَدَكَ فَوَاللَّهِ لَا نَذَرُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ وَلَا نَسْتَقِيلُهَا، قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ رَجُلًا رَجُلًا فَأَخَذَ عَلَيْنَا لِيُعْطِيَنَا بِذَلِكَ الْجَنَّةَ «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ جَامِعٌ لِبَيْعَةِ الْعَقَبَةِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» ." (٥).

فكثيراً ما كانت تشغل قضية ظهور الإسلام بال ونفوس الكثير ممن قاموا لأسواق الجزيرة العربية ويبحثون فيها حتي يهتدوا إلي نور الإسلام . ونستنبط مما كان يصنعه أعداء الإسلام من الدعاية التحذيرية الصفراء - لكل آت للجزيرة العربية - من الدين الجديد ، وفتي قريش الصابيء (محمد - ﷺ -) ، مما كان يدفع الكثير منهم للتعرف علي الإسلام والاهتداء بنوره ، بل ودعوة قومه كافة للدخول فيه إذا رجع إليهم مسلماً ، مطمئناً قلبه بالإيمان ، والنماذج علي ذلك كثيرة (٦) نذكر منها :

سيدنا الطفيل بن عمرو الدوسى - رضي الله عنه- ذكر الإمام البيهقي فى دلائل النبوة عن محمد بن إسحاق بن يسار - رحمه الله - قال : " كان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة ورسول الله - ﷺ - بها فمشى إليه رجال قريش ، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً (٧)، فقالوا له : إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وإنما قوله كالسحر يفرق بين المرء وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه

---

(١) دلائل النبوة - لأبي نعيم الأصبهاني - ج١ ص ٢٥٠ - ح رقم ٢٠٩ .

(٢) دلائل النبوة - لأبي نعيم الأصبهاني - ج١ ص ٢٥٥ - ح رقم ٢١٤ .

(٣) انظر : أسوق العرب التجارية فى شبه الجزيرة العربية د/ حقى إسماعيل إبراهيم - ص ٢٠٩ - طبعة دار الفكر للطباعة والنشر - الأردن عمان - طبعة أولى - عام ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م .

(٤) الطبقات الكبرى - ابن سعد - ج١ ص ٢١٦ .

(٥) المستدرك - الحاكم - كتاب الهجرة الأولى إلى الحبشة ج ٢ ص ٦٨١ - ح رقم ٤٢٥١ - وقال: (حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه)

(٦) انظر مثلاً : قصة إسلام أبوذر الغفارى ، وسلمان الفارسى .

(٧) اللبيب : الذكي العاقل .

وبين الرجل وبين زوجته ، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمنه ولا تسمعن منه ، قال : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً (قطناً) فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله . قال : فغدوت إلى المسجد ، فإذا رسول الله - ﷺ - قائم يصلي عند الكعبة ، فقمت قريبا منه فأبى (رفض وامتنع) الله إلا أن يسمعني بعض قوله ، فسمعت كلاماً حسنا ، فقلت في نفسي : واثكل ([1]) أماه ، والله إني لرجل لبيب شاعر ، ما يخفى علي الحسن من القبيح فما يمنعني من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول فإن كان الذي يأتي به حسنا قبلت وإن كان قبيحا تركت ، قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله - ﷺ - إلى بيته ، فتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت : يا محمد ، إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا ، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله عز وجل إلا أن يسمعنيه ، فسمعت قولا حسنا فاعرض علي أمرك ، قال : فعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم علي الإسلام وتلا علي القرآن فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ، ولا أمرا أعدل منه ، فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، وقلت : يا نبي الله إني امرؤ مطاع في قومي وإني راجع إليهم فداعيهم إلي الإسلام ، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عونا عليهم فيما أدعوهم إليه ، فقال : « اللهم اجعل له آية » . قال : فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنية يقال لها كذا وكذا تطلعني علي الحاضر ، وقع نور بين عيني مثل المصباح قال : قلت : اللهم في غير وجهي إني أخشى أن يظنوا أنها مثلة ([2]) وقعت في وجهي لفراق دينهم ، قال : فتحول فوقع في رأس سوطي كالقنديل المعلق وأنا أهبط إليهم من الثنية حتى جئتهم فأصبحت فيهم . فلما نزلت أتاني أبي وكان شيخا كبيرا ، فقلت : إليك عني يا أبت ، فلست منك ولست مني ، قال : لم يا بني ؟ قلت : أسلمت وتابعت دين محمد ، قال : يا بني ، فديني دينك ، قال : قلت : فاذهب يا أبت فاغتسل وطهر ثيابك ، ثم تعال حتى أعلمك ما علمت ، قال : فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم . ثم أتتني صاحبتي فقلت لها : إليك عني فلست منك ولست مني ، قالت : لم ؟ بأبي أنت وأمي ؟ قلت : فرق الإسلام بيني وبينك ، أسلمت وتابعت دين محمد - ﷺ - قالت : فديني دينك ، قال : قلت : فاذهبي إلى حنى ذي الشرى فتطهري منه وكان ذو الشرى صنما لدوس وكان للحنى حمى حوله وبه وشل من ماء يهبط من جبل إليه ، قالت : بأبي وأمي أتخشى علي الصبية من ذي الشرى شيئا ؟ قال : قلت لا ، أنا ضامن لك ، قال : فذهبت واغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت . ثم دعوت دوسا إلى الإسلام فأبطئوا علي فجئت رسول الله - ﷺ -، فقلت : يا نبي الله ، إنه قد غلبني على دوس الزنا ، فادع الله عليهم ، فقال : « اللهم اهد دوسا » ، ثم قال : « ارجع إلى قومك فادعهم إلى الله وارفق بهم » ، فرجعت إليهم فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلي الله ، ثم قدمت على رسول الله - ﷺ - بمن أسلم معي من قومي ، ورسول الله - ﷺ - بخيبر ، فنزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتا من دوس ، ثم لحقنا برسول الله - ﷺ - بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين " ([3]) .

٧) علاقة الحركة التجارية بمصدر الدعوة الإسلامية الأول (القرآن الكريم) :

وتكشف لنا المصادر العلمية ([4]) عن الأثر الطيب للحركة التجارية في صدر الإسلام وعلاقتها بمصدر الدعوة الأول القرآن الكريم من ناحية بلاغته وإعجازه ، فقد كان العرب ينقلون مشترياتهم وبضائعهم التي يتاجرون فيها بأسمائها التي وُضعت لها بلغة بلادها ، فيأتون بها إلي داخل الجزيرة العربية ، وتشتهر بها بين العرب، فتعتبر عربية، أو معربةً ، فيستعملها القرآن الكريم وتنطق بها آياته ، وهذا ما يسمي (المُعرب) أو ما فيه ألفاظ العرب الأصيلة ، فقد ذكر الإمام السيوطي ([5]) في (الإتقان) فِي النَّوْعُ الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ: فِيمَا وَقَعَ فِيهِ (القرآن) بِغَيْرِ لُغَةِ الْعَرَبِ قال : وَقَدْ أَفْرَدْتُ فِي هَذَا النَّوْعِ كِتَابًا سَمَّيْتُهُ: (الْمُهَذَّبَ فِيمَا وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْمُعَرَّبِ) إلى أن قال : وَهَذَا سَرْدُ الْأَلْفَاظِ الْوَارِدَةِ فِي الْقُرْآنِ مِنْ ذَلِكَ مرتبة على حروف المعجم ، وذكر أمثلة كثيرة لذلك منها : " الأرائك - الأكواب - الإستبرق - السندس - الزنجبيل - الفسطاط - القنطار - المَرْجَانُ -

---

([1]) وا ثكل : أسلوب ندبة يدل على الدعاء بالموت والفقد .

([2]) المُثْلة : جدع الأطراف أو قطعها أو تشويه الجسد تنكيلاً .

([3]) دلائل النبوة - للبيهقي - ٥ / ٤٦٠ ح رقم ٢١٠٧ - باب قصة دوس والطفيل بن عمرو. وقال ابن يسار : وفيه فلما قبض رسول الله - ﷺ - وارتدت العرب ، خرج الطفيل مع المسلمين حتى فرغوا من طليحة ، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ، ومعه ابنه عمرو بن الطفيل ، فقال لأصحابه : إني قد رأيت رؤيا فاعبروها لي : رأيت أن رأسي قد حلق ، وأنه قد خرج من فمي طائر ، وأن امرأة لقيتني فأدخلتني في فرجها ، ورأيت أن ابني يطلبني طلبا حثيثا ، ثم رأيته حبس عني . قالوا : خيرا رأيت ، قال : أما والله إني قد أولتها . قالوا : وما أولتها ؟ قال : أما حلق رأسي فوضعه ، وأما الطائر الذي خرج من فمي فروحي ، وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها فالأرض تحفر فأغيب فيها ، وأما طلب ابني إياي ثم حبسه عني فإني أراه سيجتهد لأن يصيبه من الشهادة ما أصابني . فقتل الطفيل شهيدا باليمامة ، وجرح ابنه عمرو جراحا شديدا ، ثم قتل عام اليرموك شهيدا في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -.

([4]) انظر : التجارة فى ضوء القرآن والسنة - د/ عبدالغنى الراجحي - ص ٢٨.

([5])السيوطى:(٨٤٩ - ٩١١ هـ = ١٤٤٥ - ١٥٠٥ م) الجَلَال السُّيُوطي عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب. له نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة. نشأ في القاهرة يتيما (مات والده وعمره خمس سنوات) ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل، منزويا عن أصحابه جميعا، كأنه لا يعرف أحدا منهم، فألف أكثر كتبه. منها : (الإتقان في علوم القرآن والأشباه والنظائر) .انظر : الأعلام - الزركلي - ج٣ ص ٣٠١ .

المسْكُ) ونسب كثير من ألفاظ القرآن إلي الفارسية ، أو الحبشية ، أو الرومية ، أو البنطية ، وذكر أن تلك الألفاظ تبلغ أكثر من مائة ، ونظم ذلك في أبيات شعرية طويلة . ([1]).

يقول أحد الباحثين : " ولا يقل شأنًا عن النشاط التجاري في الأسواق ، أثر هذا الاختلاط في اللغة والدين والعادات، فإن قيام قريش عليها الأعوام الطويلة قبل البعثة، مكّنها من أن تتبوّأ في اللغة المكان الأعلى؛ لأن لغات القبائل عامة يمنيها وعمانيها وشاميها وعراقيها ونجديها وتهاميها، تطرق مسامعها على الدوام فتختار منها ما يحسن، وتنفي ما يقبح. وقامت على هذا الاصطفاء زمنا كافيا حتى خلصت لها هذه اللغة الممتازة، وتهيأت لينزل بها القرآن الكريم على أفصح وجه، وأبلغه وأتمه كمالا وسلاسة وجمالا.وكان الشعراء الذين ينظمون لينشدوا بعكاظ، يتوخون اللغة المجمع على فصاحتها، والتي صار لها من النفوذ والشيوع ما للغات العامة اليوم، فكأن لهجة قريش هي اللهجة الرسمية بين لهجات الجزيرة كلها، حتى اليمن والحيرة وغسان([2]). وهذا مما يؤكد علي أن العلاقة بين الحركة التجارية في أسواق الجزيرة العربية وبلاغة القرآن الكريم وإعجازه ، ورسالة الإسلام هي من أقوي العلاقات .

٨) <u>الأثر الدعوى للحركة التجارية فى عهد الراشدين :</u>

إذا كان العهد الإسلامي الأول قد شهد نشاطاً تجارياً واسعاً ، فإن العهود الأخرى قد شهدت مثل ذلك ، واستمرت الحركة التجارية قائمة في شبة الجزيرة العربية في عهد الخلفاء الراشدين ، ولم يتوقف اهتمام المسلمين بالتجارة الخارجية علي سعة هذه التجارة وانتشارها فقد كان الخلفاء الراشدون ـ رضي الله عنهم ـ " يُقعّدون للتجارة القواعد التي تصلح للأسواق، وتنظم التداول، وتضمن الثبات والاستقرار، فلا غبن ولا غش، ولا احتكار ولا أسواق سوداء ولا زرقاء ولا جهل بما يجوز وما لا يجوز في عالم التجارة.ويمكن اليوم تفقيه التجار من خلال دورات في المساجد خصوصًا التي في قلب الأسواق، ولابد من توجيه الخطاب للتجار من خلال كتيبات خاصة بهم والأشرطة الصوتية المختصرة التي تبين أحكام التجارة وتبسط المسائل المتعلقة بها والتي تبرز ما يلي: نماذج مختارة من التجار المسلمين المخلصين لدينهم الذين نصروا الله ورسوله بأموالهم. وبيان أهمية الآخرة بالنسبة لهم لكي يجمعوا بين خيري الدنيا والآخرة.وعلى العلماء وطلاب العلم واجب كبير في تفقيه هذه الشريحة الكبيرة في المجتمعات، وعلى الحركات الإسلامية ألا تنسى واجبها في تعليم أبنائها من التجار وغيرهم هذا الفقه العزيز." ([3]).

وقد كان الخلفاء ـ رضى الله عنهم ـ ينظمون الحركة التجارية من خلال الاتفاقيات والمعاهدات التي يعقدونها مع الدول الأخري ، وكذلك الإجراءات التي كان الخلفاء والأمراء يتخذونها لحرية التجارة ، كما فعل عمربن عبد العزيز ـ ﷺ ـ حين كتب إلي الولاة يأمرهم بترك البحار والتجارة حُرة لجميع الدول مستدلاً بقوله تعالي : (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وتري الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) .النحل ١٤ ، بل ذهب الخليفة عمر بن عبد العزيز ـ ﷺ ـ إلي أكثر من ذلك حيث منع (المكوس) وهو ما يؤخذ من رسوم التجارة فوق المقدر شرعاً . ([4]) ، ولم يتوقف النشاط التجاري الإسلامي إلا حين ضعفت الدولة الإسلامية في فترات التمزق والخلاف الذي أصابها وكذلك في الفترة التي خضعت فيها أجزاء كبيرة من البلاد الإسلامية للسيطرة الاستعمارية فحرمتها من القيام بدورها في الحياة التجارية وحلت محلها قوي أخري غربية وشرقية حين أصبحت السفن الأوروبية هي المسيطرة علي عالم التجارة الخارجية .وكان لذلك أثره الدعوى الواضح والذي يظهر فيما يلي :

أ- **توسيع دائرة نشر الإسلام عن طريق تشجيع الحركة التجارية :** فقد شجعت الدولة الإسلامية التجارة يدل علي هذا نص المعاهدة التي عقدها أبو عبيدة مع أهل بعلبك علي الأمانة لأنفسهم وكنائسهم ودورهم داخل المدينة وخارجها ولتجارهم أن يسافروا إلي حيث أرادوا من البلاد التي صالح المسلمون عليها يقول البلاذرى : " ولما فرغ أبو عبيدة من أمر مدينة دمشق سار إلى حمص فمر ببعلبك، فطلب أهلها الأمان والصلح، فصالحهم على أن أمنهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وكتب لهم: " بسم الله الرحمن الرحيم.هذا كتاب أمان لفلان بن فلان وأهل بعلبك رومها وفرسها وعربها على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ودورهم، داخل المدينة وخارجها، وعلى أرحائهم، وللروم أن يرعوا سرحهم ما بينهم وبين خمسة عشر ميلا، ولا ينزلوا قرية عامرة.فإذا مضى شهر ربيع وجمادى الأولى ساروا إلى حيث شاءوا. ومن أسلم منهم فله ما لنا وعليه ما علينا، ولتجارهم أن يسافروا إلى حيث أرادوا من البلاد التي صالحنا عليها، وعلى من أقام منهم الجزية والخراج.شهد الله، وكفى بالله شهيدا ".([5]) وفي ولاية عبد الله بن سعد بن أن السرح علي مصر عقد المسلمون الهدنة مع أهل النوبة ، ونصت علي قيام التبادل التجاري بين

([1]) الإتقان فى علوم القرآن ـ السيوطى – ج ٢ ص ١٢٩ ـ ١٤٣ ـ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ عام ١٣٩٤ هـ/١٩٧٤ م .

([2]) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ـ سعيد بن محمد الأفغاني ـ ص ٢٠٧ـ ط دار الفكر دمشق ط (٢) ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠ م.

([3]) سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ علي محمد محمد الصلابي ـ ص ٢١٣ ـ الطبعة : الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م .

([4]) العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية دراسة مقارنة ـ د / سعيد عبدالله حارب المهيرى ـ ص ٤١٣ .

([5]) فتوح البلدان ـ البلاذرى ـ ج١ ص ١٥٤ .

الجانبين ، فكان النوبيون يأتون المسلمين بالرقيق ، ويأخذون منهم القمح ، والعدس ، والمواد الغذائية الأخرى ، وحاجتهم من الثياب والأثاث . (١) ولا شك أن كثيراً من هؤلاء الرقيق كانوا يُعتقون ليدخلوا الإسلام .

ب- **تسهيل مهمة الفتوحات الإسلامية :** وقد كان للحركة التجارية العربية الأثر العظيم في نشر الإسلام بعد ذلك عن طريق الفتوحات الإسلامية حيث كان الكثير من التجار قد ارتادوا أماكن كثيرة من الشام ، والعراق ، وغيرها من البلاد ، فلما أسلموا كانوا أكبر معين لإخوانهم علي الفتوح الإسلامية ؛ لأنهم أعرف الناس بتلك البلاد التي عرفوها عن طريق التجارة فكان ذلك أدعي لنجاح الفتوح الإسلامية ، فقد كان الكثير منهم يرتحل من الجزيرة العربية إلي تلك البلاد بشكل جماعي ، ويقيمون بها ، فلما فُتحت علي المسلمين تلك البلاد كانوا أعرف الناس بها ، وبدروبها ، وكيفية حكمها ، وضبطها ، لخبرتهم السابقة ، وأصدق مثال علي ذلك (بنو أمية) " فيعزو المؤرخون والباحثون نجاح بني أمية في حكمهم إلي أنهم كانوا أعرف وأرسخ في التجارة والقوافل " (٢).

ت- **تأمين الدعوة الإسلامية والعمل على نشرها :** كما كان للتجارة أيضاً دورها في نشر الإسلام وتأمين الدعوة الإسلامية ، حيث كان الكثير من الصحابة يعملون بالتجارة حتى برعوا فيها ومن هؤلاء ما ذكره البخارى في باب مَا ذُكِرَ فِي الأَسْوَاقِ قال : وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ قُلْتُ هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ قَالَ سُوقُ قَيْنُقَاعَ . وَقَالَ أَنَسٌ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ . وَقَالَ عُمَرُ أَلْهَانِي الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ ." (٣). وقد كانت التجارة سبباً في جلب المال الكثير عند الصحابة ، والذي كان يُجهز به الجيوش المجاهدة في سبيل الله لنشر الإسلام بين الذين يقفون عقبة كأداء فى وجه الدعوة الإسلامية ، والوصول إلي المستضعفين ، يدل علي هذا تجهيز التجار المسلمين لجيش العسرة (غزوة تبوك) كما بين المؤرخون ذلك يقول الواقدى : " وَحَضّ رَسُولُ اللّهِ - ﷺ - الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْقِتَالِ وَالْجِهَادِ وَرَغّبَهُمْ فِيهِ وَأَمَرَهُمْ بِالصّدَقَةِ فَحَمَلُوا صَدَقَاتٍ كَثِيرَةً فَكَانَ أَوّلَ مَنْ حَمَلَ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ - ﷺ- جَاءَ بِمَالِهِ كُلّهِ أَرْبَعَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ - ﷺ - هَلْ أَبْقَيْت شَيْئًا ؟ قَالَ اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ وَجَاءَ عمر - ﷺ - عَنْهُ بِنِصْفِ مَالِهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ - ﷺ - هَلْ أَبْقَيْت شَيْئًا ؟ قَالَ نَعَمْ نِصْفَ مَا جِئْت بِهِ . وَبَلَغَ عُمَرَ مَا جَاءَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ مَا اسْتَبَقْنَا إلَى الْخَيْرِ إلَّا سَبَقَنِي إلَيْهِ . وَحَمَلَ الْعَبّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ - ﷺ - إلَى رَسُولِ اللّهِ - ﷺ - مَالًا ، وَحَمَلَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللّهِ - ﷺ - إلَى النّبِيّ - ﷺ - مَالًا ، وَحَمَلَ عَبْدُ الرّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ - ﷺ - إلَيْهِ مَالًا ، مِائَتَيْ أُوقِيّةٍ وَحَمَلَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ - ﷺ- إلَيْهِ مَالًا ، وَحَمَلَ مُحَمّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ - ﷺ - إلَيْهِ مَالًا . وَتَصَدّقَ عَاصِمُ بْنُ عَدِيّ - ﷺ- بِتِسْعِينَ وَسْقًا تَمْرًا ." (٤) . وتكفل عثمان بن عفان - ﷺ - وحده بتجهيز ثلث الجيش روى الترمذي عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَبَّابٍ قَالَ شَهِدْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - وَهُوَ يَحُثُّ عَلَى جَيْشِ الْعُسْرَةِ فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ مِائَةُ بَعِيرٍ بِأَحْلاَسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. ثُمَّ حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ مِائَتَا بَعِيرٍ بِأَحْلاَسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. ثُمَّ حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِلَّهِ عَلَيَّ ثَلاَثُمِائَةِ بَعِيرٍ بِأَحْلاَسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَنْزِلُ عَنِ الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ « مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ ».(٥) . ويتحدث أحد الباحثين المعاصرين (٦)عن الآثار الدعوية التي ترتبت على هذه الأحداث فيقول : وبعد هذه المشاركة الفعالة من تجار المسلمين ، والأغنياء ، وغيرهم من المسلمين لجيش تبوك ، كانت هذه الغزوة أشبه بمناورة حربية أنزلت الفزع فى قلوب الروم أعداء أمة الإسلام فى المدينة ، وجعلهم يشعرون بقوة المسلمين ، وحرصهم على تأمين الدعوة الإسلامية ، وسلامة أتباعه ، يضاف إلى ذلك أن قوة المسلمين أمنت الحدود بين جزيرة العرب والشام ، ووطدت هيبة المسلمين بين القبائل العربية النصرانية التى كانت تدين بالولاء للدولة الرومانية ، كما تمخضت من هذه الغزوة أيضاً عقد المحالفات مع سكان تبوك ، وأيلة ، ودومة الجندل ، وكل هذه مراكز تجارية قد دخلت فى نطاق أمة الإسلام .

ث- **إنشاء المشاريع الإسلامية التى تخدم المسلمين :** وبفضل الحركة التجارية فى المدينة جنى المسلمون ثروات كثيرة بدت واضحة مع الأيام ، عندما كان التجار المسلمون يسهمون بثرواتهم فى مشاريع إسلامية

---

(١) فتوح البلدان - البلاذرى - ج١ ص ٢٨١ .
(٢) التجارة فى ضوء القرآن والسنة - د/ عبدالغنى الراجحى - ص ٣١.
(٣) صحيح البخارى - كتاب البيوع - باب مَا ذُكِرَ فِي الأَسْوَاقِ - ح رقم ٤٩– ج ٨ ص ٤٥.
(٤) مغازي الواقدي - ج١ ص ٩٩٠ . .
(٥) سنن الترمذى ج ٥ ص ٣٢٥ رقم ٣٧٠٠- ط دار إحياء التراث العربي – بيروت - تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون . - قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ السَّكَنِ بْنِ الْمُغِيرَةِ. وَفِى الْبَابِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ.
(٦) انظر : التجارة وطرقها فى الجزيرة العربية - د/ محمد حسن عبدالكريم العمارى - ص ١٨٢ ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ -

كبيرة نظراً للتوسع الإسلامى فى الجزيرة العربية ، ومن هؤلاء التجار عثمان بن عفان ، وعبدالرحمن بن عوف ـ رضى الله عنهما ـ وغيرهم ممن اشتهروا بالعمل فى التجارة .

المطلب الثانى : أثر الحركة التجارية في نشر الدعوة الإسلامية خارجياً (قارة إفريقيا نموذجاً)

لقد أسهمت الحركة التجارية الإسلامية فى نشر الإسلام فى معظم قارات العالم القديم ، ونبدأ بالقارة الإفريقية لأنها تتميز عن غيرها من القارات بأنها أول أرض عرفها الإسلام بعد جزيرة العرب ، وليس من هدف هذا البحث الوقوف على انتشار الإسلام في كافة أرجاء القارة بصورة دقيقة وافية ، لما فى ذلك من الإسهاب الذي لا يتحمله مثل هذا البحث ، إنما هي إشارات لأهم الأقطار الكبرى لنرى كيف وصلتها الدعوة الإسلامية ، وكيف انتقلت منها إلى غيرها ، فهي لمحات سريعة ، ونماذج تدل على غيرها من الآثار وذلك فى النقاط التالية :

أولاً ـ التعريف بالقارة الأفريقية :

فمن ناحية المساحة : قارة إفريقيا هي ثاني أكبر قارات العالم من حيث المساحة بعد قارة آسيا، وكذا عدد السكان ، فهي تمثل تقريباً خُمس مساحة اليابسة " فتبلغ مساحتها ٣٠,٢ مليون كيلومتر مربع (١١,٧ مليون ميل مربع)، وتتضمن هذه المساحة الجزر المجاورة، وهي تغطي ٦% من إجمالي مساحة سطح الأرض، وتشغل ٢٠,٤% من إجمالي مساحة اليابسة ، ويبلغ عدد سكان إفريقيا مليار نسمة (وفقا لتقديرات ٢٠٠٩)، يعيشون في ٦١ إقليما، وتبلغ نسبتهم حوالي ١٤,٨% من سكان العالم. ويحد القارة من الشمال البحر المتوسط، وتحدها قناة السويس والبحر الأحمر من جهة الشمال الشرقي، بينما يحدها المحيط الهندي من الجنوب الشرقي والشرق، والمحيط الأطلسي من الغرب. بخلاف المنطقة المتنازع عليها من الصحراء الغربية، تضم القارة ٥٣ دولة، بما في ذلك جزيرة مدغشقر وعدة مجموعات من الجزر" . (١)

أما من الناحية الجغرافية لقارة إفريقيا " فهي الأكبر ضمن النتوءات الجنوبية الثلاثة الكبري لليابسة في الكرة الأرضية.يفصلها البحر المتوسط عن قارة أوروبا، ترتبط بقارة آسيا من جهة أقصى الشمال الشرقي عن طريق برزخ السويس (قناة السويس) ويبلغ عرضه ١٦٣ كيلومتر ،ومن الناحية الجغرافية تعتبر شبه جزيرة سيناء/ مصر وهي تقع شرق قناة السويس جزءًا من إفريقيا. وتبلغ حدودها من أقصى نقطة في الشمال، رأس بن السقا في تونس (٢١٥٣٧' 'شمالًا)، بينما أقصى نقطة في الجنوب هي، كيب اجولاس في جنوب إفريقيا (١٥'٥١٥٣٤ جنوباً) وهي مسافة تقدر بنحو ٨،٠٠٠ كيلومتر ومن كيب فرد (١٥'٥١٥٣٤" غربًا) وهي أقصى نقطة من جهة الغرب إلى رأس هافون في الصومال (٥٢'٢٧٥٥١" شرقاً) وهي أقصى نقطة من جهة الشرق مسافة تقدر بنحو ٧،٤٠٠ كيلومتر ويبلغ طول الخط الساحلي ٢٦,٠٠٠ كم. (٢) تمتد الدول الإسلامية في إفريقيا من المحيط الأطلسي غرباً حتي البحر الأحمر والمحيط الهندي شرقاً ، وتمتد من ساحل البحر المتوسط شمالاً حتي نطاق السفانا جنوباً والذي يمتد كحزام من غرب إفريقيا إلي شرقها .

وأما من ناحية الدين : فيعتنق الأفارقة العديد من المعتقدات الدينية إلا أنه من الصعب إجراء إحصاء للانتماءات الدينية، لأن هذا الأمر من الأمور الحساسة بالنسبة للحكومات ذات الشعوب المختلطة. ووفقا لموسوعة كتاب العالم، فإن الإسلام هو الدين الأكثر انتشارًا في إفريقيا، تليه المسيحية. ووفقا للموسوعة البريطانية، فإن ٤٥ ٪ من السكان هم من المسلمين، والمسيحيين ٤٠ ٪ وأقل من ١٥ ٪ ملحدين أو من أتباع الديانات الأفريقية. وهناك عدد صغير من الأفارقة هندوس، أو بهائيون، أو من ذوي الخلفيات اليهودية.ومن أمثلة الأفارقة اليهود بيتا إسرائيل، وشعوب الليمبا والأبيوداية في شرق أوغندا. (٣) أما المرجع الباكستاني الإسلامي فيرفع عدد المسلمين في دول افريقية غير الإسلامية إلي ١٩٠,٢٩٢,٢٥٠ نسمة أي أن عدد المسلمين في الدول الأفريقية بما فيها الدول الإسلامية يصبح ٣٥٥ مليون نفس أي ٣٤% من عدد المسلمين في العالم أو أكثر من ثلث المسلمين في العالم كله وفي الوقت نفسه فإن هذا العدد من المسلمين يمثل ٦٤% من سكان القارة الأفريقية فتصبح هذه القارة بوصفها العام من ديار المسلمين ولا تسمي بالقارة السوداء فقد بيض الله وجوهم وعمر قلوبهم بنور الإسلام . (٤) وعلى هذا فقارة إفريقيا تُعد ثاني قارات العالم بعد قارة

---

(١) انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا الزيارة بتاريخ ٢٣ أغسطس ٢٠١١م . http//ar.wikipedia.org page 4 .
(٢) الموسوعة الحرة ويكيبيديا الزيارة بتاريخ ٢٣ أغسطس ٢٠١١م
(٣) الدين في إفريقيا عبر الانترنت"، وجامعة ستانفورد نوفمبر ١، ٢٠٠١، وانظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا أغسطس ٢٠١١م .
(٤) جغرافية العالم الإسلامي واقتصاديته ـ د/ محمود أبوالعلا ـ ص ٣٧ ـ ط مكتبة الفلاح الكويت ـ ط (٥) ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

آسيا من حيث عدد المسلمين ، فحصة الإسلام في إفريقيا هى الأعلى حيث إن نصف القارة مسلمون ، والنصف الآخر يدور ما بين النصرانية ، واليهودية ، والوثنية والديانات الوضعية الأخرى ، مما يصح معه أن توصف قارة إفريقيا " بالقارة المسلمة " وفقا للنسبة العددية .

ثانياً .أدوار تطور الإسلام فى إفريقيا :

مر الإسلام فى جميع الأقطار الإفريقية بالأدوار الآتية ([1]) :

أولاً – دور التهيؤ (التكوين) : شهد دخول المؤثرات الإسلامية عن طريق الفتح ، أو التسرب السلمى ، فانتشرت اللغة العربية ، وشاعت المؤثرات الإسلامية المستقلة .فى مصر والمغرب : يبدأ هذا الدور منذ تمام الفتح العربى الإسلامى ، وينتهى ببداية ظهور الإمارات الإسلامية المستقلة .وفى غرب إفريقيا : يمثله ظهور المرابطين ونشرهم الإسلام ، فى دولة غانا وحوض السنغال.وفى سودان وادى النيل : يمثله الفترة التى تنتهى بسقوط ممالك النوبة المسيحية ، ثم بداية تدفق القبائل العربية ، تسربها إلى بلاد السودان ،وفى شرق إفريقيا : يمثله استقرار المهاجرين العرب ، وعملهم على نشر الإسلام بين أهل البلاد الأصليين .

ثانياً : دور الازدهار : يمثل اكتمال التطور الإسلامى ، إذ يتم فيه الاندماج الكامل بين الإسلام وبين المؤثرات المحلية الموجودة ، ويظهر الطابع المحلى للثقافة الإسلامية ، وتبدأ شعوب المنطقة التى أسلمت ، وتشربت الثقافة الإسلامية تؤسس دولا إسلامية ، يؤسسها أبناء البلاد الأصليون ، هذه الدول تعمل على نشر الإسلام ، وإشاعة المؤثرات الإسلامية الوافدة والثقافات المحلية .فى مصر والمغرب : يشمل تاريخ الدول الإسلامية المستقلة ، حتى بداية القرن التاسع عشر .وفى غرب إفريقيا : يشهد ظهور الدول الإسلامية المستقلة : (مالى وسنغى، وسلطانات كانم وبرنو) .وفى سودان وادى النيل : ظهور سلطانات الفنج ودارفور وتقلى .وفى شرق إفريقيا : ظهور الإمارات المستقلة ، وصراعها مع القوى المحلية فى البلاد .شهد هذا الدور ظهور الأتراك العثمانيين على مسرح الحوادث ، وقيادتهم معركة الجهاد الاسلامى فى البحر الأبيض والأحمر وأوروبا .

ثالثاً – عصر الإصلاح (القرن التاسع عشر) : فى هذا العصر يأخذ الإسلام فى مجابهة المؤثرات الغربية الوافدة ، وفى التلاؤم معها فى البلاد التى وفدت عليها هذه المؤثرات .وفى بعض البلاد الأخرى ، تظهر الانتفاضات المهدوية أو الوهابية أو الحركات الإسلامية الأخرى ، هادفة الى إصلاح الأحوال ، والنهوض بالإسلام والعودة به إلى قوته الأولى ، أو معنى آخر : ظهور عصر التجديد فى بعض الأقطار ، ثم ظهور الحركات السلفية فى بعض الأقطار ، ثم ظهور القوى الأوروبية ، وتخضع العالم الإسلامى لنفوذها وسيطرتها بما فى ذلك الدول الإفريقية .فى مصر وشمال إفريقيا : يمثل هذا العصر ظهور حركات التجديد .فى غرب إفريقيا : ظهور حركات الجهاد : حركات ابن فودى والحاج عمر وأحمد لوبو وشيخو أحمدو .فى سودان وادى النيل : يتمثل فى الفترة الممتدة من الفتح المصرى حتى نهاية المهدية .وفى شرق إفريقيا : يتمثل فى الصراع الأخير بين القوى الإسلامية فى البلاد ، وتدخل المصريين والمهدويين فى السودان . ([2])

ثالثاً : محاور انتشار الإسلام فى إفريقيا:

لقد انتشر الإسلام في القارة الإفريقية علي ثلاثة محاور :

المحور الأول : اتجه غرباً موازياً للساحل الشمالي لإفريقيا حتي ساحل المحيط الأطلسي ثم استدار مع هذا الساحل نحو الجنوب حول الصحراء الكبري الأفريقية .

المحور الثاني : امتد من مصر عن طريق نهر النيل متقدماً نحو الجنوب إلي السودان وبحيرة تشاد . لهذا لم يتقدم انتشار الإسلام جنوباً نحو ساحل خليج غينيا في غرب إفريقيا وإن كان له بعد قاري داخل القارة عبر الصحراء الكبري .

المحور الثالث : وقد اتجه من الساحل الجنوبي لشبه جزيرة العرب نحو الساحل الشرقي لإفريقيا أي إنه محور بحري وهنا انتشرالإسلام في السهل الساحلي لشرق إفريقيا والجزر المجاورة له في زنجبار وممبسا ولم يتعمق نحو الداخل في جنوب إفريقيا. والمداخل التي سلكها الإسلام إلي القارة الأفريقية هي :-

---

([1]) الإسلام والثقافة العربية فى إفريقيا ـ د/ حسن أحمد محمود ـ ص ٧٧ ـ دار الفكر العربى القاهرة.

([2]) تاريخ المسلمين فى إفريقيا ومشكلاتهم ـ د/ خديجة النبراوى ـ ص ٤٨، ٤٩ـ طبعة دار النهار القاهرة ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.

أولاً : المدخل المصري : لعبت العوامل الجغرافية دوراً هاماً في أن تكون مصر مهبط النور الذي أشع نور الإسلام علي شمال إفريقيا وشمالها الشرقي . فهناك طريق بري متصل من شبه جزيرة العرب عبر شبه جزيرة سيناء إلي مصر التي انتشر منها الإسلام علي طول محورين : المحور النيلي والمحور الغربي .
أما المحور النيلي فقد نشر الإسلام في السودان الشمالي وفي منطقة بحيرة تشاد .وأما المحور الغربي فقد نشر الإسلام في شمال إفريقيا حتي ساحل المحيط الأطلسي غرباً أي أقصي غرب بلاد المغرب ومنه انتشر الإسلام في طريقين :-
الطريق الأول عبر جبل طارق إلي الأندلس وأسبانيا .
والطريق الثاني تولاه المرابطون المغاربة إلي الجنوب عبر الصحراء الكبري وموازياً لساحل المحيط الأطلسي حتي إقليم السفانا ، ثم اتجه هذا المحور الثانوي شرقاً ليلقي بالمحور النيلي عند منطقة بحيرة تشاد .
بهذا يرسم المدخل المصري ومحوراه النيلي والغربي دائرة كاملة تشغل كل شمال إفريقيا عدا منطقة الغابات المدارية .

ثانياً : المدخل الشرقي لإفريقيا : هذا المدخل بحري - وهو يقابل المدخل المصري البري - وقد جاء من الساحل الجنوبي لشبه جزيرة العرب بصفة أساسية ومن خليج عمان بصفة ثانوية ، وقد تفرع إلي عدة محاور أهمها :المحور الذي اتبع خليج عدن إلي القرن الأفريقي إلي الصومال .المحور الذي اتبع خليج عدن ثم مضيق باب المندب .إلي الساحل الغربي للبحر الأحمر إلي ارتريا والحبشة . المحور الذي دخل الساحل الشرقي عند ممبسا وجزيرة زنجبار .المحور الذي اتجه جنوباً موازياً للساحل الشرقي إفريقيا ثم دخلها عند مصب نهر الزمبيزي . هذان المدخلان للإسلام إلي إفريقيا وما تفرع منها من محاور متعددة نشرت الإسلام في دول شمال ، ووسط ، وشرق إفريقيا ، ولكن اعتناق السكان للإسلام في هذه الدول لم يكن بنسب متساوية فيها جميعاً إذ تختلف نسبة المسلمين(١) إلي مجموع السكان في هذه الدول . (٢)

رابعاً : تاريخ انتشار الإسلام في القارة الأفريقية :

تتميز قارة إفريقيا عن غيرها من بقاع الأرض أنها أول أرض عرفها الإسلام بعد جزيرة العرب ، وذلك من جهة أن أول هجرة للمسلمين كانت إلى الحبشة يدل على هذا ما جاء في المستدرك في كتاب الهجرة الأولى إلى الحبشة قال الحاكم : " و تواترت الأخبار أن رسول الله - ﷺ- لما مات عمه أبو طالب لقي هو والمسلمون أذى من المشركين بعد موته فقال لهم النبي - ﷺ- حين ابتلوا و شطت بهم عشائرهم تفرقوا و أشار قبل أرض الحبشة و كانت أرضا فيها ترحل إليها قريش رحلة الشتاء فكانت أولى الهجرة في الإسلام و إنما أمر رسول الله - ﷺ- أصحابه بالخروج إلى النجاشي لعدله "(٣) . وقد نجحت هذه الهجرة في نقل الدعوة الإسلامية إلى القارة الأفريقية ، وساعد على ذلك قرب إفريقيا والتحامها بقارة آسيا عن طريق شبه جزيرة سيناء ، فوصل الإسلام إلى شمال إفريقيا وشمالها الشرقي .

وهذا ما جعل أحد الباحثين الذين أرخوا للدعوة الإسلامية يقول عن قارة إفريقيا " إنها قارة الإسلام ، فالدين الرئيسي فيها هو الإسلام ، وأكبر الدول حجماً فيها ينتسب إلي الإسلام كنيجيريا ، ومصر ، والسودان ، والجزائر ، والمغرب ، كما أن معظم دولها التي تصل الخمسين تنسب إلي الإسلام ، كذلك فهي تمثل أولي قارات العالم من حيث الوجود الإسلامي ، لأن الغالبية العظمي من سكانها الأصليين مسلمون ، وتشير الإحصائيات إلي أن المسلمين فيها يزيدون عن ٧٠% من سكان القارة .لذا فإن الاهتمام بقضايا ومستقبل إفريقيا إنما هو اهتمام بقضايا ومستقبل الإسلام والمسلمين .والإسلام في القارة قديم قدم الدعوة نفسها "(٤).

---

(١) فهناك دول ترتفع نسبة المسلمين فيها إلي أكثر من ٩٠% من مجموع السكان وهي الدول العربية في شمال إفريقيا وشرقها وكذلك جمهورية مالي والسنغال وغمبيا وغينيا والنيجر وجيبوتي ، دول تزيد نسبة المسلمين فيها علي ٥٠% من مجموع السكان مثل : تشاد ونيجيريا وغينيا . دول تضم أقليات إسلامية كبيرة تتراوح بين ١٥% و ٤٥% من مجموع السكان مثل ليبريا وموزمبيق ومالاوي وتنزانيا ، وجزر موريشس وإثيوبيا وفلتا العليا وساحل العاج والكاميرون . دول بها أقليات نسبتها تقل عن ١٥% من مجموع سكان الدول الأفريقية مثل رواندا وبتسوانا واتحاد جنوب إفريقيا وليسوتو وسوازي لاند والكنغو. انظر : جغرافية العالم الإسلامي - ص ٤٠ .
(٢) انظر : جغرافية العالم الإسلامي واقتصاديته - د/ محمود أبوالعلا - ص ٢١ ، ٣٨ - ٤٠ .
(٣) المستدرك على الصحيحين - الحاكم - ج ٢ ص ٦٧٩ .
(٤) أنظر: تاريخ الدعوة - د/ جمعة الخولى - ج٢ ص ٢٢٣- طبعة دار الطباعة المحمدية القاهرة ط أولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

مما يمكن القول : إن تاريخ الإسلام في إفريقيا هو تاريخ الدعوة الإسلامية نفسها ، حيث تحدثنا كتب السيرة : إن الإسلام عرف طريقه إلى الصومال ، قبل أن يصل إلى المدينة المنورة نفسها (١) وذلك حينما خرج سيدنا جعفر بن أبى طالب ابن عم رسول الله - ﷺ- مهاجرا من مكة إلى الحبشة ، فراراً من أذى المشركين ، ونشراً لدعوة الإسلام ، لقد عبر المهاجرون معه إلى البحر الأحمر ، عن طريق باب المندب متجهين إلى الحبشة ، والصومال أى ينزل فيها الذاهب إلى الحبشة أو العائد منها ، ورأى أهل البلاد منهم القدوة الطيبة والسلوك الجميل ، وعرفوا منهم نبأ هذا الدين الجديد فسارعوا إلى اعتناقه ، وكان هذا فاتحة خير على القارة الإفريقية ، حيث أول الغيث قطرة وطريق الألف ميل يبدأ بخطوة .

بدأ الإسلام في الانتشار في مصر وفي شمال إفريقيا في القرن السابع الميلادي ثم امتد الإسلام إلي الجنوب فانتشر في السودان في غضون القرنين (١٣ و ١٤) الميلاديين كما انتشر الإسلام من غرب إفريقيا نحو الجنوب موازياً لساحل المحيط الأطلسي ثم متجهاً إلي الشرق جنوب الصحراء الكبري الأفريقية إلي شمال أقليم السافانا حتي تقابل مع المحور النيلي في منطقة بانجي قرب بحيرة شاد في القرن (١٣) مكوناً دائرة كبري تضم الدول الإسلامية الحالية ، وفي خلال القرن الرابع عشر بدأ انتشاره في إقليمي السافانا والغابات المدارية أما الساحل الشرقي لإفريقيا أو ساحل الزنج ، فقد انتشر به الإسلام منذ القرن العاشر الميلادي وأخذ يتسع غرباً حتي القرن (١٤) الميلادي وبعد ذلك كان التوسع في انتشار الإسلام فقد قيض الله المسلمين الهنود فعملوا علي نشره حتي جنوب إفريقيا وهذا كان حديثاً أي في القرن الماضي .وكان انتشار الإسلام علي نطاق واسع في غرب إفريقيا نتيجة للعلاقات التجارية وطرق القوافل بين الساحل الأفريقي للبحر المتوسط وبين إقليم السافانا قريباً من خليج غينيا نحو الجنوب . فقد كان للتجار ولرجال الطرق الصوفية فضل كبير في نشر الإسلام في أقليم الاستبس والسفانا أو ما يسمي بالسودان الغربي . (٢)

خامساً : دور الحركة التجارية في نشر الدعوة الإسلامية فى قارة إفريقيا .

كان للحركة التجارية الإسلامية دورها البارز فى نشر الإسلام فى معظم جهات إفريقيا ، وفى هذه الإطلالة نقف على نماذج من تاريخ انتشار الدعوة الإسلامية فى جهات مختلفة من القارة الأفريقية :

أولاً : دور الحركة التجارية في نشر الإسلام فى غرب إفريقيا :

عندما نتحدث عن غرب إفريقيا فنحن في الواقع نتحدث عن إقليم كبير يشغل مساحة شاسعة من الأرض؛ إذ يشتمل على خمسَ عشرةَ دولة هي: (السنغال، جامبيا، الجابون، غينيا بيساو، غينيا (كوناكري)، سيراليون، ليبيريا، ساحل العاج (كوت ديفوار)، غانا، توجو، بنين، نيجيريا، بوركينا فاسو، مالي، موريتانيا). ويحدّ الإقليم من الشرق تشاد والكاميرون، بينما يحده المحيط الأطلنطي من الغرب والجنوب، والجزائر وليبيا من الشمال. ويُعَدُّ الإسلام الدين الرسمي لأغلبية السكان البالغ عددهم -حاليًّا- ما يزيد على مائتي مليون وخمسة ملايين نسمة، بينهم مائة وأربعة عشر مليون مسلم، أي قرابة ٥٥ % ".(٣)

لقد جاء الإسلام منقذًا لشعوب غرب إفريقيا من جاهلية الوثنية التي كانوا متردِّين فيها، ومن التقاليد البالية التي قيَّدوا أنفسهم بها ، فقد كانت الوثنية هي عقيدة سكان غرب إفريقيا قبل أن يصل إليها الإسلام ونظرة موجزة للأحوال العامة فى تلك البلاد ترينا الأوضاع المتردية لها ، وهى تكشف لنا أيضاً عن الأثر الإسلامي للحركة التجارية الإسلامية فى هذه البلاد فيما بعد " فقد اشتهرت هذه الدول بالعمل في التجارة، فقد لعبت التجارة دورًا مهماً في اقتصاديات هذه الفترة، وكثيرًا ما كانت تقوم المشاحنات والخلافات بين الدول من أجل احتكار التجارة، فنجد مثلًا إمبراطورية غانا قد انتهجت نظام الاحتكار الذي يُستَخدَم حتى اليوم بالنسبة لبعض السلع، مثل الماس الذي تحتكره الشركات الكبرى الآن، وكان حكام غانا يتَّبعون نفس الأسلوب بالنسبة للذهب، وبالتالي استطاعوا تحقيق مكاسب تجارية كبرى، وصار الذهب الموجود في شمال إفريقيا أو في أوربا يأتي من غانا، وظلت تحتكر هذه التجارة حتى اختفت في القرن الثالث عشر؛ لتحل محلها إمبراطورية أخرى هي دولة مالي، التي واصلت نفس التقدم الذي شهدته دولة غانا " (٤) وبالنسبة للأوضاع الاجتماعية فقد كان

---

(١) إفريقيا فى ظل الإسلام - د / عبد الرحمن النجار - ص ١٩ - مجلة الوعي الاسلامى – الكويت السنة الرابعة عشرة – العدد (١٦٤) ، شعبان ١٣٩٨ هـ/ يوليو ١٩٧٨م .

(٢) إفريقيا فى ظل الإسلام - د / عبد الرحمن النجار - ص ٤١ ، ٤٢ .

(٣) انظر : مجلة المجتمع، رقم العدد (١٥٧٠)، تاريخ العدد ٢٠٠٣/٩/٢٧م. انظر: الشبكة الدولية :http://www.almujtamaa .

(٤) انتشار الإسلام في غرب إفريقيا - د / عبد الله عبد الرازق - ص١٤-١٨- طبعة دار الفكر العربي - القاهرة - عام ٢٠٠٦م.

الرقُ منتشرًا بصورة كبيرة فمثلاً : نجد أن قبيلة لمتونة ـ وغيرها من القبائل ـ كانت تنقسم إلى طبقتين: طبقة السادة (أمازيغ)، وطبقة الرقيق (الأمجاد). ويحتكر السادة الحياة السياسية، فيؤلِّفون مجالس القبيلة، ويتولَّوْنَ قيادة الجيوش، ويُسَيِّرون أمور القبيلة وفق إرادتهم، كما يحتكرون التجارة، ويدافعون عن أفراد القبيلة ضدَّ أي مكروه. أمَّا الأمجاد أو الرقيق فيُورثون كما يُورث المتاع، وهم يَتفانون في الدفاع عن القبيلة، ولهم الحقُّ في اقتناء الثروات كيفما طاب لهم، ولكن هذه الأموال يرثها السيد بعد وفاتهم، كما أنهم يقومون بكل الأعمال؛ فهم يرعَوْنَ الماشية، ويؤدُّون كل ما تحتاجه القبيلة من عمل يدوي، ويؤدُّون لسادتهم نصيبًا معلومًا كل عام من الإبل ونتاجها " (١) . هذه هى أحول تلك البلاد قبل أن يصل إليها نور الإسلام فمن الناحية الدينية كانت الوثنية أو المسيحية هي عقيدة سكان غرب إفريقيا ، ومن الناحية الاجتماعية كانت التفرقة العنصرية القائمة على اللون ، والجنس ، والجاه ، وقد تغيرت هذه الأحوال السيئة للأفارقة لما قدم إليها نور الإسلام على أيدي التجار المسلمين .

وكما كان للتجار المسلمين الدور الأكبر فى نشر الإسلام فى الشمال الأفريقي كان لهم نفس الدور فى غرب إفريقيا " فعلى وجه الخصوص كان لتجار الفولاني والحوصة والتكرور الدور الأكبر فى انتشار الإسلام ، فقد كان هؤلاء التجار ينزلون فى الأسواق الكبرى أو المراكز التجارية ، ثم يحتكون بالزنوج عن طريق التجارة ، ويؤثرون فيهم بنظافتهم ، وأمانتهم ، وسلوكهم الشخصي ، وغالباً ما ينتهى هذا الاحتكاك ، بدخول كثير من هؤلاء الزنوج فى الإسلام ، لذلك كاد الإسلام أن يتركز فى المراكز التجارية الهامة وفى المدن الكبرى ، وقد كان بعض هؤلاء التجار يجمع بين التجارة والتعليم ، فإذا ما استقر بهم المقام أنشئوا مدارس لتعليم القرآن ، وأنشئوا مسجداً ، وقاموا فى نفس الوقت بمزاولة النشاط التعليمي والاقتصادي "(٢). وهذه إطلالة سريعة لبيان جهود الحركة التجارية الإسلامية فى نشرالإسلام فى بعض جهات غرب إفريقيا :

١) **دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى غانا :** تذكر الروايات التاريخية أن الإسلام دخل إلى أرض الذهب (غانا) بالطريق السلمي دون غزو حربي " ففي حقيقة الأمر إن إمبراطورية غانا في ذلك كانت على درجة كبيرة من القوة العسكرية، بل ويمكن القول بأنها كانت أكبر قوة حربية في إفريقيا في ذلك الزمن ." (٣). ولما كانت غانا كذلك فيستحيل أن يكون المسلمون قد حملوا السلاح ضد هذه القوة العسكرية ، أما عن وصول الإسلام إلى غانا " فقد اتجهت جماعات من قبائل الماندي نحو الجنوب، وأسست إمارة جونغا في أراضي شمال شرقي غانا اليوم، وذلك في نهاية القرن العاشر الهجري، وكانت أعداد كبيرة من المسلمين بين أفراد هذه القبائل، وكانوا يؤلِّفون جزءًا من حاشية مؤسس هذه الدولة وهو جاكابا، كما أنهم كانوا دِعامته في حروبه ضد أعدائه، ويقودهم قائد يُدعى محمد الأبيض، وانقسمت هذه الدولة بعد وفاة مؤسسها بين ولديه، فاتخذ كل من هذين الولدين إمامًا لنفسه من أبناء محمد الأبيض، ويبدو أن أثر المسلمين كان واضحًا على هذه الدولة إذ كانت كتابتهم باللغة العربية. ثم جاءت جماعة أخرى من قبائل الماندي أيضًا تتحدث لغة الدوغامبا، وذلك في منتصف القرن الحادي عشر، واستقرَّت في شمال شرقي دولة غانا اليوم، وأسست مدينة يندي، ونشرت الإسلام بين قبائل الدوغامبا، وربما كانت بعض بطون قبائل الهاوسا معها، وعاونتهم على نشر الإسلام. وفي بداية القرن الثاني عشر توغَّل التجار المسلمون من قبائل الهاوسا والبورنو نحو الجنوب للحصول على الكولا، ونشروا الإسلام بين قبائل الدوغامبا في القرن الثالث عشر، وغدا أكثر أفراد هذه القبائل من المسلمين، وحرصوا على استقدام الأئمة من المناطق الشمالية، وفي الوقت نفسه أخذ الإسلام طريقه إلى قبائل المامبروسي، وغَدَتْ مدينة غامباغا مركزًا إسلاميًّا، وكان لكل قبيلة من قبائل الشمال هذه إمارة خاصة، إذ كانت إمارة جونغا، و(الدوغامبا)، و(المامبروسي)، و(وو)، وكلها في شمال دولة غانا اليوم.أما وسط غانا فقد وصل إليه الإسلام عن طريق تجار الهاوسا، والفولاني، والبورنو، وانقلبت بعض المدن إلى مراكز تجارية مثل مدينة سلاغا، وهذا ما جعل الحياة الاقتصادية تزدهر لدى قبائل الأشانتي في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، ومع بداية القرن الثالث عشر وصل الإسلام إلى مدينة كوماسي.وانطلق التجار المسلمون نحو الجنوب عبر نهر الفولتا، ووصلوا إلى الساحل، وعملوا على نشر الدعوة، وحتى في أيام الاستعمار جاء العمال المسلمون

---

(١) دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا(٤٣٠ـ ٥١٥هـ/ ١٠٣٨ـ ١١٢١م)، ـ د / عصمت عبد اللطيف دندش ـ ص٣٤ـ طبعة دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(٢) الإسلام والثقافة العربية فى إفريقيا ـ ص ٣٧١ ، ٣٧٦ ، ٣٨٢ .

(٣) الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء ـ جوان جوزيف ـ ترجمة مختار السويفي ـ ص ٤٨ ـ ٥١.

من البُلدان المجاورة لغانا للعمل في مناجم الذهب واستغلال الموارد الغذائية، كما جاء تجار الفولاني والهاوسا ونشروا الإسلام في الجنوب بين أفراد قبيلتي الموسي والكوتوكواي. وهكذا وصل الإسلام إلى كل أرجاء غانا، وإن كان في الشمال أكثر من الجنوب([1]) ويؤكد الباحثون أنه : بازدياد توغل وانتشار التجار العرب في المراكز التجارية السودانية المختلفة ، نتج عن ذلك نشوء عدة مستقرات تجارية إسلامية . فمن بين تلك المراكز التجارية الناشئة في السودان الغربي ، كان هناك الحي الإسلامي في مدينة غانة ، تلك المدينة التي شهدت نشاط التجار العرب منذ وقت مبكر ، وفي خلال القرن الـ (٤ هـ / ١٠م) نجد أن التجار العرب كالعراقيين واليمنيين قد تواجدوا في غانة لا سيما أن هذه المدينة كانت المدخل الوحيد للوصول إلي مناجم الذهب الواقعة جنوبها وفي القرن (٥ هـ / ١١م) استمر الوجود التجاري العربي في مدينة غانة في الأزدياد ، ولعل من أوضح نتائج هذا التواجد هو ازدياد حجم وقيمة التجارة في غانة ، إضافة إلي نمو الاتصالات التجارية ما بين غانة من جهة ومناطق المغرب الأقصي من جهة اخري ، ولهذا فإن من الأهمية بمكان أن نُشير إلي أن التجار العرب والمسلمين المستقرين في مدينة غانة استطاعوا أن يجدوا لهم مجتمعات خاصة بهم ، وفي مناطق سكنية مستقلة . ففي القرن (٥ هـ / ١١ م) واستنادا إلي روايات البكري فى التاريخ فإن " مدينتان سهليتان إحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون - مدينة غانة - وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجداً ، ولهم الأئمة والمؤذنون ، وفيها فقهاء وحملة علم ... ومدينة الملك علي بعد ستة أميال من هذه المدينة وتسمي (الغابة) ... وفي مدينة الملك مسجد يُصلي فيه من يفد عليه من المسلمين علي مقربة من مجلس حكم الملك ، كما أن هناك معلومات مماثلة عن مدينة غانة قد زودنا بها الإدريسي (ق ٦ هـ / ١٢م) فقد لاحظ أن مدينة غانة كانت لا تزال مؤلفة من قسمين أحدهما للتجار المسلمين ، والأخري للملك ، كما أشار إلي سعة هذه المدينة ، وكثرة أعداد التجار القادمين إليها من المناطق المحيطة بها ومن المغرب الأقصي ." ([2]) هذا ويتضح مما سبق أن الإسلام قد دخل غربي إفريقيا ووسطها أولاً بطريقة سلمية وهي طريقة التجارة والدعوة ، وبما أن دولة غانا كانت أقدم دولة أفريقية في تلك المنطقة فمن الطبيعي أن يدخل الإسلام إليها ثم ينتشر منها إلي البلاد المجاورة ، وبعد سيطرة المرابطين علي دولة غانا ([3]) وسيطرة المسلمين التامة علي طرق القوافل التجارية منذ مطلع القرن الحادي عشر ، أصبح الإسلام ينتشر بسرعة فائقة عن طريق الفتح والتجار والدعوة([4]) ، وبهذا توسع نطاق الإسلام في البلاد الواقعة جنوب الصحراء الكبري ، وتعتبر حركة الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية في مطلع القرن التاسع عشر من أعظم مراحل انتشار الإسلام في غربي أفريقيا .

٢) **دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى غينيا الاستوائية :** لمحة عامة : غينيا الاستوائية بلد صغير، يقع في غرب إفريقيا، ويتكون من منطقة تقع على الساحل الغربي للقارة بالإضافة إلى خمس جزر.يقطن معظم سكانها بالمنطقة المسماة ريو موني الواقعة بين الكاميرون والجابون.وتقع أكبر الجزر المسماة بيوكو في خليج غينيا على بعد ١٦٠كم شمال غرب ريو موني. وهناك جزر أخرى، هي كوريسكو وإلوبي شيكو وإلوبي جراند وأنوبون تقع في شمال غرب ريوموني. نالت غينيا الاستوائية استقلالها عام ١٩٦٨م. وقد حكمها الأسبان منذ أواسط القرن التاسع عشر الميلادي. بلغ عددهم ٥٤٢,٠٠٠ نسمة عام ٢٠٠٠م، يقطن ٨٠% منهم في منطقة ريو موني. ومعظمهم ينتمي لسلالة الفانج (مجموعة عرقية إفريقية سوداء) . وأغلب الناس في بيوكو أفارقة سود ينتسبون إلى طائفتي بوبي وفرنانديني العريقتين. ويقطن ٦٣% من الناس في المناطق الريفية، وحوالي ٣٧% منهم في المدن..اللغة الرسمية لهذا البلد هي الأسبانية، فهي لغة الحكومة الرسمية، ولغة التجارة والمدارس، إلا أن اللغة الأوسع انتشارا هي الفانج. الكاثوليكية هي الشائعة في هذه المناطق حيث يعتنقها حوالي ثلاثة أرباع الدولة أما أغلب الباقين فيمارسون ديانات إفريقية أخرى ، وإحدى المشكلات الرئيسية فى غينيا محدودية خدماتها الصحية. وكذلك نقص الرعاية الصحية؛ مما أدى إلى انتشار مرض الملاريا والحصبة وأمراض أخرى. تبلغ مساحتها

([1]) التاريخ الإسلامي (الأقليات الإسلامية) - محمود شاكر - ج٢٢ ص٢٨٤ - ط المكتب الإسلامي بيروت - ط٢ - سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

([2]) النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوى الغربى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى د / صباح إبراهيم الشيخلى - ص ٤١ ، ٤٢ من كتاب : تجارة القوافل ودورها الحضارى حتى نهاية القرن التاسع عشر - معهد البحوث والدراسات العربية بغداد طبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - سنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

([3]) انتشار الإسلام فى القارة الإفريقية - د/ حسن إبراهيم حسن - ص ٩٩ - طبعة مكتبة النهضة النهضة القاهرة ١٩٦٣ م .

([4]) انظر : تجارة القوافل بين شمال وغرب إفريقيا وأثرها الحضارى - د/ السر سيد أحمد العراقى - ص ١٥٧ من كتاب : تجارة القوافل ودورها الحضارى حتى نهاية القرن التاسع عشر - معهد البحوث والدراسات العربية بغداد طبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - سنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

٢٨,٠٥١كم²، تغطي الغابات الاستوائية المطيرة الكثيفة معظم مساحة البلد ما عدا السهول الساحلية لريو موني وبيوكو. وقد تمكنت أسبانيا من السيطرة على تلك المناطق في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وأقامت فيها مستعمرة عام ١٩٥٩م. ونالت هذه المستعمرة استقلالها بمنحها حكما ذاتيا في عام ١٩٦٣م. ونالت غينيا الاستوائية استقلالها في الثاني عشر من أكتوبر من عام ١٩٦٨م. وبعد ذلك بعام واحد سيطر فرانسيسكو ماسياس نغيوما على الحكومة، وأصبح رئيسا دكتاتوريا لها. وخلال عهده، قامت الحكومة باغتيال الكثير من الناس وزج الكثير منهم في السجن، وأرغم الآلاف غيرهم على مغادرة البلاد. وفي عام ١٩٧٩م، قامت مجموعة من ضباط الجيش بقيادة العقيد تيودورو أوبيانغ نيغيوما مباسوجو، بانقلاب على ماسياس، وشكلوا حكومة عسكرية. ونفذت الحكومة الجديدة حكم الإعدام في ماسياس، ونودي بأوبيانغ رئيسا جديدا للحكومة. وفي عام ١٩٨٩م، انتخب أوبيانغ رئيسا للبلاد بعد انتخابات لم يشارك فيها سوى حزبه الحزب الديمقراطي لغينيا الاستوائية. وفي عام ١٩٩١م، صاغت غينيا الاستوائية لنفسها دستورا جديدا سمح بالتعددية الحزبية. وفي عام ١٩٩٦م، أقيمت أول انتخابات تعددية انتخب فيها أوبيانغ لفترة رئاسية أخرى. (١)

وعن دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى غيننا : فقد انشر الإسلام فى غينيا فى غضون القرن الخامس الهجرى عن طريق الكاميرون على أيدى التجار المسلمين ؛ لأنه قد " وصل الإسلام إلى هذه البلاد فى أواخر القرن الخامس الهجرى أيام المرابطين فى المغرب عندما كانوا يرسلون الدعاة إلى جهات غربى إفريقيا كلها وقد انتقل الدعاة المسلمون إلى غينيا الاستوائية عن طريق الكاميرون والغابون ... ثم جاء الدعاة من نيجيريا أيام نشاط دولة عثمان دونفديو وخلفائه فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الهجرى وأخيراً وصل التجار والعمال النيجيريون الذين أسهموا إسهاماً لا بأس به فى نشر الإسلام . (٢)

ويتحدث أرنولد عن انتشار الإسلام فى غرب إفريقيا مبرزاً دور الحركة التجارية فى ذلك ، ومشيراً إلى الوسائل التي اتبعوها ، وكانت من أكبر العوامل فى اعتناق الأفارقة للإسلام يقول : " وعلى ساحل غنيا تنتشر المؤثرات الإسلامية بوجه خاص على أيدي تجار الحوصا الذين نجدهم في كل المدن التجارية على هذا الساحل؛ وكلما أنشئوا لهم مقرًا، أسرعوا إلى بناء مسجد، وأثروا في السكان والوثنين في مسلكهم القائم على الورع وثقافتهم المتفوقة؛ وقد دخلت في الإسلام قبائل بأجمعها من عبدة الأوثان دون أن يبذل المسلمون أية جهود خالصة يستوجبها إغراؤهم، وإنما كان ذلك نتيجة لاقتدائهم بما يرون أنه حضارة أرقى من حضارتهم. (٣).

٣) **دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى داهومى (بنين حالياً)** : وفى سياق الحديث عن انتشار الإسلام فى دول غرب إفريقا يركز أرنولد على الدور الذى لعبته الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى دهومى (بنين) فيقول : " وفي دهومي Dahomey وساحل الذهب يتقدم الإسلام كل يوم تقدمًا جديدًا، حتى حين لا يعتقد شيوخ القبائل الوثنية أنفسهم الإسلام نجدهم يبيحون لأنفسهم، في أوقات كثيرة، أن يصبحوا تحت تأثير دعاة هذا الدين، الذين يعرفون كيف يستغلون هذا النفوذ للدعوة بين عامة الناس وفي هذا الجزء من القارة تعتبر دهومي وأشنتي أهم الدول التي لا تزال يحكمها حكام وثنيون، ويقال إن تحولهما إلى الإسلام لا يحتاج إلى زمن قصير. (٤) .

٤) **دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى نيجيريا** : لمحة عامة : نيجيريا دولة إسلامية إفريقية، تقع على الساحل الغربي لإفريقيا، تضم أكبر عدد من السكان في قارة إفريقيا وتعد نيجيريا دولة شديدة التنوع، من حيث مظاهر السطح، ويعمل معظم النيجيريين في الزراعة، وصيد الأسماك، والرعي. وفي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلاديين استطاعت بريطانيا بسط سيطرتها على نيجيريا، فأصبحت مستعمرة ومحمية بريطانية حتى عام ١٩٦٠م، حيث نالت استقلالها عن بريطانيا. يعيش نحو ٨٤% من سكان نيجيريا في الريف. ومنذ منتصف القرن العشرين انتقلت أعداد كبيرة من السكان لتعيش في المدن ، واللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية في نيجيريا، وتدرس في المدارس في كافة أنحاء القطر.

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية ـ مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الموضوع أمكنة تنزانيا ص ٧٢٧ المؤلف: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

(٢) التاريخ الإسلامي (الأقليات الإسلامية) ـ محمود شاكر ـ ج٢٢ ص٢٩٠ .

(٣) الدعوة إلى الإسلام ـ المستشرق / توماس أرنولد ـ ص ٣٧٦ ـ ترجمه د / حسن إبراهيم حسن ، د/ عبدالمجيد عابدين ، إسماعيل النحراوى طبعة . مكتبة النهضة المصرية ـ ط ثالثة ١٩٧٠م.

(٤) الدعوة إلى الإسلام ـ المستشرق / توماس أرنولد ـ ص ٣٧٧ .

وبالرغم من ذلك فإنها ليست أكثر اللغات استخداما.يرتدي كثير من سكان المدن في نيجيريا الملابس الغربية، بينما يرتدي بقية سكان المدن ومعظم المناطق الريفية الملابس التقليدية ، وتبلغ نسبة المسلمين في نيجيريا نحو ٧٦% من السكان.في عام ١٩٧٥ م أعلنت الحكومة النيجيرية عن برنامج لتوفير التربية الأولية لكل الأطفال في سن التعليم، ومنذ ذلك الحين قامت الحكومة ببناء كثير من المدارس وبإنشاء معاهد جديدة، لتدريب المعلمين، ومدارس للتدريب المهني وبعض الجامعات ،ويعد اقتصاد نيجيريا اقتصاداً نامياً. (١)

* تاريخ انتشار الإسلام في (نيجيريا) : إن للإسلام تاريخاً قديماً وعريقاً في الدولة التي تعرف اليوم بـ (نيجيريا) ، وكانت المنطقة في العهد الماضي تسمى بلاد (الهوسا) أو بلاد غرب (السودان) ، ويرجع تاريخ انتشار الإسلام وتغلغله في هذه الديار إلى القرن الخامس الهجري، فقد تحدث علماء التاريخ العرب مثل: (القلقشندي) في صبح الأعشى عن قدم ملوم (برنو وكانم) في الإسلام وعلاقتهما بـ (مصر) في أواخر الدولة الظاهرية ، أما (كانو) و (كاتسينا) ، وبقية مدن (هاوسا) ، فقد تأخر تغلغل الإسلام فيها إلى القرن الثامن الهجري. ومن الجدير بالذكر أن انتشار الإسلام في هذه المنطقة كان عن طريق سلمي بحت لم يَشُبْهُ أي ضغط أو إجبار؛ فلقد أراد الله بأهل هذه البلاد خيراً، فسيّر إليهم الإسلام، وكانت الوثنية العمياء قبل ذلك قد أدت بهم إلى أسوأ الأخلاق وفساد النظام حتى كادت أن تهوي بهم لمكان سحيق. (٢)

* دور التجار المسلمين في نشر الإسلام في نيجيريا : ويرجع فضل انتشار الإسلام في بلاد (الهوسا) بعد فضل الله إلى التجار المسلمين من (مالي) وشمال إفريقيا، فاشتهرت بعض مدنهم مثل (كانو) و (كاتسينا) بوصفها مراكز تجارية عريقة، وكانت هذه الأسواق تجذب التجار من مناطق نائية ومن بينهم التجار المسلمون، وكان التجار المسلمون يتميزون بقيم وسلوك تجعلهم محل إعجاب؛ فقد كانوا أهل صدق وأمانة ووفاء، وأهل نظافة ونظام دقيق وخاصة عندما يشاهدهم الناس في وضوئهم وصلاتهم، ومن أحسن الناس لباساً وهيئة، يجيدون الكتابة والقراءة، ويعاملون الناس في شرائهم وبيعهم وغير ذلك بود وسماحة؛ مما دعا الناس إلى حبهم والثقة بهم والإقبال على تلك العقيدة السامية التي توجّه هؤلاء التجار إلى هذا السلوك... وكان العلماء أيضاً في أول العهد قلة، ولم يكن لدى التجار الذين هم سبب انتشار الإسلام الكفاءة العلمية التي تؤهلهم لشرح المعاني الدقيقة والقواعد الأساسية للإسلام، ويضاف إلى ذلك كثرة ترحال التجار وعدم استقرارهم في محل واحد؛ مما جعل إمكانية التعليم الجاد المستمر أمراً عسيراً.إلا أن الأمور تحسنت لما بدأ العلماء يفدون إلى هذه البلاد ومن أشهر من زارها من العلماء (الإمام السيوطي) فانكب جمع من الناس على طلب العلم، ونشأت مدارس ومراكز علمية في بعض المدن. (٣)

*وعن دور التجار المسلمين فى نشر الإسلام فى نيجيريا ففى سياق حديثه عن انتشار الإسلام فى غرب إفريقيا يركز أرنولد على الأثر الذي تركته الحركة التجارية فى لاجوس (نيجريا حالياً) فيقول : " ويوجد قرابة ١٠٠٠٠مسلم فى (لاجوس) Lagos (٤)، كما أن كل المراكز التجارية في الساحل الغربي تضم بين سكانها جماعات إسلامية من القبائل الزنجية الراقية، من أمثال الفلاني والماندنجو والحوصا. وحين يهبط رجال هذه القبائل إلى مدن الساحل، وهم يأتون إليها جماعات ضخمة، إما تجاراً وإما جنوداً يخدمون في جيوش السلطات الأوربية، لا يعجزون بحال عن أن يؤثروا في زنجي الأراضي الساحلية، وذلك بما لهم من جرأة وروح استقلالية. ويري زنجي الساحل أن أحكام الأوربيين والموظفين والتجار يحترمون الذين يؤمنون بالقرآن أينما كانوا، وأن هؤلاء المؤمنين لا يختلفون عنه في الجنس أو المظهر، ولا في الزي أو الطباع اختلافاً بعيداً يستحيل معه أن يدخل في زمرتهم، بل إن هؤلاء المؤمنين فضلاً عن ذلك قد منحوه حظاً من امتيازاتهم على شريطة أن يدخل في دينهم. وإذا ما أظهر الزنجي الوثني، مهما كان خاملاً مغموراً، رغبته في قبول تعاليم الإسلام بادروا بضمه إليهم، فيصبح واحداً منهم متساوياً معهم. وليس قبوله في أخوة المسلمين امتيازاً يمنحونه إياه متبرمين، ولكنه امتياز يمنحه إياه عن رغبة وحرية، دعاة ذوو غيرة وحماسة في نشر تعاليم الدعوة. ولهذا فمن مصب السنغال حتى لاجوس، في مسافة تبلغ ألفي

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية الموضوع أمكنة تنزانيا ص ٨٦٦ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

(٢) انظر : المد الإسلامي في إفريقيا - عباس محمد جلال - طبعة المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ١٣٩٨هـ.

(٣) انظر : الإسلام والمسلمون في نيجيريا بين الماضي والحاضر - محمد بابنجيدا محمد - ج ١٢٣ ص ٩٨ - مجلة البيان - تصدر عن المنتدى الإسلامي .

(٤) ويبلغون الآن ربع مليون، وأغلبهم من المهاجرين والتجار .

ميل يندر فيما يقال أن نجد مدينة ذات أهمية على ساحل البحر ليس فيها مسجد واحد على الأقل ومعه دعاة نشيطون يعملون في أغلب الأحيان جنباً إلى جنب مع معلمي المسيحية.(١) .

٥) **دور الحركة التجارية في نشر الإسلام في سيراليون :** لمحة عامة : سيراليون قطر إفريقي صغير يقع في الجزء الغربي النائي من القارة الإفريقية إلى الشمال من خط الاستواء. وتعد سيراليون من كبرى الدول المصدرة للماس في العالم. يبلغ إجمالي المساحة الكلية لسيراليون نحو ٧١,٧٤٠كم². حصلت سيراليون على استقلالها من بريطانيا عام ١٩٦١م،. ومدينة فريتاون هي العاصمة كما أنها من أكبر المدن، فضلا عن كونها ميناء رئيسيا مهما. ويبلغ عدد السكان في سيراليون نحو ٥,٢٦١,٠٠٠ نسمة عام ٢٠٠٤م. ويعمل معظمهم في الزراعة. ويشكل الأفارقة السواد الأعظم من سكان سيراليون، ويرجعون في أصولهم السلالية إلى ١٢مجموعة عرقية. ويتوزع نحو ثلثي السكان بين قبائل المندي والتمن، وتسكن الأولى في الأجزاء الجنوبية من البلاد، بينما تتركز الثانية في الأجزاء الغربية من سيراليون. وبالرغم من أن اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية للبلاد إلا أن الكثير من السكان يتحدثون اللهجات المحلية الإفريقية . كما أن بعضا من سكان هذه البلاد يعتنق الإسلام، والبعض الآخر يعتنق النصرانية.،ولم يتعرف المؤرخون على سيراليون قبل عام ١٤٦٠م ؛ حينما وطئت أقدام البحارة البرتغاليون أراضي هذه الدولة.ومع بداية القرن السادس عشر الميلادي اتخذت السفن التجارية الأوروبية من هذه المنطقة محطة توقف لنقل المئات من المواطنين إلى أمريكا. ومنذ عام ١٧٢٥م بدأت قبائل الفولاني(٢)، التي تعيش إلى الشرق مما يعرف حاليا بسيراليون، بجهود مثمرة لتعريف أبناء المناطق المجاورة بالإسلام وتوحيدهم تحت رايته. (٣) تقع سيراليون في أقصى غرب القارة الإفريقية على ساحل القارة، وتطل على المحيط الأطلسي، واسم سيراليون معناه بالأسبانية والبرتغالية [جبال الأسد]، وقد أطلقه عليه الرحالة البرتغالي [داسنترا] لأنه عندما وصل إلى تلك البقاع كثرت الغيوم ، وارتفعت أصوات الرعد التي تشبه زئير الأسد .

* ***تاريخ دخول الإسلام إلى سيراليون ودور الحركة التجارية:*** تكاد تُجمع الروايات المنقولة في كتب التاريخ الحديث لإفريقيا الغربية وفي الصحف التي عنيت بسيراليون أن الإسلام كفكرة سامية مقدسة عُرفت وسمعت من أشياخ قبائل سيراليون في القرن السادس عشر الميلادي وإن لم تكن وقتئذ مطبقة كدين عقيدة وعمل والمعروف قديماً في سيراليون أن من أراد دفع تهمة عن نفسه يقول: "أنا مسلم"أي أنا لا أفعل شراً كالمسلم الذي لا يفعل شراً. ولا تزال هذه العادة منتشرة إلى اليوم في جميع الأوساط الإسلامية وغيرها.إن معرفة أشياخ سيراليون للإسلام بهذه القدسية وقتئذ كان بسبب وصول التجار المسلمين الصالحين من غينيا والسنغال ونيجيريا وموريتانيا إلى مدن سيراليون الساحلية واتصالهم بهم. وقد ظل الإسلام ـ كنظرية ـ مقدسة ـ باللسان ـ إلى أن قامت معارك فوتاجالو الشهيرة (٤) التي نقلت

---

(١) الدعوة إلى الإسلام ـ المستشرق / توماس أرنولد ـ ص ٣٧٧ .

(٢) ومع نزوح قبائل الفولاني غربا- بدأت مجموعات أخرى كبيرة في الهجرة نحو المناطق الساحلية لتقيم فيما يعرف الآن بسيراليون.وفي عام ١٧٨٧م وصل جرانفيل شارب (أحد مناهضي تجارة الرقيق البريطانيين) إلى شواطئ سيراليون وفي معيته ٤٠٠ من المواطنين السود الأمريكيين بعد حصولهم على حرياتهم. وقد قام شارب بإطلاق سراحهم في الساحل فيما يعرف الآن بفريتاون. وقد عانى هؤلاء المستوطنون الجوع والمرض وويلات الحروب؛ حتى كادت هذه المستوطنة أن تنقرض. وفي عام ١٨٠٧م أصدرت بريطانيا مرسوما يحرم تجارة الرقيق في كافة مستعمراتها. وفي العام التالي أصبحت شبه جزيرة سيراليون مستعمرة بريطانية. وقد عملت السلطات البريطانية منذ ذلك الحين على تحرير أفواج الرقيق المحملة في السفن التجارية التابعة للعديد من الدول وإفراغ هذه السفن في سيراليون.ثم ما لبث أن امتد النفوذ البريطاني تدريجيا إلى أعماق البلاد. وفي عام ١٨٩٦م، أنشأت بريطانيا محمية لها في المناطق المجاورة. وأصبحت هذه المحمية إلى جانب المستعمرة تشكل تقريبا ما يعرف حاليا بسيراليون.ومنذ عام ١٨٩٦م وحتى عام ١٩٦١م؛ بدأت سيراليون تتجه تدريجيا نحو الحكم الذاتي. وفي عام ١٩٦١م حصلت سيراليون على استقلالها التام من بريطانيا.. انتهجت سيراليون سياسة عدم الانحياز. مجلة البحوث الإسلامية ـ الموضوع أمكنة تنزانيا ص ٦٥٤ المؤلف: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

(٣) مجلة البحوث الإسلامية الموضوع أمكنة تنزانيا ص ٦٥٤ـ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

(٤) وسبب هذه المعارك أن اثنين وعشرين من كبار مسلمي قبيلتي الفُلاّ والماديكا القاطنين في غينيا قاموا مع اتباعهم بقيادة (ألمامي صوري) بتعطيل طبل جماعة وثنية سيراليونية أشعلت فتنة بين المسلمين في منطقتهم الغينية. مما أسفر عن قتال نشب بين الوثنيين والمسلمين المذكورين الذين اعتبروه جهاداً مقدساً انتصروا في نهايته نصراً مؤزراً إذ طاردوا الوثنيين عبر الحدود السيراليونية الغينية التي اجتازوها إلى المدن السيراليونية الشمالية مثل: كارينا ـ فالابا ـ بورت لوكو. واستوطن كثير من المسلمين في هذه المدن وأخذوا يتصلون في المدن والقرى المجاورة للتجارة وهم يؤدون شعائرهم الدينية من صلاة وصيام وتلاوة قرآن، مما جعل بعضاً من وثنيي سيراليون يعتقد مع الأيام دين الرجل الأسود وذلك لأن أتباعه من السود الوافدين من غينيا فلهذا السبب الجزئي، وللسبب الأول وهو أن الإسلام دين الفطرة بدأ بعض الوثنيين يقلدون المسلمين في صلاتهم وشعائرهم الدينية إلى أن توثقت الروابط بين الفئتين وأخذ الوثنيون السيراليونيون يثقون إلى حد كبير بالمسلمين وخاصة بعدما ساعد المسلمون السيراليونيون بالوقوف إلى جانبهم ضد البرتغاليين والإنكليز المستعمرين. إن هذه الثقة وهذا التلاحم وَلَّدَا انفتاحاً جديداً بين المسلمين الغينين وشعب سيراليون أسفر عن توافد مزيد من آلاف المسلمين

الإســــلام إلـــى حيـــز التنفيـــذ فـــي القـــرن الثـــامن عشـــر المـــيلادي. ([1]) وتشير بعض الدراسات الحديثة إلى أن الإسلام : قد شق طريقه إليها عن طريق التجارة والمصاهرة والاندماج والكتب والمدارس والمساجدالتى أسهمت فعلا في انتشار الإسلام بين القبائل كافة. " ([2]) ويتجلى لنا من حديث أرنولد عن سر انتشار الإسلام فى الساحل الغربي من إفريقية ـ والذى هو من أهم ميادين نشر الدعوة الإسلامية، ومن خلال ملاحظاته العلمية الكثيرة " فهناك ملاحظة من أسبق ما لوحظ على نشاط الدعوة الإسلامية في الدول المجاورة لـ (سيراليون)، نجدها في التماس لحل شركة سيراليون Sierra Lone Company أمر مجلس العموم بطبعه، في (٢٥ / ٥) ١٨٠٢م) وهذا نصه: "منذ مدة لا تزيد عن سبعين عاماً، استقرت جماعة صغيرة من المسلمين ـ هم التجار ـ في بلاد الماندنجو، وكما هي العادة عند فقهاء هذا الدين (الإسلام) فتحوا مدارس تدرس فيها اللغة العربية والعقائد التي جاء بها محمد وجروا على عادات المسلمين وخاصة عدم بيع أبناء دينهم بيع الرقيق، وقد أقاموا لأنفسهم شرائع استخرجوها من القرآن واستأصلوا ما كان هناك من عادات تساعد على تخريب الساحل من السكان. وعلى الرغم من وجود كثير من الاضطرابات القومية، جلبوا من البلاد حضارة بلغت درجة عظيمة نسبيًا، كما جلبوا إليها الاتحاد والطمأنينة. وكان من أثر ذلك، أن زاد السكان زيادة سريعة، وانتقل إلى أيديهم شيئاً فشيئاً كل النفوذ في تلك الجهة من البلاد التي يقيمون فيها. أما هؤلاء الذين تعلموا في مدارسهم فإنهم يسيرون نحو الثراء والقوة في البلاد المجاورة للماندنجو، ويعودون ومعهم قسط وافر من الدين والشريعة. وهناك رؤساء آخرون ينتحلون الأسماء التي اتخذها هؤلاء المسلمون لأنفسهم بسبب ما يقترن بها من احترام وتوقير، ويبدو أنه من الممكن أن ينشر الدين الإسلامي في أمن وسلام انتشارًا سلمياً، في كل المنطقة التي تقع فيها مستعمرة الماندنجو، حاملاً معه تلك المزايا التي تتغلب فيها يظهر دائمًا، على خرافات الزنوج .ثم يقول : " ويظهر أن الإسلام لم يجد له منفذاً في بلاد مندي (بلدة جنوب سيراليون تابعة لها)التي تقع على بعد مائة ميل تقريباً جنوبي سيراليون، إلا في القرن الحاضر، ولكنه الآن يتقدم تقدماً ثابتا. "ولا يقوم هناك بالدعوة أية جماعة خاصة من الدعاة تفرغت لهذا الغرض، بل كل مسلم هناك داعية نشيط. وإذا ما اجتمع في مدينة ستة رجال منهم، وأقل من ذلك أو أكثر، وعزموا على أن يقيموا فيها فترة من الزمن، سارعوا إلى بناء مسجد وأخذوا ينشرون الدعوة، فهم يتقدمون أولاً إلى رئيس المدينة ويحصلون منه على الموافقة على عملهم الذي يقصدون إليه، وربما ظفروا بوعد منهم أن يصبح مشايعاً لهم ويعلمونه صلاتهم بالعربية، أو يحفظونه منها القدر الذي يستطيع أن يحفظه أو يعيه. ويمدونه بالصيغ والشعائر التي تستعمل في الصلاة ويحرمون عليه تناول المشروبات الروحية- وسواء روعي هذا الشرط أم لم يراع أصبح الرجل مسلماً . ([3])

٦) **دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى مالي** : مالي من الأقطار الكبرى بغربي إفريقيا. وتغطي الصحراء الكبرى النصف الشمالي منها في حين تمتد غطاءات الحشائش في بقية القطر. وتبلغ مساحة مالي ١,٢٤٠,١٩٢كم^2. ويقطنه نحو ١٢,٥٥٩,٠٠٠ نسمة. الإسلام الدين الرئيسي في مالي إذ إن ٦٥% من السكان مسلمون. أما جماعات البمبارا والمالنكيين والفتايك فهم يمارسون الديانات الإفريقية التقليدية. كذلك هناك نحو ٥% من السكان يعتنقون النصرانية.يعيش ٧٣% من سكان مالي في مناطق ريفية، في حين يسكن المدن ٢٧% من السكان فقط.مالي غنية بتراثها الثقافي. فقد قامت في أراضيها الحالية في الفترة ما بين القرنين الرابع والخامس عشر الميلاديين ثلاث دول إفريقية هي دولة غانا، ودولة مالي الإسلامية، ودولة صنغي. وكان ازدهار تلك الدول بسبب سيطرتها على طرق التجارة الرئيسية في المنطقة. وفي منتصف القرن التاسع عشر حاولت فرنسا إقامة مستعمرة لها فيما يعرف حاليا بمالي. ولكنها كانت تواجه بمقاومة عنيفة من قبل السكان الأفارقة. وأخيرا تمكنت من السيطرة على المنطقة عام ١٨٩٥م. وفي عام ١٩٠٤م تحول اسم المستعمرة إلى السودان الفرنسي، وصارت جزءا من إفريقيا الغربية الفرنسية. ثم منح السودان الفرنسي مرتبة الولاية في الاتحاد الفرنسي في عام

الغينيين وخاصة من قبيلة السوسو للاستيطان في سيراليون. وبذلك صار الإسلام ينتشر في القرى والغابات السيراليونية انتشار الرائحة الزكية عن طريق هؤلاء المسلمين. كماصار أشياخ قبائل سيراليون كقبيلة المندي والتنمي واللمبا يعلنون عن إسلامهم ويدعون إليه رغم المغريات الهائلة التي كانت ولا زالت تقدمها المؤسسات التبشيرية النصرانية لجلب هؤلاء الأشياخ إليها. الإسلام في سيراليون ـ أحمد صالح محايري ـ ص ٩٥ ـ طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ الطبعة: (٦) العدد الثاني ـ رجب ١٣٩٣هـ / أغسطس ١٩٧٣م

([1]) انظر : الإسلام في سيراليون ـ أحمد صالح محايري ـ ص ٩٥ .

([2]) جهود خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز في دعم الأقليات المسلمة ـ ص ٦٧ .

([3]) الدعوة إلى الإسلام ـ المستشرق / توماس أرنولد ـ ص ٣٧٥ .

١٩٤٦م.أصبح السودان الفرنسي جمهورية ذات حكم ذاتي في إطار المجموعة الفرنسية عام ١٩٥٨م. وفي السنة التالية اتحد السودان الفرنسي والسنغال؛ ليكوّنا اتحاد مالي الفيدرالي. وكان قائد مالي موديبو كيتا رئيسا لذلك الاتحاد. ولكن سرعان ما انفضّ الاتحاد في أغسطس عام ١٩٦٠م. ثم نال السودان الفرنسي استقلاله التام تحت اسم جمهورية مالي بتاريخ ٢٢ سبتمبر عام ١٩٦٠م. (١) . وكان الدِّين الرسمي لتلك الدولة الجديدة هو الإسلام، ويرجع السبب في اعتناق جميع قبائل المانديك للدين الإسلامي، إلى اعتناقهم وإيمانهم المطلق بتعاليم المرابطين.وبالرغم من أن قبائل المانديك تُعتَبر أولاد عمومة لقبائل السونتيك وقبائل الستوسو؛ حيث يتكلم الجميع لغة واحدة هي اللغة الماندية، إلا أن الإسلام لم يتغلغل بين السونتيك والستوسو بنفس قدر تغلغله في قبائل المانديك ، ولقد أسس هذه المملكة شعب زنجي أصيل هو شعب الماندنجو، وكلمة مالي تحريف لكلمة ماندونجو، ومعناها الذين يتحدثون لغة الماندي، وقد اعتنق هذا الشعب الزنجي الإسلام في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي أثناء حركة المرابطين، وتمكنت هذه الدولة الصغيرة التي بدأت بمملكة كانجايا أن تتملك قوَّة عسكرية في منطقة نياني (Niaini)، وهي مدينة تقع غرب نهر النيجر، وليست بعيدة عن حدود غينيا الحديثة، وظهرت دولة مالي إلى حيِّز الوجود بزعامة سندياتا مؤسس هذه المملكة، والذي كان يُسمَّى ماري دياتا أو ماري جاطة، وقد وصل إلى عرش مالي في حوالي سنة ١٢٤٥م، وظلَّ يَحكُم مدة خمسة وعشرين عامًا، واستطاع سندياتا أن يجعل من مملكته الصغيرة إمبراطورية عظيمة بعد أن استولى على البقية التي خلفها في إمبراطورية غانا، وبعد أن هزم ملك الصوصو وضم أرضه إلى بلاده، وأسس عاصمة جديدة في نيامي (وأحيانًا تُسمَّى مالي). احتَلَّتْ مالي مكانة تِجارية في السودان الغربي، وظلَّت تحتلُّ هذه المكانة حتى جاء ابنه عَلِيٌّ الذي حمل لقب منسا، ومعناها السلطان أو السيد بلغة الماندي، والذي سار على نفس النهج الذي كان عليه والده، وحكم من عام ١٢٦٠م حتى عام ١٢٧٧م، وقام أيضًا برحلة الحج إلى الأماكن المقدسة مثل الملوك الآخرين. وهكذا كان ظهور دولة مالي على مسرح الأحداث السياسية في غرب إفريقيا، وتوسعاتها في الشرق والغرب قد ساعد على انتشار الإسلام وحضارته، وخاصَّة أنها سيطرت على طرق التجارة، وعلى مناجم الذهب والملح، فضلًا عن الازدهار التجاري الذي ساد هذه الإمبراطورية، التي تجلت فيها مظاهر الازدهار الثقافي، وتوطيد الصلات مع القوى المجاورة، ورحلة الحجِّ المشهورة التي ذاعت شهرتها وكانت آثارها العلمية والثقافية قد أحدثت تغييرات كثيرة في نظام البناء، وطُرُق التجارة، وإنشاء المساجد والمنارات، واستقدام الفقهاء والعلماء، ونشر مذهب الإمام مالك، وظهور حياة إسلامية أصيلة عريقة بفضل جهود علماء من مصر ومراكش . (٢) وقد دخل الإسلام إلى مالى " فى القرون الأولى للهجرة على أيدى الوافدين إليها من الدعاة والتجار من دول شمال إفريقيا وبخاصة من الجزائر والمغرب وموريتانيا ، وكانت مالى طوال العصور الوسطى مركزاً للدعاية والثقافة الإسلامية"(٣) والثابت تاريخياً أن مملكة مالي أخذت دور غانا بعد اختفائها من المسرح التاريخي السياسي فواصلت عملية نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية ووصلت أوجها بين القرنين الثالث والرابع عشر وأصبحت من كبري الدول الإسلامية التي قامت في غربي أفريقية في تلك العصور وكان أهلها متمسكين بالإسلام متحمسين له وخاصة قبيلة الماندجو (٤) وقد أعطانا ابن بطوطة صورة واضحة لهذه المملكة لما زارها فى سنة ٧٥٣ هـ (١٣٥٢)م وقد أعجب بشدة عنايتهم بحفظ القرآن حيث قال " وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه فلا تفك عنهم حتي يحفظوه ولقد دخلت علي القاضي يوم العيد وأولاده مقيدون ، فقلت له ألا تسرحهم ؟ فقال لا أفعل حتي يحفظوا القرآن . (٥)

١) **دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى إمبراطورية السونغاي :** تقع ناحية الداهومي، وفولتا العليا (بوركينا فاسو)، إلى جهات بوسا بشمال نيجيريا، وكانت عاصمتها مدينة غآو بالقرب من مدينة زوغوا الحاضرة. ويُروى أن أَصْل مُلُوكِها يرجع إلى اليمن، وأنهم نزحوا إلى السودان زمن فرعون موسى،

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية ـ الموضوع أمكنة تنزانيا ص ٨٠٩ ـ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

(٢) انتشار الإسلام في غرب إفريقيا ـ د/ عبد الله عبد الرازق إبراهيم ـ ص١٩ـ٢١، عن : جوان جوزيف: ص ٦٧ .

(٣) انتشار الإسلام وأشهر مساجد المسلمين فى العالم ـ محمد كمال حسين ـ ص ١١١ ـ طبعة دار الفكر العربى القاهرة ١٩٧٦ م

(٤) تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ـ ابن بطوطة ج١ ص ٣١٢ ـ طبعة بولاق القاهرة عام ١٩٣٤ م .

(٥) انظر : تجارة القوافل بين شمال وغرب إفريقيا وأثرها الحضارى ـ د/ السر سيد أحمد العراقى ـ ص ١٤٧ .م . س .

وكانوا أربعة عشر مَلِكًا في الجاهلية، تبدأ أسماؤهم بـ(زا) ولعله تحريف ضيا، وأول مَن أسلم منهم زاكمن سنة ٤٠٠هـ، ثم يليهم مَن تبدأ أسماؤهم بـ(سن) ([1]).وفي منتصف القرن السابع الميلادي ظهرت بعض قبائل لمطة المغربية، والتي أخذت تفرض نفوذًا سياسيًّا على المزارعين من سكان صنغى، الذين استقروا على الضفة اليسرى لنهر النيجر عند مدينة دندي، واستطاع هؤلاء البربر أن يؤسِّسوا أُسْرة حاكمة تُسمَّى ديا (Dia)، والتي اتخذت من كوكيا حاضرة لها، وأقامت عَلاقات تجارية مع غانا، وتونس، وبرقة، ومصر، وكانت هذه العَلاقات التِّجارية سببًا في دخول هؤلاء الملوك في الإسلام في القرن الحادي عشر الميلادي عن طريق شمال إفريقيا، ونُقِلت عاصمة هذه البلاد إلى جوا عند منحنى النيجر، والتي صارت من أهمّ مراكز التِّجارة في السودان الغربي ([2]). وفي القرن الحادي عشر، وبالتحديد في سنة ١٠١٠م أسس أحد ملوك هذه الإمبراطورية -ويُدعى (كوزي)- عاصمة للمملكة وهي مدينة جاو، واعتنق هذا الملك الدين الإسلامي، وأصبح من المعتاد أن يكون حاكم قبائل السنغاي من المسلمين، بالرغم من أن القبائل نفسها لم تَعتنق الإسلام، وظلَّت على دِيانتها القديمة. وأصبحت جاو مركزًا تجاريًّا مهمًّا، وجاء إليها التجار العرب والمسلمين من مصر ومن البلاد الإسلامية في شمال إفريقيا، وأصبحت هذه المدينة مركزًا للدعوة إلى اعتناق الإسلام؛ فقد امتلأت بمجالس العلم، ووفد إليها العلماء المسلمون من الدول الإسلامية، كما وفد إليها طلاب العلم من المناطق الأخرى ([3]). وقد توسَّعت هذه المملكة في عهد سنى علي (١٤٦٤-١٤٩٢م)، الذي أسس جيشًا قويًّا وصل إلى سهول غرب إفريقيا، وبعد وفاته انتقل العرش إلى أحد قوَّاده من السوننكى، وأطلق على نفسه اسم الأسكيا محمد الأول، والذي نظَّم شئون الجيش، وحجَّ البيت عام ١٤٩٥م، وازداد في كرمه على منسى موسى، وأعاد لتمبكت هيبتها، وصارت مركزًا للدراسات الإسلامية. وبعد عودته من الحج عام ١٤٩٧م شنَّ عِدَّة حملات لتوسيع رقعة بلاده، وقام بنشر الإسلام بين الوثنيين من جيرانه الماندنجو، والفولاني، والطوارق، والموسى، والهوسا في الشرق، وامتدت إمارات صنغى إلى حدود التكرور، كما غزا إمارات الهوسا، وأَجْبَر سُكَّانها على دفع الجزية، وازدهرت تمبكت في عهده ازدهارًا لم يَسبق له مثيل، بل ويُعَدُّ عصره العصر الذهبي للمدينة. ([4]).

ثانياً : دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى شرق إفريقيا :

وكما لعبت الحركة التجارة دورًا كبيرًا فى نشر الإسلام ، فى شمال إفريقيا وغربها ، كذلك كان لها دورها فى نشر الإسلام فى شرق القارة الإفريقية ، وذلك بفضل الطرق التجارية التى سبقت الإشارة إليها أنفاً ، والتى تصل وادى النيل بشرق إفريقيا ، مما ساعد فى نشر الإسلام ونقله من مصر إلى بلاد السودان وشرق إفريقيا " فمعاهدة البقط ([5]) مثلاً التى عُقدت بين بلاد النوبة ومصر الإسلامية ، كان يقصد بها قبل كل شئ ، تنظيم العلاقات الاقتصادية والتجارية بين القطرين وعلى أثر عقد الاتفاق ، أخذ التجار المسلمون يتجولون فى بلاد النوبة ، وإليهم يرجع الفضل الأول فى نشر الإسلام فى هذه البلاد . وقد نشأت بوادى النيل مراكز للتجارة ،

([1]) المسلمون في غينيا - د/ محمد عبد القادر أحمد - ص٤٢- الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م - القاهرة .
([2]) انتشار الإسلام في غرب إفريقيا - د/ عبد الله عبد الرازق إبراهيم - ص٢٢.
([3]) الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء - جوان جوزيف - ترجمة مختار السويفي - ص٨١، ٨٢.
([4]) انتشار الإسلام في غرب إفريقيا - د/ عبد الله عبد الرازق إبراهيم - ص٢٢، ٢٣.
([5]) معاهدة البقط : هي معاهدة بين مملكة المقرة وحكام مصر المسلمين، استمرت نحو سبعمائة سنة، لذا تعتبر من أطول المعاهدات في التاريخ.عقدت المعاهدة عام ٦٥١هـ . في تلك السنة، قاد عبد الله بن أبي السرح جيشًا بإتجاه الجنوب ضد الممالك المسيحية في النوبة. بعد معركة دنقلا، أدرك ابن أبي السرح صعوبة الاستيلاء على هذه المنطقة. لذا عقد المعاهدة التي تم التفاوض عليها بين أبي سرح وملك المقرة "كالديرات".كانت المعاهدة اتفاقا شفهيا وذات بنود واضحة وهي:ألا يهاجم العرب النوبة وأن النوبيين لن يهاجموا مصر. لمواطني البلدين حرية التجارة والسفر بين البلدين، ويحق لهم المرور بأمان من دولة لأخرى. منع الهجرة والاستيطان لمواطني الدولتين في أراضي الدولة الأخرى. تسلم كل دولة العبيد المارقين من الدولة الأخرى إليها. النوبيين كانت مسؤولة عن الحفاظ على مسجد للزوار المسلمين والمقيمين. المصريون ليسوا ملتزمين بحماية النوبيين من الهجمات من قبل أطراف ثالثة. تقدم المقرة ٣٦٠ عبدًا سنويًا إلى مصر. هذه المعاهدة لم يسبق له مثيل في تاريخ الفتوحات العربية. كما أنها أوقفت نشر الإسلام في هذه المنطقة لمدة ٧٠٠ عام. ، انتهت المعاهدة في منتصف القرن الرابع عشر، مع الانهيار التام لمملكة المقرة.تم الاسترجاع من "http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B9%D8D9 تناول البلاذري أحد المؤرخين الأوائل المعاهدة، وأورد نصوص مختلفة للمعاهدة. خلاصتها يُلزم النوبة بإرسال العبيد، مما يرمز إلى التبعية لمصر، وآخر يضيف إلتزامًا من المصريين أيضًا بإرسال البضائع من القمح والعدس للمقرة، وهذا من شأنه أن يضع البلدين على قدم المساواة. انظر : فتوح البلدان - أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلاذُري - ج١ ص ٢٣٥ - طبعة دار ومكتبة الهلال- بيروت - عام ١٩٨٨ م .

كان لها شان عظيم فى نشر الإسلام فى شرق إفريقيا على الخصوص من أهمها : مركز مدينة عيذاب ([1]) : التى نشأت نتيجة لاستقرار بعض الجماعات العربية فى إقليم العتباى ، واستغلال مناجم العلاقى ، والنشاط الاقتصادي فى هذه المنطقة أدى الى ظهور مدينة عيذاب ، وذاعت شهرتها على الخصوص ، ابتداءً من القرن الثاني عشر بعد تحول قوافل الحج من مصر وبلاد المغرب ، من سيناء الى الصعيد ، بسبب الحركات الصليبية على سواحل الشام وفلسطين ، وغدت عيذاب ميناء مصر الرئيسي على البحر الأحمر منذ أواخر القرن الفاطمى وظلت كذلك حتى أواخر دولة المماليك الثانية ، وبلغ من أهميتها أن أشرفت عليها إدارة مصرية ، وكانت الدولة المملوكية تعين إلى جانب واليها الحدربى والياً مصرياً ، ومن هذه المراكز الهامة مدينة قوص ([2]): التى أضحت سوقا تجارياً هاماً ، ترد إليه منتجات إفريقيا الوسطى ، والمغرب ، واليمن ، والهند ، والحبشة ، حيث نشأت طائفة من التجار المسلمين تسمى بالكانمية، اتخذت هذا الاسم على الخصوص اعتباراً من العصر الأيوبى ، وقد اتسعت هذه التسمية فأطلقت على عامة التجار الذين يشتغلون بتجارة التوابل ، وأصبح لهم نفوذ كبير ، وشهرة عظيمة ، وقد وصل هؤلاء التجار إلى الحبشة ووجدوا ترحيباً عظيماً من زعمائها ، نظراً لما قاموا به من تصريف منتجاتهم وتسويقها بأسعار مجزية ،وكان هؤلاء التجار يقيمون فى بلاد الحبشة فى مواسم التجارة ، ويوطدون صلتهم بالزعماء ويعملون فى نفس الوقت على نشر الإسلام، وكان هؤلاء الناس يحتكرون تجارة الحبشة، خصوصاً والأحباش قوم محاربون أو زراعيون يحتقرون التجارة أو يأنفون منها، فتركوا هذا الميدان لتجار المسلمين، فبرعوا فيه لأبعد الحدود، واحتكروا هذه التجارة، وركزوا الشئون الاقتصادية فى أيديهم. ([3])

ويؤكد الباحثون على الدور الكبير الذى لعبته هذه المراكز التجارية فى(مدينة عيذاب ، ومدينة قوص) فى نشر الإسلام ، وذلك حيث " استقر بعض المهاجرين ، من غرب جنوب الجزيرة على شاطئ شرق إفريقيا ، وإنشائهم مدناً ساحلية ، مثل : (سواكن ، وباضع ، وزيلع ، وبربرة ، ومقدشو ، وكلوا) ([4]) ، وأصبحت هذه المدن مراكز تجارية هامة تقوم بحمل متاجر إفريقيا ، إلى أسواق أسيا ، وحمل متاجر آسيا إلى إفريقيا ، وتشتغل على الخصوص ، بتجارة التوابل أو الذهب والمنسوجات ، وقد أصبحت هذه المدن الساحلية ، مراكز هامة لنشر الإسلام ، إذ قام أثرياء التجار بفتح المدارس ، وإرسال الطلاب المتفوقين إلى البحرين أو القاهرة أو دمشق ، لإتمام تعليمهم ، ومن هذه المدن الساحلية كان التجار يندفعون إلى داخل الإقليم لشراء المنتجات أو تصريف البضاعة ، ولما كانت الإبل لا تستطيع أن تصل إلى المناطق الداخلية ، فيقيمون الشهر أو الشهور يتاجرون ، ثم يعودون من حيث أتو ، وعلى هذه الطرق نشأت بعض المستعمرات الداخلية ، وهؤلاء التجار المنحدرون من المدن الساحلية ، كان لهم شأن فى نشر الإسلام بين الصوماليين والجلا وغيرهم من الشعوب النازلة فى هذا الإقليم ..... وبعد وقوع إفريقيا فى قبضة الاستعمار(فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين) أدى ذلك إلى زيادة نشاط حركة هؤلاء التجار فى نشر الإسلام ، وبالتالي إلى ازدياد الإسلام سعة فى

([1]) عَيْذَابُ:بالفتح ثم السكون، وذال معجمة، وآخره باء موحدة: بليدة على ضفة بحر القلزم هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد. معجم البلدان ـ أبو عبد الله ياقوت الحموي ٤ / ١٧١الناشر: دار صادر، بيروتالطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م .وعيذاب : يقع ميناء عيذاب علي الجزء الشمالي من ساحل البحر الأحمر السوداني ، وقد لعبت عيذاب دوراً رئيسياً بالنسبة للسودان حيث كانت نقطة انطلاق الدعوة الإسلامية منذ خلافة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وتواتر ورود المسلمين عليها وترتبط عيذاب بطرق مواصلات مباشرة بوسط السودان وشرقه وكانت مخرجاً لمنتجات منطقة مناجم الذهب . وقد أشار إليها المقريزي بأنها أهم ميناء مزدهر تربط طريق عيذاب الدولي بموانى اليمن مع الهند والبحر المتوسط كما ظلت أهم ميناء الحجاج إلي مكة لمدة أربعة قرون تبدأ من القرن العاشر إلي القرن الرابع عشر الميلادي .. تم الاسترجاع من "http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%8

([2]) قُوصُ:بالضم ثم السكون، وصاد مهملة، وهي قبطية: وهي مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما، وأهلها أرباب ثروة واسعة، وهي محطّ التجار القادمين من عدن وأكثرهم من هذه المدينة، وهي شديدة الحرّ لقربها من البلاد الجنوبية، وبينها وبين قفط فرسخ وهي شرقي النيل، بينها وبين بحر اليمن خمسة أيام أو أربعة، وقوص في الإقليم الأول، وطولها من جهة المغرب خمس وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها أربع وعشرون درجة وثلاثون دقيقة.معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ ٤ / ٤١٣ـ وقوص مدينة ومركز بمحافظة قنا. وتقع علي الساحل الشرقي من النيل جنوب القاهرة بحوالي ٦٤٥ كم، عدد سكانها ٣٤٩,٨١٠ نسمة طبقاً لتعداد الجهاز المركزي للإحصاء لعام ٢٠٠٥، كانت قوص عاصمة للصعيد ومعبر الحجاج إلى البحر الأحمر. قال ابن جبير عنها "وهذه المدينة حفيلة بالأسواق متسعة المرافق كثيرة الخلق لكثرة الصادر والوارد من الحجاج والتجار اليمنيين والهنديين وتجار أرض الحبشة لأنها محط للرحال ومجتمع الرفاق" ويعتقد أن تحت مباني قوص يوجد كم هائل من الآثار المصرية القديمة كما يعتقد أنها تحوي معبداً للتحنيط.تم الاسترجاع من "http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%82%D9%88%D8%B5"

([3]) انظر: الإسلام والثقافة العربية فى إفريقيا ـ د/ حسن أحمد محمود ـ ص ٥٦. وتاريخ المسلمين فى إفريقيا ـ ص ٥٢ ، ٥٣ نقلاً عن :الإسلام والنوبة فىالعصور الوسطى ـ مصطفى مسعد ـ ص١٥١ ـ القاهرة ١٩٦٠م ، و تاريخ السودان القديم والحديث ـ نعوم شقير ـ ج٢ ص ٦٨ ـ القاهرة ١٩٥٦م ، تاريخ الثقافة العربية فى السودان بين الحبشة والعرب ـ ص١٩٩ القاهرة ١٩٥٢م.

([4]) هذه مدن ساحلية قديمة فى إفريقيا ذكرها صاحب معجم البلدان وهى كما يلى : سَوَاكِنُ: بلد مشهور علي ساحل بحر الجار قرب عيذاب ترفأ إليه سفن الذين يقدمون من جدّة معجم البلدان ـ الحموي ٣ / ٢٧٦، بَاضِع:الضاد معجمة، والعين مهملة. جزيرة في بحر اليمن معجم البلدان ـ الحموي ١ /٣٢٤ ، زَيْلَعُ:بفتح أوّله، وسكون ثانيه، وفتح اللام، وآخره عين مهملة: هم جيل من السودان في طرف أرض الحبشة، وهم مسلمون وأرضهم تعرف بالزيلع معجم البلدان ـ الحموي ٧ / ٥٦٣ ، بَرْبَرَةُ:هذه بلاد أخرى بين بلاد الحبش والزنج واليمن على ساحل بحر اليمن وبحر الزنج، وأهلها سودان جدّا معجم البلدان ـ الحموي ١ /٣٦٩ ، مَقْدَشُو:بالفتح ثم السكون، وفتح الدال، وشين معجمة: مدينة في أول بلاد الزنج في جنوب اليمن في برّ البربر في وسط بلادهم .معجم البلدان ـ الحموي ٥ /١٧٣.

الانتشار ، فاستطاعوا فى ظل الاستعمار اختراق مناطق الغابات ، واستطاعوا التوغل مسافات بعيدة ، بعد إنشاء الطرق والسكك الحديدية .بل سلكوا سبلاً أخرى لم تظهر إلا بظهور الاستعمار وتوغلوا نحو المناطق الساحلية ليس عن طريق البر فحسب ، بل عبر الطريق البحري الذي يدور حول إفريقيا ، لذلك ظهرت جماعات إسلامية على طول الساحل الغربي ، وأصبحت المدن الممتازة من مصب السنغال حتى مدينة لاجوس بنيجيريا ، تضم جاليات إسلامية وفيرة العدد إما من المهاجرين أو ممن أسلموا على يد التجار الوافدين ." (١) . وهكذا عملت الحركة التجارية الإسلامية منذ القدم على نشر الإسلام فى جميع أنحاء القارة الأفريقية ، وحتى بعد مرحلة الاستعمار الغربى ، والتي جاءت على عكس ما أراد أصحابها من النيل من الإسلام وأهله، فكانت سبباً فى نشر الإسلام فى أدغال أفريقا ، والأماكن التى لم يكد يصل إليها التجار المسلمون من قبل ، وذلك عن طريق السكك الحديدية ، والطرق البرية التى شقها المستعمرون ، والتى سهلت على التجار المسلمون الانتقال إلى أبعد الأماكن فى القارة الأفريقية فوصل إليها نور الإسلام .ومن النماذج الدالة على انتشار الإسلام فى شرق إفريقيا عن طريق الحركة التجارية الإسلامية ما يلى :

١) دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى أوغندا :

أولاً لمحة تاريخية :أوغندا دولة في شرق إفريقيا. وهي دولة داخلية، أي لا سواحل لها. ، وأوغندا كانت مقسمة إلى أربع ممالك هي بوجندا وأنكولي وأورور وبانبورو. كان هذا قبل الاحتلال البريطاني. دخلت في حوزة النفود البريطاني في سنة ١٣٠٨هـ وأعلنت بريطانيا الحماية عليها فى سنة ١٨٩٩م. ثم تحولت بعد ذلك إلى مستعمرة ظلت تحت الحكم البريطاني حتى استقلالها في سنة ١٩٦١م.

الموقع :توجد في القسم الشمالي من بحيرة فكتوريا، ومايليه شمالاً وغرباً وإلى الشمال قليلاً من الدائرة الاستوائية. تحدها كينيا، من الشرق، وتنزانيا، من الجنوب، والسودان، من الشمال، وزائير من الغرب ورواندا، من الجنوب الغربي. وعاصمتها كمبالا، شمالي بحيرة فكتوريا. وسكان اوغندا ١٧ مليون ونصف نسمة. ومن أشهر مدنها جنجا وبوجنجا وعنتيبي.الدين :٤٢% رومان كاثوليكيين،٤٢% مسيحيون بروتستانتين،١٢% مسلمون (معظمهم سُنة)،٤% يتبعون أديان وعقائد مختلفة كالبهائية ، والهندوسية واليهودية ، بالإضافة للأديان المحلية . (٢)

ثانياً: دخول الإسلام في أوغندا: ظلت (أوغندا) ردحاً من الزمن بلداً وثنيّاً، حتى منّ الله عليها بالإسلام، فدخلها سنة (١٢٦٠هـ ١٨٤٤م) ، ويعتبر الإسلام أول دين سماوي شق طريقه إليها؛ ليخرج الناس من عبادة الأوثان إلى عبادة الله الواحد القهار ، وقد أخذ دخول الإسلام في هذا البلد مكاناً رئيساً في تاريخه، إذ إن المؤرخين كلهم يبدءون عنده، وليس هناك من الحفريات أو الآثار ما يتحدث عن هذا البلد قبل الإسلام، ومن هنا.. كان لزاماً على المسلمين أن يهتموا بهذه البقعة وسائر البقع الإفريقية وغيرها، لعدة أمور، منها:

١- انتشار الإسلام: فقد انتشر الإسلام في أكثر مناطق القارة الإفريقية بسرعة فائقة؛ حيث أصبحت نسبة المسلمين فيها هي الغالبية العظمى، فقد وصلت إلى ... (٧ ر٥١%) ، وقيل (٥٧%) مما يدل على أن هذه القارة إسلامية من حيث النسبة العددية، وأن مستقبلها إن شاء الله مستقبل إسلامي مشرق.

٢- أن إفريقيا تتوسط قارات العالم الخمس، وبإمكانها أن تكون همزة وصل بين بقية القارات من حيث نقل الثقافة، والمعرفة، والتجارة.. وغيرها من الحاجات الضرورية للإنسان، أضف إلى ذلك أن أكثر أراضيها خصبة، فلو استغلت كلها في الزراعة والحرث لقل الفقر في العالم كله. (٣)

ثالثاً : دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى أوغندا وآثارها : تؤكد الروايات التاريخية على دور التجار المسلمين فى نشر الإسلام في أوغندا " فقد دخل الإسلام إلى أوغندا فى البداية عن طريق التجار العرب المسلمين الذين كانوا يفدون من المراكز الإسلامية فى شرق إفريقيا ، وتزايد المسلمون فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي عن طريق الجنود المصرين الذين أرسلهم محمد على باشا لاكتشاف منابع النيل ".(٤) وقد انطلق التجار المسلمون لنشر الإسلام فى أوغندا عبر طريقين رئيسيين " فقد دخلها الإسلام منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي عن طريق التجار المسلمين الذين وفدوا إليها من المدن الإسلامية الساحلية بشرقي إفريقيا ، وكذلك عن طريق مصر حين ضمت أوغندة إلي السودان المصري في عهد الخديو إسماعيل سنة ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م . وقد اعتنق ملكها " الكاباكا " المسمي " أميتيا الأول " الإسلام . واستطاع

---

(١) انظر : تاريخ المسلمين فى إفريقيا ومشكلاتهم - د/ خديجة النبراوى - ص ٥٣، ٥٤، ٥٥ - بتصرف .

(٢) وانظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا أغسطس ٢٠١١م .

(٣) المسلمون في أوغندا تاريخ وتحديات - زياد صالح لو بانغا - ج ٦٦/٩٩ (العدد ٢٣٨) مجلة البيان - تصدر عن المنتدى الإسلامي بجدة .

(٤) مسلمو أوغندا ومشكلاتهم التربوية - د مصطفى رجب بحث مجلة منبر الإسلام ص ١٠٢ السنة (٦٧) العدد (٦) جماد الآخرة ١٤٢٩ هـ / يونيه ٢٠٠٨ م .

الإسلام ترسيخ أقدامه نتيجة تأثير الجنود المصريين ، الذين تزوجوا من بنات السكان ، حتى إن كثيرا من مسلمي أوغندة اليوم يعدون أنفسهم من أحفاد أولئك الجند الذين قدموا البلاد أيام الخديو إسماعيل . "([1])

وقد قام التجار العرب في النصف الأول للقرن التاسع عشر بمحاولة لإدخال الإسلام في أوغندا . وأسلم كثير من أهل بجندة في عهد الملك موتزا ولا يزال في أوغندا عدد من المسلمين يشغلون مراكز هامة .ولما منعت تجارة الرقيق ، تلا ذلك توسع كبير في نشاط نشر الدعوة الإسلامية في إفريقيا الاستوائية الشرقية . وتوطد السلام والنظام في المناطق الداخلية . ومدت السكك الحديدية وأنشئت الطرق . وحينئذ استطاع التاجر المسلم أن يشق طريقة في مناطق كانت مغلقة في وجهة حتي ذلك الحين . وقد اختارت إدارة هذه البلاد موظفيها من بين أكثر السكان المسلمين ثقافة . وكان معلمو مدارس الدولة من المسلمين . ودخلت قري بأجمعها في الإسلام . وقد سايرت حركة التوسع في نشر الإسلام السكك الحديدة والطرق التجارية الكثيرة فانتشر الإسلام في خط مستقيم عبر إفريقيا الشرقية حتي بحيرة تنجانيقا . ومن مقاطعة كلمنجارو في الشمال حتي بحيرة نياسا في الجنوب وكان الوثنيون ينظرون إلي قبول الإسلام علي أنه دليل علي الترقي إلي حضارة ومنزلة اجتماعية أرفع مما هم فيها .[2] وقد دخل الإسلام أوغندا عبر محورين أساسين:

المحور الأول: التجار العرب والمسلمون السواحليون : الذين أتوا من شرق إفريقيا، أيام الدول الإسلامية التي قامت في تلك المنطقة في عهد النبهانيين، وإمبراطورية الزنج الإسلامية، ودولة بنى سعيد في (زنجبار) ، وقد دخل هؤلاء أوغندا سنة (١٢٦٠هـ ١٨٤٤م) ، وكان أولهم وصولاً الشيخ/أحمد بن إبراهيم العمري (رحمه الله) ، وذلك في عهد الملك (سونا الثاني) وقد وقف هذا الشيخ (رحمه الله) في مجلس الملك، وتحدث عن الإسلام ومحاسنه وآدابه، حتى اقتنع الملك، فأسلم ومن معه، وتعلم القرآن الكريم، وحفظ منه أربعة أجزاء، إلا أنه لم يعثر على أنه فعل شيئاً يذكر لنشر هذا الدين .

المحور الثاني: العرب المسلمون: حيث انضم عدد منهم إلى الحملات الاستكشافية لمنابع نهر النيل، التي لقيت ترحيباً كبيراً من الملك (موتيسا الأول) (١٢٧٣هـ ١٨٥٦م) إلى سنة (١٣٠٢هـ١٨٨٤م)، الذي ورث عرش الملك بعد أبيه (سونا الثاني) ، وقد أسلم هو أيضاً وحسن إسلامه، وطلب من (الخديوي إسماعيل) حاكم مصر أن يرسل له علماء لهداية شعبه، وأبدى هذا الملك حماساً منقطع النظير للإسلام، وعمل على نشره، ليس وسط قومه في مملكة (بوغندا) فحسب، بل تعداها إلى الممالك الأوغندية المجاورة، عندما كتب إلى (كابا ريغا) ملك مملكة (بونيورو (داعياً إياه إلى الإسلام، كما حث أمراءه في مملكته وشعبه كله على اعتناق هذا الدين الرباني، وإقامة شعائره الدينية، وتشييد مساجده، ومنح المسلمين السواحليين مشيخات وولايات؛ لتدبير شئونها الدينية، كما أدخل التقويم الهجري في أنحاء مملكته، وأمر الناس بالتحلي بآداب الإسلام وأخلاقه: في معاملاتهم اليومية، وشئونهم الاجتماعية . وهكذا انتشر الإسلام في ربوع أوغندا، وكان انتشاره في مملكة (بوغندا) أقوى من أي مملكة أخرى مما جعل التيارات الوافدة تتآمر عليها لتمنع المد الإسلامي المتدفق منها، ولولاها لكانت ممالك أوغندا كلها مسلمة، ولكانت بمثابة ركيزة إسلامية كبيرة في منطقة الشرق الإفريقي كلها. ([3])

وكان من آثار الحركة التجارية الإسلامية فى أوغندا بعد نشر الإسلام أن الثقافة الإسلامية انتشرت مع مجيء الإسلام إلى أوغندا؛ حيث أنشئت هناك المساجد والمدارس على نمط الكتاتيب، وكان الذي يتخرج منها يصير عضواً فعالاً في المجتمع الإسلامي، وقد انحصرت تلك الثقافة في المبادئ التي أتى بها المسلمون الأوائل، الذين قدموا إلى أوغندا، وتوقفت صحتها من عدمها على ما كان يحملونه من اعتقادات واتجاهات وأفكار ومفاهيم، وكان لها الأثر البالغ في الأجيال القادمة، التي تربت في كنفهم، وتخرجت على أيديهم. وأيّاً ما كان الأمر، فقد انتشرت الثقافة الإسلامية عبر تعليم اللغة العربية قراءة ونطقاً: إذ هي الأساس في معرفة الدين الإسلامي وفهم عباداته وشعائره، وقضاياه الجوهرية، ولم يكن الاعتماد في تعليمهم إياها، على كتاب معين، إلا ما كانوا يرتجلونه من حفظهم وسليقتهم، حيث كان أغلبهم من العرب التجار، والمصريين الذين أرسلهم حاكم مصر (الخديوي إسماعيل) . وأما علم الفقه، فقد استقوه من بعض الكتب المختصرة في المذهب الشافعي، التي تيسر عليهم حملها في رحلاتهم التجارية، وكان منها: سفينة النجاة. وإرشاد المسلمين وغيرها

([1]) المجتمعات الإسلامية ـ ماضيها وحاضرها ـ د/ إبراهيم أحمد العدوى ـ ص ١٨٢ ـ طبعة عام ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

([2]) انظر : انتشار الإسلام بالطريق السلمي ـ د/ محمد فاوي عسر ـ ص ٧٦ ـ٧٨ سلسلة دراسات في الإسلام ـ يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة ـ عدد ١١٢ ـ السنة (١٠) ـ رجب ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م

([3]) المسلمون في أوغندا تاريخ وتحديات ـ بقلم: زياد صالح لو بانغا ـ ج ٩٩ ص ٦٦ .

فاستطاعوا بذلك أن يضعوا حجر الأساس للثقافة الإسلامية في أوغندا، الذي انطلق منه من بعدهم، فأخذت رقعة الثقافة تتسع بكثرة طلابها، الذين وفدوا إلى مدارس هؤلاء الشيوخ لطلب العلم والمعرفة. ([1])

٣) دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى تنزانيا :

أولاً لمحة تاريخية موجزة : تنزانيا قطر كبير، في شرقي إفريقيا، يطل على المحيط الهندي. يقع معظم القطر داخل أراضي القارة الإفريقية، العاصمة هي دار السلام.تبلغ مساحة تنزانيا ٨٨٣,٧٤٩كم² وتكثر فيها المرتفعات، والبحيرات، التي تكوّن جزءا من الأخدود الإفريقي العظيم.ويعيش في تنزانيا ٣٥,٠٩٠,٠٠٠ نسمة، ويتكون السكان في تنزانيا أساسا، من الأفارقة وبقية منحدرة من أصل آسيوي، أو أوروبي.اللغة السواحيلية واللغة الإنجليزية هما اللغتان الرئيسيّتان، في تنزانيا.يشكل المسلمون ٦٣% من السكان، في حين يكوّن النصارى ٣٠%. أما البقية الباقية فيعتنقون بعض الديانات الإفريقية التقليدية. ([2]) .

وتنزانيا دولة اتحادية تتكون من جزءين: «تنجانيقا، وزنجبار» ، استقلت تنجانيقا عام ١٩٦١م عن الاستعمار البريطاني، أما زنجبار فكانت سلطنة (محمية بريطانية) ، وسلطانها «عبد الله خليفة» ، وكان بجانبه معتمد بريطاني بمثابة الحاكم الرسمي،اللغات: إن اللغة السائدة في تنزانيا هي اللغة السواحيلية التي انتشرت في جميع أطراف تنزانيا، وهي اللغة الأولى الرسمية للدولة، تليها اللغة الإنجليزية، وهناك لهجات ولغات أخرى محلية من فصيلة البانتو. الحكم: تنزانيا دولة علمانية، وعاشت لفترة طويلة تحت نظام الحزب الواحد، وهو الحزب الثوري الحاكم (س. س. أم ...) ، وهي تعيش الآن منذ آخر عام ١٩٩١م تحت نظام تعدد الأحزاب السياسية، ودستور الدولة مع تصريحه بتعدد الأحزاب إلا أنه ما زال ينص على علمانية الدولة، وعليه: فإنه يحظر أي حزب ينتمي إلى الدين. وتنزانيا مقسمة إلى (٢٥) محافظة، خمس منها في زنجبار (تنزانيا البحر)،وعشرين في تنجانيقا (تنزانيا البر)، وكل محافظة من هذه المحافظات لها والٍ يتم اختياره من قبل رئيس الدولة، كما أن كل محافظة أيضا مقسمة إلى ولايات، وكل ولاية لها والٍ يتم اختياره أيضاً من قِبَل رئيس الدولة.([3]) .

ثانياً : دور الحركة التجارية فى دخول الإسلام إلى تنزانيا: بعد توحيد تنجانيقا وزنجبار، تم ميلاد تنزانيا الموحدة، وصارت دار السلام عاصمة لها ، كان ذلك في عام ١٣٨٤هـ، وقد دخلها الإسلام عن طرق التجار المسلمين أشارت إلى ذلك دراسات عديدة " فقد عرفت هذه البلاد الإسلام مبكراً عبر العلاقات التجارية بين جنوب الجزيرة العربية وبلدان شرق إفريقيا.وكتاب ابن بطوطة يعد مرجعاً هاماً في هذا الصدد. "([4])

ومن الدراسات التى أشارت إلى ذلك أيضاً تلك الدراسة التى أعدت عن (الإسلام والمسلمون في تنزانيا) فقد أكدت على أن الإسلام " قد دخل إلى تنزانيا عن طريق التجار العرب، وكان دخوله قبل النصرانية بمدة طويلة، وهو الدين الذي يشكل نسبة كبيرة من السكان، إذا قيس المسلمون بالطوائف الدينية الأخرى، فأقدم الإحصاءات التي أجريت في عام ١٩٥٨م تشير إلى أن الدين الإسلامي يشكل نسبة ٥٥% قياساً بالديانات الأخرى، أما الإحصاءات التي أجريت في أعوام ١٩٦٨م، ١٩٨٧م، ١٩٨٨م: فلم تتعرض للانتماءات الدينية.هذا ونشير إلي أن نسبة ٥٥% (للمسلمين) التي أشارت إليها إحصاءات عام ١٩٥٧م، يعتقد أنها غير سليمة؛ حيث إن كثيراً من المتابعين يرى أن النسبة الحقيقية للمسلمين هناك هي ما بين ٦٥% إلى ٧٥%. ([5])

ويحدد بعض الباحثين الجهة التي قدم منها التجار المسلمون ، وأول الأماكن التي ارتادوها ، وعمها نور الإسلام فى تنزانيا فيقول : " جاء الإسلام إلي تنزانيا مع التجار المسلمين من أهالي عمان منذ القرون الأولي لظهور هذا الدين ، بيد أن استقراره بشكل واضح بدأ في مدينة (كلوه) الواقعة علي الساحل الشرقي لتنزانيا في القرن العاشر الميلادي . وقد ركز هؤلاء التجار نشاطهم الإسلامي في النطاق الساحلي واكتفوا بإقامة علاقات تجارية مع الأهالي الوطنيين الذين كانوا يحملون نتاجهم إليهم ومع ذلك هناك أدلة تاريخية تشير إلي اتجاه جماعات من التجار العرب نحو الداخل حتى وصلت إلي الأجزاء الواقعة في الأطراف الغربية للدولة .

وفي أوائل القرن السادس عشر تعرضت المدن الساحلية للغزو البرتغالي وتمكن المستعمرون الجدد أن يضعوا أيديهم علي تلك البلاد : إلا أن نفوذهم بدأ يضعف منذ القرن السابع عشر وقد ترتب علي ذلك أن أخذت

([1]) المسلمون في أوغندا ـ بقلم: زياد صالح لو بانغا ـ ج ٩٩ ص ٦٦ .

([2]) مجلة البحوث الإسلامية ـ الموضوع أمكنة تنزانيا ص ٤٨٧ ـ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

([3]) الإسلام والمسلمون في تنزانيا ـ بقلم: سعيد عبيد الله ج ١٠٦ ـ ص ٨٨ ـ العدد (٢٣٨)مجلة البيان ـ المنتدى الإسلامي بجدة.

([4]) جهود خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز في دعم الأقليات المسلمة ـ ص ٦٥ .

([5]) الإسلام والمسلمون في تنزانيا ـ بقلم: سعيد عبيد الله ج ١٠٦ ـ ص ٨٨ ـ .

زنجبار مكانة كلوه وفي ذلك الوقت استطاع العمانيون المسلمون إرساء دعائم نفوذهم وبقوا أصحاب الكتلة العليا إلي أن تعرضت بلادهم للنفوذ الاستعماري الأوروبي من جديد عام ١٨٦٠ وظلت خاضعة لهذا النفوذ إلي أن حصلت علي استقلالها في ستينات القرن الحالي . ([1])

وإذا كانت زنجبار ذات الغالبية المسلمة تعتبر اليوم جزءاً من تنزانيا ، إلا أنها كانت دولة مستقلة من قبل بعد إنهاء الحكم البريطاني بها . غير أن هذا الاستقلال لم يستمر لأكثر من شهر . ذلك لأنها تعرضت لانقلاب عسكري غذته اتجاهات يسارية ماركسية من الخارج وألحقت بالعرب والمسلمين هناك أضراراً مادية ومعنوية لا تخفي علي الجميع وانتهت لضمها إلي تنجانيقا وأطلق علي الدولة الجديدة اسم تنزانيا .

وقد ترتب علي ضم زنجبار أن قامت الحكومة بإسقاط اللغة العربية بها ، والتعليم الإسلامي ، وحول المعهد الإسلامي الذي كان قائماً هناك إلي مدرسة عادية وألغيت منه الدروس الدينية ولم يبق هناك للتعليم الإسلامي أثر إلا في بعض المساجد . وعلي الرغم من أن بعض المسلمين يبذلون أحيانا جهودهم لجمع تبرعات تكفي لبناء مدارس إسلامية مناهجها ذات طابع إسلامي ، إلا أنه غالباً ما تتعرض المدرسة لمصادرة الحكومة لها ، وفرض تبعيتها للنظام العام كبقية المدارس وما يلازم ذلك من تغيير في برامج التعليم الإسلامي . ([2])

ويلخص أحد الباحثين ([3]) انتشار الإسلام فى شرق إفريقيا خاصة (تنجانيقا) إحدى القسمين الأساسيين من تنزانيا مؤكداً على الدور الذي قام به التجار المسلمون فى هذه الجهة وبعض الآثار الطيبة التي ترتبت على وصولهم إليها قائلاً : " وفي تنجانيقا يبلغ السكان حوالي ٩,٥٠٠,٠٠٠ نسمة منهم ٢,٧٥٠,٠٠٠ مسلماً يعيش منهم في دار السلام ٣٥٠٠٠٠ نسمة وقد دخلها الإسلام في القرن التاسع علي أيدي التجار المسلمين

٣) دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى مالاوى (نياسلاندا) :

أولاً لمحة تاريخية موجزة : ملاوي دولة تقع في الطرف الجنوبي الشرقيّ من القارة الإفريقية. ومع أن (ملاوي) صغيرة من حيث المساحة، إلا أنها تتمتع بمناظر طبيعية خلابة. من حيث الطول لا يتجاوز طول هذه البلاد ٨٣٧كم، ويتراوح عرضها بين ٨٠ و١٦٠كم. وتقع ملاوي تحديدا على الشاطئ الغربي من بحيرة نياسا التي يطلق عليها بحيرة ملاوي.خضعت هذه البلاد للانتداب البريطاني. وكانت تسمّى آنذاك (نياسالاند) إلى أن حصلت على استقلالها عام ١٩٦٤م. وبالرغم من أن ليلونجو هي عاصمة الدولة، إلا أن بلانتير تمثل أكبر المدن في ملاوي. وملاوي دولة يحكمها نظام جمهوري. والأحزاب السياسية الرئيسية في البلاد هي: التحالف من أجل الديمقراطية؛ مؤتمر ملاوي؛ الجبهة الديمقراطية المتحدة.تشكل المجموعات ذات الأصول الإفريقية السواد الأعظم من سكان ملاوي. ويعيش معظم السكان في قرى صغيرة في منازل تتنوع أنماطها بين الدائري والمستطيل. ولها حوائط من الطين وأسقف من القش. ويتحدث معظم سكان هذه البلاد لغات البانتو. وتقطن هذه البلاد العديد من المجموعات العرقية أكبرها قبائل الكيوا، اللوموي، النيانجا، الياو، والنغوني. يوجد بعض من الأقليات الأوروبية تقدر بنحو ٩,٠٠٠ فرد. هذا فضلا عن نحو ١٤,٠٠٠ فرد ينحدرون من أصول آسيوية أو مختلطة.ومن الناحية العقائدية، يعتنق ٧٥% من سكان ملاوي النصرانية، ويمارس نحو ١٠% من السكان أنواعا مختلفة من العقائد الإفريقية التقليدية، والباقون مسلمون. ([4]) فمالاوي وتقع علي ضفاف بحيرة " مالاوي " التي كانت تسمي سابقاً باسم (نياسا) وكانت مالاوي نفسها تسمي باسم " نياسا لاند " وهي تقع بين تانزانيا وزامبيا وموزمبيق .

ثانياً : دور الحركة التجارية فى دخول الإسلام إلى مالاوى (نياسلاندا) :

وقد دخلها الإسلام علي يد التجار المسلمين وكذلك علي يد الدعاة أيام إمبراطورية الزنج التي قامت في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . غير أن هذه البلاد خضعت للاستعمار الانجليزي الذي خلف الاستعمار البرتغالي سنة ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩ حيث صارت مالاوي مستعمرة إنجليزية سنة ١٨٩١ م غير أن المسلمين واصلوا كفاحهم ضد الاستعمار حتي حصلت البلاد علي استقلالها سنة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣ وتبلغ نسبة المسلمين حوالي ٣٥% من مجموع السكان البالغ عددهم نحو خمسة ملايين ونصف المليون نسمة . . ([5]) . والثابت تاريخياً أن الإسلام " وصل إلى مالاوى عن طريق التجارة والدعاة الذين قدموا إلى المنطقة أيام

([1]) انظر : جغرافية العالم الإسلامي ـ د/ ياسين محمد مراد ـ ص ١٢٦ ـ مذكرات كلية الدعوة بالقاهرة عام ١٩٩٦ م .

([2]) انظر : المرجع السابق ص ١٢٦ .

([3]) انظر : انتشار الإسلام بالطريق السلمي ـ د/ محمد فاوي عسر ـ ص ٧٦ ـ٧٨ .

([4]) مجلة البحوث الإسلامية ـ الموضوع أمكنة ص ٨٠٧ ـ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

([5]) المجتمعات الإسلامية ـ ماضيها وحاضرها ـ د/ إبراهيم أحمد العدوى ـ ص ١٨٤ ـ طبعة عام ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

إمارة الزنج فى القرن الرابع ، وأيام حكم عمان لشرق إفريقية منذ القرن الثانى عشر الهجرى ، وارتحل التجار المسلمين إلى سواحل بحيرة (مالاوى) وانتشر الإسلام وكانت تجارة سالم جومى تصل إلى أواسط البلاد ، واستمرت خمسين سنة " ([1]).

وبناءً على وثائق تاريخية عن نياسلاند (مالاوي) يتأكد لدينا أن الإسلام " دخلها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وكتب سير الفرد شارب حاكم نياسالاند في سنة ١٩١٠ " منذ عشرين سنة حينما عرفت نياسالاند ، لم يكن للإسلام وجود بها ، باستثناء مكان أو مكانين فقط جاء إليها بواسطة العرب ومنذ ذلك الحين انتشر الإسلام بسرعة ولا سيما في أثناء السنوات العشر الأخيرة . وكان أفراد قبائل الياو أول من اعتنقوا الإسلام وتمسكوا به أشد التمسك . وقد نمت الحركة الإسلامية من نفسها دون دعوة منظمة ويلاحظ في جميع أراضي الياو الممتدة من بحيرة نباسا إلي الساحل الأفريقي الشرقي أن في كل قرية مسجد وتاجر مسلم . وقد أسلمت قبائل اشيوا بفضل جهود المسلمين السواحليين . كما أسلمت بعض قبائل موزمبيق ويقدر عددهم ببضعة مئات الآلاف . ([2])

وقد ساعد الحركة التجارية الإسلامية فى نشر الدعوة الإسلامية فى هذه البلاد أنها " سايرت حركة التوسع في نشر الدعوة هذه بصفة خاصة، السكك الحديدية والطرق التجارية الكبيرة. فانتشرت في خط مستقيم عبر إفريقية الشرقية الألمانية حتى حدودها الغربية على بحيرة تنجانيقا، وانتشرت نحو الشمال من سمبارا Usambara إلى مقاطعة كلمنجارو، ونحو الجنوب حتى بحيرة نياسا وكان الذين قاموا بنشر هذه الدعوة من التجار، وخاصة أهالي الساحل، من السواحلية والجنود وموظفي الحكومة وينظر الوثنيون هناك إلى قبول الإسلام على أنه دليل على الترقي إلى الحضارة ومنزلة اجتماعية أرفع مما هم فيها؛ ويقال إن الازدراء الذي كان ينظر به المسلمون إلى الوثنيين طالما كان عاملاً حاسماً في تحويلهم إلى الإسلام. ([3])

وقد شق الإسلام طريقه إلى نياسالاند من الساحل الشرقي أيضاً، ودخلها على أيدي النخاسين من العرب وحلفاؤهم الياوس Yaos، الذين جاء أجدادهم من مكان قريب من الساحل الشرقي، حيث كانوا قد اعتقدوا الإسلام منذ زمن بعيد. ويقال إنه من النادر أن نرى الآن عربياً في نياسالاند، ولكن الياوس يؤلفون قبيلة من أقوى القبائل الوطنية، وينظرون إلى الإسلام على أنه دينهم القومي. ومع أنه لا تبدو هناك دعوة منظمة، انتشر الإسلام بسرعة فائقة إبان العقد الأول من القرن العشرين، وكان انتشاره بين القبائل التي تعد من أشد القبائل ذكاء في نياسالاند([4]) .وهكذا سايرت حركة التجارة الإسلامية ـ في نشرها الإسلام ـ التوسع فى السكك الحديدية والطرق التجارية الكثيرة فانتشر الإسلام في خط مستقيم عبر إفريقيا الشرقية حتي بحيرة تنجانيقا . ومن مقاطعة كلمنجارو في الشمال حتي بحيرة نياسا في الجنوب وكان الوثنيون ينظرون إلي قبول الإسلام علي أنه دليل علي الترقي إلي حضارة ومنزلة اجتماعية أرفع مما هم فيها . ووصل الإسلام معظم الأماكن وانتشر فيها علي الرغم من الدعايات المضادة .

ثالثاً : دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى في أواسط إفريقيا:

تؤكد الدراسات التاريخية على أن الإسلام قد شق طريقه إلى أواسط القارة الإفريقية بجهود فردية بسيطة اعتمدت على التجار المسلمين الذين ذهبوا إلى تلك المناطق البعيدة من أجل التجارة ، وقد رأى الإفريقي الوثني أو المسيحي في سلوك هؤلاء التجار ، ومعاملاتهم اليومية ، وسلوكهم الشخصي ما جعله يسأل عن الدين الذي يدينون به والذي ينهى عن التفرقة العنصرية التي عايشوها سنين طويلة ورأوها في سلوك المستعمرين الأجانب ومن هنا أقبل الأفارقة على الدين الإسلامي ، وهذه إطلالة على أهم البلاد فى وسط إفريقيا ودور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فيها :

١) <u>دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى بورندى :</u>

<u>أولاً :</u> لمحة تاريخية : تقع بورندي في وسط إفريقيا في المنطقة الاستوائية في هضبة البحيرات وبورندي جمهورية صغيرة لا سواحل لها، تقع ضمن هضبة البحيرات في وسط إفريقيا.فهى " من أصغر الدول الإفريقية، وأكثرها ازدحاما بالسكان؛ حيث يبلغ متوسط الكثافة السكانية ٢٥٣ شخص لكل كم^2، أي حوالي تسعة أضعاف النسبة لكل إفريقيا. عاصمتها بوجومبورا، وهي أكبر تجمع حضري في البلاد. وبوروندي قطر فقير، به قليل من المعادن والصناعات. تعرضت تربتها إلى التعرية بسبب الأمطار وأساليب الزراعة البدائية.

([1]) التاريخ الإسلامي ـ محمود شاكر ـ ج٢٢ ص٢٥٧ ـ طبعة المكتب الإسلامي بيروت ـ الطبعة الثانية ـ سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

([2]) انظر : انتشار الإسلام بالطريق السلمي ـ د/ محمد فاوي عسر ـ ص ٧٦ ـ٧٨ .

([3]) الدعوة إلى الإسلام ـ المستشرق / توماس أرنولد ـ ص ٣٨٢ .

([4]) المرجع السابق / توماس أرنولد ـ ص ٣٨٣ .

معظم سكان بوروندي مزارعون، ينتجون فقط ما يكفي أسرهم من غذاء. وتقع بوروندي بعيدا عن البحر؛ ولذا فإن نقل البضائع عبر البحار باهظ الثمن. وعلى الرغم من موقعها جنوب خط الاستواء مباشرة، إلا أنها تتمتع بمناخ معتدل مائل إلى البرودة؛.ينتمي معظم سكان بوروندي إلى مجموعة الهوتو العرقية ويطلق عليهم أحيانا الباهوتو. بينما تشكل مجموعة التوتسي العرقية، التي تسمى أحيانا الوتسي أقلية، لكنها تهيمن اقتصاديا وسياسيا على الهوتو.كانت بوروندي في الماضي تشكل أوروندي، أو النصف الجنوبي من رواندا أوروندي، أقليما تحت وصاية الأمم المتحدة، وتديره بلجيكا. أما ما يعرف حاليا برواندا، فقد كان يشكل رواندا أو النصف الشمالي، ثم أصبح الجزءان في ١٩٦٢م بلدين مستقلين، بوروندي ورواندا. [١]

ثانياً : دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى بوروندى:

عن دخول الإسلام إلى بوروندى نجد أن الإسلام " وصل إليها عن طريق الهجرات العربية مبكرا، وازدهرت الدعوة الإسلامية أكثر في عهد سلاطين زنجبار.يشكل المسلمون اليوم ٢٠% من نسبة السكان، يتمركزون في العاصمة بوجومبورا، وأغلب العناصر المهاجرة إلى بوروندي هم من مالي والسنغال ومن الهنود والباكستانيين والعرب، وقد تمكنوا من تكوين عدة هيئات إسلامية إلى جانب المدارس التي تعنى بتعليم القرآن الكريم واللغة العربية.لكن المسلمين يواجهون اليوم مشكلات البعثات التنصيرية وخطرها، لذا فهم يقفون متمسكين بالعقيدة وبالتعاليم الإسلامية بصلابة. ([٢]).

ويعنى هذا أن الحركة التجارية الإسلامية هي التي عملت على نشر الإسلام فى بوروندى " فقد دخلها الإسلام علي يد التجار المسلمين . ثم ازداد الإسلام انتشاراً بسبب نشاط المسلمين في البلاد علي عهد سلاطين زنجبار العمانيين . وقد استولى علي تلك البلاد بموجب قرارات مؤتمر برلين سنة (١٨٨٤ – ١٨٨٥م). وعقب هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولي ضمت بلجيكا تلك البلاد إلي الكونغو ، وظل الإسلام ينتشر بالرغم من مقاومة سلطات الاحتلال ، حتي حصلت البلاد علي استقلالها سنة ١٩٦٢م. وتبلغ نسبة المسلمين ٢٥% من مجموع السكان ، والبالغ عددهم أربعة مليون نسمة وعاصمة البلاد هي " بوجومبورا " .([٣])

٢) دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى رواندا:

أولاً : لمحة تاريخية : تقع رواندا إلي الشمال من " بوروندي " ، ورواندا قطر إفريقي صغير، يقع في شرق وسط إفريقيا إلى الجنوب قليلا من خط الاستواء. ويعتبر هذا القطر من أكثر الأقطار الإفريقية ازدحاما بالسكان.وبالرغم من أنّ رواندا لا تبعد كثيرا عن خط الاستواء إلا أنها تتمتع بمناخ معتدل وتميل إلى البرودة قليلا. وهذا يرجع إلى موقع هذا القطر على سلسلة من الهضاب العالية.تتنوع المعالم الطبيعية في هذا البلد، فهناك المرتفعات ذات الفوهات البركانية، والأودية النهرية المتعرّجة، والبحيرات ذات المناظر الخلابة، فضلا عن السهول الممتدة التي تغطيها الحشائش. ويعتبر متنزه فولكانو الوطني الواقع على جبال فيرونجا شمال غربي رواندا، محمية طبيعية للغوريلا وغيرها من الحيوانات الفطرية النادرة والمعرّضة للانقراض.وتعتبر رواندا إحدى الدول الإفريقية الفقيرة؛ حيث إن قطاع الصناعة فيها مازال محدودا للغاية، كما أنها تعاني من انفجار سكاني يتجاوز قدرات البلاد. ومدينة كيجالي العاصمة أكبر المدن.كان هذا الإقليم قبل الاستقلال يسمى رواندا أوروندي ويخضع لوصاية الأمم المتحدة، وللإشراف الإداري البلجيكي. وتشكل رواندا الحالية النصف الشمالي مما كان يسمى رواندا أوروندي بينما تشكل بوروندي الحالية النصف الجنوبي من ذلك الشكل الاتحادي. وقد انفصلت الدولتان عقب الاستقلال عام ١٩٦٢م.

أما اللغات الرسمية، فهي: الفرنسية والكينيارواندا. ويتحدث الأخيرة وهي من لغات البانتو معظم سكان رواندا، ويتبع معظم المواطنين الكنيسة الكاثوليكية. وهناك نسبة من المسلمين تقدر بنحو ١٧% من عدد السكان.غير أن نسبة ضئيلة من السكان مازالت تمارس بعض المعتقدات التقليدية الإفريقية. وتدير البعثات النّصرانيّة والكاثوليكية معظم المدارس الأولية والثانوية. تبلغ مساحة رواندا نحو ٢٦,٣٣٨ كم^2، وتغطي المرتفعات والجبال الوعرة معظم أرجاء رواندا .[٤]

ثانياً : دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى رواندا : ودخلها الإسلام بدورها عن طريق التجار المسلمين وقد خضت البلاد شأنها شأن بوروندي للاستعمار الألماني ثم البلجيكي ، حتي حصلت علي استقلالها سنة

([١]) مجلة البحوث الإسلامية ـ الموضوع أمكنة ص ٤٥٣ ـ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

([٢]) انظر: جهود خادم الحرمين الشريفين في دعم الأقليات المسلمة ـ ص ٦٦ .

([٣]) المجتمعات الإسلامية ـ ماضيها وحاضرها ـ د/ إبراهيم أحمد العدوى ـ ص ١٨٣ .

([٤]) مجلة البحوث الإسلامية ـ الموضوع أمكنة ص ٦٠٦ ـ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

١٣٨٢هـ / ١٩٦٢ وتبلغ نسبة المسلمين في رواندا نحو ٦% من مجموع السكان البالغ عددهم خمسة ملايين نسمة . وعاصمة البلاد هي مدينة " كيكالي " .([1])

وتشير الدراسات التاريخية إلى أن الإسلام قد وصل إلى رواندا حديثاً عن :

١) طريق التجار العمانيين وبقية أجزاء جنوبى جزيرة العرب .

٢) طريق المسلمين القادمين للتجارة والعمل من غرب إفريقية وخاصة من السنغال وغنيا ومالى .

٣) عن طريق بورندى.([2]) وهذا يؤكد على أن الإسلام قد وصل إلى هذه الأماكن بجهود التجار المسلمين .

٣) <u>دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى الكنغو (زائير حالياً):</u>

أولاً : لمحة تاريخية : الكونغو بلد كبير كان يعرف باسم زائير، يقع في قلب إفريقيا، يطل منه شريط ضيق على المحيط الأطلسي، ولكن يقع معظمه في عمق القارة الإفريقية إلى الجنوب قليلا من وسطها. ويقطع خط الاستواء الجزء الشمالي منه.تغطي إحدى أكبر مناطق الغابات المدارية المطيرة كثافة في العالم نحو ثلث مساحة جمهورية الكونغو الديمقراطية. ويجري نهر الكونغو ذو التيار الشديد والذي كان يعرف محليا باسم نهر زائير عبر الغابات، ويعدّ أحد طرق المواصلات الرئيسية في القطر. معظم سكان جمهورية الكونغو الديمقراطية من الأفارقة السود، ومدينة كنشاسا العاصمة وأكبر مدينة في البلاد.

حكم البلجيكيون جمهورية الكونغو الديمقراطية من عام ١٨٨٥م إلى أن نالت استقلالها في ١٩٦٠م. وقد كانت تدعى الكونغو حتى عام ١٩٧١م، حيث غيّر اسمها إلى زائير. وفي عام ١٩٩٧م، أصبح اسمها الكونغو الديمقراطية،..يتحدث معظم سكان الكونغو الديمقراطية واحدة على الأقل من اللغات الإقليمية الأربع في البلاد، وهي الكيكونجو واللنجالا والسواحيلية والتشيلوبا، أما اللغة الرسمية في البلاد فهي الفرنسية.يعتنق حوالي ٧٥% من الكونغوليين النصرانية، بينما تبلغ نسبة المسلمين ١٠% والبقية يتبعون ديانات محلية مختلفة. تبلغ مساحة الكونغو الديمقراطية نحو ٢,٣٤٤,٨٥٨كم^2. "([3])

ثانياً : دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى الكنغو :

تُشير الدراسات التى تحدثت عن دخول الإسلام إلى هذا القطر الأفريقى بإشارات مختلفة حسب الاسم قديماً وحديثاً فبعضها يطلق عليه الكنغو باعتبار المسمى الأصلى لها والبعض يطلق عليه زائير باعتبار الاسم الحادث لكن معظم الدراسات تتفق فى أن الإسلام قد وصلها عن طريق الحركة التجارية الإسلامية " فقد دخلها الإسلام في القرن التاسع عشر الميلادي من عدة جهات هي :-

أ- من الشرق والغرب والشمال علي يد التجار المسلمين .

ب- عن طريق الدعاة من نيجيريا ومالي والسنغال وغينيا .

ج- علي يد دولة البو سعيد في زنجبار .

د- علي يد الجنود المصريين في بحر الغزال بالمديرية السودانية .

وخضعت زائير للاستعمار البرتغالي في التسعينات من القرن التاسع عشر ، ثم حصلت علي استقلالها سنة ١٣٨٠هـ /١٩٦٠م وتصل نسبة المسلمين إلي ١٠% من مجموع سكان البلاد الذي يبلغ نحو ٢٧ مليون نسمة وعاصمة البلاد هي مدينة " كينشاسا " . ([4])

وتُفصل بعض المصادر التاريخية دخول الإسلام إلى الكونغو موضحة تلك الجهات " فقد وصل الإسلام إلى زائير من ناحية الشرق عندما امتد نفوذ سلطان زنجبار إلى داخل إفريقية ، ووصل إلى شاطىء بحيرة تانغانيكا، وأقيمت عليها المراكز الإسلامية مثل : (أوجيجى) و (كيغوما) فى تانزانيا ، و(رومنغ) فى بورندى ، ومن هذه المراكز انتقل المسلمون إلى داخل زائير ، ووصل الإسلام إلى زائير من ناحية الغرب عن طريق التجار من إفريقية الغربية ، وخاصة من نيجريا ، ومالى ، والسنغال ، وغينيا ، وإن كان لهؤلاء التجار دورهم إلا أنه دون أثر التجار الدعاة القادمين من الشرق ، إضافة إلى أن أثر التجار القادمين من إفريقية الغربية كان موزعاً ، على حين كان أثر تجار المشرق مجتمعاً ، نتيجة تأسيس المراكز على نهر الكونغو ، ووصل الإسلام إلى زائير من جهة الشمال عن طريق الحملات المصرية فى منطقة بحر الغزال ، وإن كان هذا الأثر ضعيفاً ، إلا أنه لا يمكن إغفاله . ([5])

([1]) المجتمعات الإسلامية ـ ماضيها وحاضرها ـ د/ إبراهيم أحمد العدوى ـ ص ١٨٤ .

([2]) التاريخ الإسلامي ـ محمود شاكر ـ ج٢٢ ص٣٠٦ .

([3]) مجلة البحوث الإسلامية ـ الموضوع أمكنة ص ٣٠٠ـ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

([4]) المجتمعات الإسلامية ـ ماضيها وحاضرها ـ د/ إبراهيم أحمد العدوى ـ ص ١٨٦ .

([5]) التاريخ الإسلامي ـ محمود شاكر ـ ج٢٢ ص٣٠٨ ، ٣٠٩ .

وبعض المصادر التي أشارت إلى الكونغو بصورة مستقلة عن زائير ترى أن الإسلام وصل إليها بنفس الصورة السابقة " فهي دولة صغيرة تقع علي الضفة اليمني لنهر الكونغو بغربي إفريقيا . وكانت البلاد مستعمرة فرنسية عاصمتها " برازافيل " نسبة إلي المكتشف الفرنسي " برازا " وقد دخل الإسلام إلي الكونغو من الشرق والغرب والشمال ، علي يد التجار المسلمين . ويبلغ عدد المسلمين ما يقرب من ستين ألفاً ، وذلك من عدد السكان البالغ مليوناً ونصف مليون نسمة وعاصمة البلاد هي " برازافيل " . "([1]) وهكذا انتشر الإسلام فى ربوع زئير ، ويرجع الفضل الأكبر ـ بعد الله تعالى ـ فى ذلك للتجار المسلمين القادمين من الشرق ، والذين أسسوا المراكز الإسلامية على نهر الكونغو، ومن خلالها أخذ نور الإسلام يعم تلك البلاد .

رابعاً : دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى شمال إفريقيا :

يُقصد بشمال إفريقيا أو شمالي إفريقيا : هي أقصى مناطق شمال قارة إفريقيا المطلة على ساحل البحر المتوسط شمالاً والبحر الأحمر شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً وتشكل منطقة ربط الصحراء الكبرى بإفريقيا جنوب الصحراء. حسب التوزيع الإقليمي الخاص بالأمم المتحدة فان منطقة شمالي إفريقيا تضم سبعة بلدان و هي : (تونس والجزائر والصحراء الغربية ومصر والمغرب والسودان وليبيا.) تشمل المنطقة عادةً بلدان المغرب العربي وهي كل من موريتانيا. المملكة المغربية. الجزائر. تونس. ليبيا.مصر. ومنطقة الصحراء الغربية، كذلك يشمل المصطلح منطقة شبه جزيرة سيناء في مصر بالرغم من أن شبه الجزيرة سيناء تعد من الناحية الجغرافية جزءا من آسيا. شهدت تلك المنطقة تواجد عدد من الحضارات الغابرة عبر التاريخ، كما شكلت منطقة اتصال بينها وأوروبا عبر البحر المتوسط.([2])

ومن الثابت تاريخياً أن التجار المسلمين قاموا بالدور الأول فى نشر الدعوة الإسلامية فى شمال قارة إفريقيا " وفى ميدان الجهود الفردية فى نشر الإسلام لعب التجار الدور الأول فى نشر الدعوة الإسلامية ، فقد كانت الطرق التجارية الموصلة بين المراكز الإسلامية ، فى شمال القارة والبلاد الواقعة فيما وراء الصحراء هى المسالك الحقيقية التى تسرب الإسلام عبرها إلى قلب إفريقيا ، وقد انتشر الإسلام دائما على طول هذه الطرق التجارية . ويعتقد ترمنجهام ([3]) : أن الإسلام والتجارة ، يرتبطان إلى حد كبير بطرق التجارة الموصلة بين بلاد المغرب وبلاد السودان ، عبر الصحراء الكبرى ، أو على طول ساحل المحيط الأطلسي ، حيث قامت هذه الطرق بدور جليل الشأن فى نشر الإسلام فى بلاد السنغال وأعالى النيجر ، ومنطقة بحيرة تشاد ،وهذا التأثير المغربي لم ينقطع أبدا طوال العهد بالإسلام ، وكانت المجتمعات الجديدة التي تنشأ فى شمال السودان ، تقوم بدورها فى نشر الإسلام ، فى المناطق الواقعة إلى الجنوب ، عن طريق التجارة والطرق التجارية ." ([4]) هذه حقيقة أثبتتها البحوث التاريخية حول انتشار الإسلام فى شمال إفريقيا ، وهى أن الحركة التجارية الإسلامية كانت من أهم عوامل نشر الدعوة الإسلامية هناك ، وفيما يلى عرض لنموذج من البلاد التى أسهمت الحركة التجارية فى نشر الإسلام بها فى شمال إفريقيا :

☒ دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى السودان نموذجاً :

<u>أولاً : لمحة تاريخية</u> : تقع السودان في شمال شرقي قارة إفريقيا، ولها حدود مشتركة مع تسع دول عربية وإفريقية هي: مصر، وليبيا، وتشاد، وإفريقيا الوسطى، والكونغو (زائير سابقا) ، وأوغندا، وكينيا، وأثيوبيا، وإرتريا، وتطل البلاد على واجهة بحرية طولها ٦٤٤ كم على البحر الأحمر، وتمتد السودان على مساحة تبلغ ٢,٥٠٥,٨١٣ كم٢، وهي أكبر الدول العربية والإفريقية قاطبة من حيث المساحة، وتغطي السهول والمستنقعات والصحاري معظم هذه المساحة، وتشكل مساحة السودان ٨,٣% من مساحة القارة الإفريقية، و١,٧% من مساحة اليابسة. ومتوسط الكثافة السكانية هو ٤,١٣ شخصا/ كم٢.يجري النيل في السودان بين

([1]) المجتمعات الإسلامية د/ إبراهيم أحمد العدوى ـ ص ١٨٦، ١٨٧ .

([2]) نظر : موقع : (http://ar.wikipedia.org/wiki/% .

([3]) ترمنجهام : هو المنصر البريطاني المعاصر جون سبنسر ترمنجهام وهو ممن جمع بين التنصير والاستشراق ، . عمل أستاذاً جامعياً في قسم الدراسات العربية والإسلامية بجامعة جلاسجو في اسكتلندا. ، وتخصص في دراسة الإسلام والمسلمين في إفريقيا تاريخاً وحاضراً.انضم ترمنجهام إلى جميعة الإرسالية الكنسية التنصرية وبذل خدماته لها ، فانتدب للعمل في إفريقيا . ورحل إليها لينشر تعاليم المسيح ، وأمضى في ذلك حوالي خمسة عشر سنة من ١٩٣٧م إلى ١٩٥١ م ، ودعي سنة ١٩٥٢م للعودة إلى إفريقيا مرة أخرى في مهمة تتمثل في إجراء مسح للإسلام وأثره في غرب القارة . من كتبه المترجمة عن الإنجليزية: الإسلام في السودان ، الطرق الصوفية في الإسلام .، أثر الإسلام على إفريقيا .تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا .الإسلام في غرب إفريقيا، الإسلام في شرق إفريقيا . كما أنه مُنح شهادة الدكتوراه الفخرية سنة ١٩٥٩م.. http://islam.hotmailclub.com/print.php?ID=13869.

([4]) الإسلام والثقافة العربية فى إفريقيا ـ د/ حسن أحمد محمود ـ ص ٥٥ .

دائرتي عرض ٥٤° و٢٢° شمالا، ويبدأ النهر من الهضبة الاستوائية وينحدر في سهول السودان عند دائرة عرض ٥٤° شمالا عند بلدة نيمولي، ويعرف عند دخوله السودان من الهضبة الاستوائية ببحر الجبل، ويجري في حوض شبه مغلق حتى يلتقي مع بحر العرب القادم من الغرب ومياه بحر الغزال حيث تصب جميعها في منطقة السدود. (١) . وجمهورية السودان السمة الرئيسية فيها هي نهر النيل وروافده، يحده من الشرق أثيوبيا وأريتريا ومن الشمال الشرقي البحر الأحمر ومن الشمال مصر ومن الشمال الغربي ليبيا ومن الغرب تشاد ومن الجنوب الغربي جمهورية إفريقيا الوسطى و ومن الجنوب جمهورية جنوب السودان، يقسم نهر النيل الدولة إلى شطرين شرقي وغربي. الخرطوم أو (العاصمة المثلثة) كما تُعرف هي عاصمة السودان وسميت مثلثة لأنها تتكون من ثلاث مدن كبيرة وهي (الخرطوم - أم درمان -الخرطوم بحري). يعتبر السودان مهد لأقدم الحضارات العريقة، ولشعب السودان تاريخ طويل يمتد منذ العصور القديمة تداخل مع تاريخ مصر الفرعونية والتي كان السودان موحداً معها سياسياً (٢) على مدى فترات طويلة. (٣)

ثانياً : دور مصر في تكوين المجتمعات الإسلامية الأفريقية :-

انفردت مصر بتوجيه القوة الذاتية للإسلام في تكوين مجتمعات إسلامية بقارة إفريقيا ، وذلك في السودان . والمقصود ببلاد السودان هنا جميع الأقاليم النهرية والصحراوية الواقعة جنوبي مصر والصحراء الكبري ، ذلك أن الدول الإسلامية التي تأسست بمصر - مثل الطولونيين والإخشيديين والفاطميين والأيوبيين والمماليك - حافظت علي تباين مشاربها علي مختلف العلاقات القديمة بين مصر والسودان .ويمكن أن نقول فى اختصار إن الإسلام قد دخل إلى إفريقيا عن طريقين رئيسيين (٤) هما : مصر فى الشمال الشرقي للقارة ، ثم المناطق التى تقع على الساحل الشرقي لها .فعن طريق مصر دخل الإسلام إلى بلاد المغرب التى قامت بدورها بعد ذلك بنشر الإسلام إلى كل مناطق غرب إفريقيا ، وعن طريق مصر كذلك اتجهت الدعوة الإسلامية جنوباً إلى بلاد النوبة ، وسارت غرباً إلى كردفان ، ودارفور ، بل تجاوزت تلك المناطق الوسطي من القارة التي تقع فى الغرب من هذه البلاد ، أما طريق الساحل الشرقي الذي يعتبره الجغرافيون امتداداً طبيعياً للجزيرة العربية ، بل يصفون البحر الأحمر الذي يفصل الجزيرة عن بلاد الزنج بأنه مجرد كسر التوائي فى أرض واحدة ، يجمعها مناخ وتضاريس متشابهة ، وهذا الساحل قد قام بدور حاسم فى نشر العقيدة الإسلامية فى مُعظم مناطق شرق إفريقيا ، كما نقلها أى العقيدة الإسلامية كذلك - فى نشاط سلمى - إلى المناطق الوسطي من القارة الأفريقية .

ثالثاً : دور التجار المسلمين فى نشر الإسلام فى السودان :

ودأب التجار المسلمون من مختلف مراكز مصر علي ارتياد بلاد السودان الشرقي ، وكذلك السودان الغربي والأوسط ، متعاونين في تلك الجهات مع أقرانهم من تجار المجتمعات الإسلامية ببلاد المغرب بالجناح الأيسر للإسلام . فكان التجار المسلمون يحملون إلي بلاد السودان منتجات مصر والمغرب الإسلامي ، من المنسوجات والمصنوعات الجلدية وأدوات الزينة ، والعودة من السودان بمنتجاته من الذهب والعاج وريش النعام والصمغ ، حتي صار التبادل التجاري بين مصر وما جاورها من بلاد المغرب الإسلامي وبلاد السودان تجري عبر طرق رئيسية ثلاثة ، يتم التنسيق بينها ، بحيث تلتقي عند هدف واحد ، وهو نشر الإسلام مع التجارة إلي تلك البلاد السودانية بقلب إفريقيا ، وتكوين مجتمعات إسلامية جديدة من أهلها .(٥)

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية - الموضوع أمكنة تنزانيا ص ٢٢٦ - الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

(٢) شهد السودان حرب أهلية التي استمرت لقرابة ١٧ عاماً منذ إعلان الاستقلال وتلتها صراعات قبلية ودينية واقتصادية وسياسية بين الحكومة المركزية في شمال السودان (الذي تقطنه أغلبية مسلمة) وحركات متمردة الأخرى في جنوبه(الذي تسوده الديانة المسيحية والمعتقدات المحلية)، الأمر الذي أدى إلى اشتعال حرب أهلية ثانية في عام ١٩٨٣.والمسلمون ٩٦% (أو ٧٠% قبل إنفصال جنوب السودان) (معظمهم في الشمال والشرق ووسط السودان والغرب والخرطوم) أما نسبة المسيحيين قبل الانفصال فهي كالتالي: الاحيائيون ٢٣% ؛ المسيحيون [٧% (جنوب السودان والخرطوم). واستمرت الصعوبات إلى أن قاد / عمر البشير انقلاباً عسكرياً في عام ١٩٨٩ أطاحت بحكومة مدنية برئاسة الصادق المهدي زعيم حزب الأمة، الذي أصبح رئيساً لمجلس قيادة ثورة الإنقاذ.تم التوقيع على الدستور الانتقالي الجديد في عام ٢٠٠٥ ، إثر ابرام اتفاقية السلام الشامل بين حكومة البشير ورئيس الحركة الشعبية لتحرير السودان د.جون قرنق التي وضعت حداً للحرب الأهلية، وأصبح إقليم جنوب السودان يتمتع بحكم ذاتي أعقبه استفتاء عام في عام ٢٠١١ حول البقاء موحداً مع السودان أو الاستقلال، وجاءت نتيجة الإستفتاء لهذا الخيار الأخير انظر : موقع : (http://ar.wikipedia.org/wiki/%)

(٣) انظر : موقع : (http://ar.wikipedia.org/wiki/%) .

(٤) انظر: الإسلام فى إفريقيا - عبدالواحد الإمبابى - ص ٢١ - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - السنة الثانية العدد (١٣) ١٥شعبان ١٣٨١ هـ / ٢١يناير ١٩٦٢ م .

(٥) المجتمعات الإسلامية - ماضيها وحاضرها - د/ إبراهيم أحمد العدوى - ص ٧١ ..

وكان هناك عدة طرق انتقل منها الإسلام إلى السودان : وكان الطريق الأول يمتد من تلمسان بمراكش (المغرب حاليا) إلي " تمبكتو " علي نهر النيجر في السودان الغربي . والطريق الثاني يبدأ من إفريقية (تونس حالياً) ويتجه إلي " كانو " ببلاد السودان الأوسط أما الطريق الثالث ، ويكمل الطريقين السالفين ، فامتد من مصر إلي السودان الشرقي . ولم يكن نهر النيل صالحاً للملاحة في كل شهور السنة ، أو في كل أجزائه بسبب الجنادل التي تعترض مجراه ، ولذا قام منذ القديم البعيد طريق هام للقوافل يبدأ من أسيوط وينتهي عند الفاشر ، وهو الطريق المعروف باسم (درب الأربعين) إشارة إلي المدة التي تستغرقها القافلة في السفر علي هذا الطريق. وامتدت " دار الإسلام " عن هذا الطريق المصري إلي الأطراف الشمالية من السودان المعروفة باسم بلاد النوبة ، وغدت بلاد السودان كلها ، الشرقي والأوسط والغربي ، تحفل بالمجتمعات الإسلامية ، ذات المراكز الحضارية العظمي ، والممالك الزاهرة القوية ، التي تضفي القوة والجلال والبهاء علي " دار الإسلام " ومن تلك الممالك الإسلامية الشهيرة ببلاد السودان ممالك النيجر الأعلي ، ومن مدنها " سونرهاي " في الجنوب الشرقي من " تمبكتو " وقد اتسعت تمبكتو لوقوعها علي طريق التجارة بين مصر وبلاد المغرب الإسلامي ، وغدت مركزا للدراسات الإسلامية ، اجتذب إليه أعدادا كبيرة من الطلاب ، بسبب ما اشتهرت به تلك المدينة من حسن استقبال الوافدين إليها من الطلاب الراغبين في التفقه في الدين الإسلامي . ([1])

وقام في السودان الأوسط أيضاً ممالك إسلامية كبري ، ذات صلة وثيقة بمصر ، منها سلطنة " البورنو " الواقعة علي الشاطئ الغربي لبحيرة تشاد ، وكذلك " بلاد الكانم " الممتدة علي الشاطئ الشمالي لهذه البحيرة ، واشتهرت بلاد الكانم بنشاطها التجاري في السودان كله ، وغدا لها نفوذ كبير بين القبائل في السودان الشرقي حتي أطراف مصر والنوبة . وكان لتجار الكانم أثر كبير في الحياة الاقتصادية في مصر ، وكذلك في نقل الحضارة المصرية الإسلامية إلي تلك الأرجاء من " دار الإسلام " .

واستطاعت مصر أن تهئ للمجتمعات الإسلامية في قلب إفريقيا أسباب الاستقرار وذلك عن طريق تنظيم تيارات التوسع الديني الإسلامي المنطلق من تلك المجتمعات إلي ما جاورها من بلاد قلب القارة الأفريقية . ذلك أن التيار الإسلامي الواصل من مصر عن طريق درب الأربعين إلي الأطراف الشمالية من السودان امتد أيضاً إلي جوف السودان ، وانتقلت عليه جماعات كبيرة من التجار ، مازال تجار كردفان منهم في السودان الشرقي في العصر الحاضر يفتخرون بانتسابهم إلي سلالة أولئك التجار الأول . وعزز هذا الامتداد الإسلامي التقاء التيار الإسلامي الوافد من مصر مع التيار الوافد من مراكش (المغرب) وما صاحب هذا الالتقاء من نزول كثير من القبائل العربية في " بلاد دارفور " التي اعتنق ملكها الدين الإسلامي علي يد أحد مشايخ القبائل العربية ، وتسمي باسم " أحمد " . وأسس الملك أحمد أسرة إسلامية في " دارفور " حيث تزوج بابنه ملك هذه البلاد ، وهو الأمر الذي ساعد علي انتشار الإسلام ، وتكوين مجتمعات إسلامية بالتالي في القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة / السادس عشر والسابع عشر للميلاد ، وذلك في البلاد الواقعة بين كردفان وبحيرة تشاد ، وغدا لدار الإسلام امتداد كبير في الأراضي السودانية .([2])

وعن دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام في السودان الغربى يقول توماس أرنولد : " وفي هذا القرن نفسه تأسست على النيجر الأعلى مدينتان قدر لهما في القرون المتعاقبة أن تؤثرا تأثيراً قوياً في تقدم الإسلام في السودان الغربي –إحداهما مدينة جني Genne[3] التي تأسست سنة ٤٣٥ هـ، (١٠٤٣-١٠٤٤م)[4] والتي قدر لها أن تصبح مركزاً تجارياً هاماً، والأخرى مدينة تمبكتو Timbuktu وهي مركز هام لتجارة القوافل مع الشمال، وقد تأسست هذه المدينة حول سنة ١١٠٠. وقد أسلم كنبرو Kunburu ملك جني حول نهاية القرن السادس الهجري (أي حول سنة ١٢٠٠م)، فحذا حذوه سكان المدينة، ويقال إن كنبرو لما عزم على اعتقاد الإسلام جمع كل العلماء في مملكته، وكان عددهم يبلغ ٤٢٠٠ عالماً (ومهما يكن هذا العدد مبالغاً فيه فإن الرواية تبين لنا فيما يظهر أن الإسلام تقدم تقدمًا عظيمًا في البلاد التابعة لهذا الملك). ثم طلب إلى هؤلاء العلماء أن يدعوا الله كي ينصر مدينته، ومن بعدها هدم قصره وبني في مكانه[5] مسجدًا عظيمًا. وكانت تمبكتو إلى جانب شهرتها بالتجارة، مدينة إسلامية منذ البداية، "ما دنستها عبادة الأوثان، ولا سجد على

([1]) المرجع السابق ـ ص ٧٢ .

([2]) المرجع السابق ـ ص ٧٣ .

([3]) ويقال لها جنى أو دينية.

([4]) ويتبع مير Meyer رأى بارت Barth، ويضع تاريخ السودان (ص ١٢) تاريخ هذه المدينة قبل ذلك بحوالي ثلاثة قرون.

([5]) ويورد فليكس ديبوا Flėix Dubois فكرة عن هذا المسجد وعن إعادة بنائه، وكان قد خربته جماعة شيخو أحمد حول سنة ١٨٣٠، وذلك في بحثه: Tombouctou la mystérieuse. Chap. Ix.

أديمها قط لغير الرحمن"[١] وبعد ذلك بسنين صارت ذات شأن كمركز للتعاليم الإسلامية والتقوى، وتوافد عليها الطلبة وعلماء الدين في جموع كبيرة، مدفوعين بما كانوا يلاقونه فيها من تشجيع ورعاية. وقد أثنى ابن بطوطة الذي تنقل في هذه البلاد في أواسط القرن الرابع عشر على الزنوج لحماستهم في أداء عبادتهم وفي دراسة القرآن، ويخبرنا هذا الرحالة أنه إذا كان يوم الجمعة ولم يبكر الإنسان إلى المسجد لم يجد أين يصلى لكثرة الزحام[٢]."[٣]

وفي عصر ابن بطوطة كانت أقوي ولاية في السودان الغربي هي ولاية مالي . وكان أمرها قد علا قبل ذلك بقرن بعد فتح غانا علي أيدي المندنجو ، ويذكر عنهم ليو الإفريقي أنهم أكثر جميع الزنوج مدنية وأشدهم ذكاء وأجدرهم بالاحترام ويمتدح الرحالون المحدثون ومهارتهم وأمانتهم . وكان هؤلاء المندنجو من أنشط الدعاة للإسلام الذي انتشر بواسطتهم بين الجماعات المجاورة . وقد أقامت قبائل المندنجو بتعريف قبائل الحوصة الكبيرة بالإسلام . وهي من القبائل ذات النشاط والذكاء وقد أكسبتهم مهارتهم الفائقة في التجارة نفوذاً كبيراً بين شتي القبائل التي اتصلت بها . فأصبحت لغتهم هي لغة التجارة في السودان الغربي .

وحينما ذهب تجار الحوصة ـ وهم منتشرون من ساحل غينيا حتى القاهرة نقلوا معهم الدين الإسلامي . ومن الممكن أن تكون الحوصة قد تأثرت في إسلامها بهذه الموجة الكبيرة من السيطرة الإسلامية التي سرت من مصر صوب الجنوب في القرن الثاني عشر الميلادي . ويفخر تجار كردفان وتجار السودان الشرقي علي وجه العموم بأنهم ينحدرون من العرب الذين شقوا طريقهم إلي هذه البلاد بعد سقوط الخلافة الفاطمية في مصر سنة ١١٧١م . ومن مصر انتشر الإسلام حتى وصل إلي كانم وهي مملكة واقعة إلي الشمال والشمال الشرقي لبحيرة تشاد . وبعد أن دخل أهلها بقليل في الإسلام أصبحت دولة ذات أهمية كبري وبسطت سلطانها علي قبائل السودان الشرقي إلي حدود مصر وبلاد النوبة . وقد قام مرابط يدعي عمرو بجهود كبيرة في نشر الإسلام في وسط إفريقيا ونجح في تحويل قرية وثنية في ولاية سنسندنج إلي الإسلام. وكان للتزاوج بين العرب والبربر والسكان الأصليين أثره في انتشار الإسلام ـ كما كان لحماسة بعض القبائل للإسلام ومنها قبائل فلبي والحوصة والمدنجو مما كان يساعد علي نمو الإسلام . [٤]

وكانت الرحلات المستمرة للتجار المسلمين تغذي الدعوة للإسلام بقوة جديدة وتضيف عليها أتباعا جدداً وقد تغلغل الإسلام في مناطق السودان التي كانت تحكم بالحكم الفرنسي بالطرق السلمية وفي أجزاء أخري كثيرة من إفريقيا .أما في داهومي ولاجوس فقد دخلهما الإسلام أيضاً وأصبح هناك عدد كبير من أهلها يدينون بالإسلام . ومما يذكر أن مصب السنغال حتى لاجوس ـ في مسافة ألفي ميل ـ يندر أن تجد مدينة ذات أهمية علي الساحل ليس فيها مسجد واحد علي الأقل ومعه دعاة نشطون يعملون علي نشر الإسلام .[٥]

وبعد أن تحدث أرنولد عن انتشار الإسلام فى شمال إفريقيا وصل إلى حقيقة علمية تاريخة ثابتة مفادها : " وهكذا كان في هذا الجزء من إفريقية ـ غرب إفريقيا ـ نشاط كبير في الدعوة إلى الإسلام قام به رجال لم يمتشقوا الحسام في سبيل تحقيق غايتهم، – أعني بذلك تحويل الوثنيين إلى الإسلام. وعلى هذا الأسلوب كان يسير الذين يتبعون بعض المبادئ الدينية الإسلامية الجليلة، تلك المبادئ التي كانت تكون الصفة الغالبة على النشاط الديني في إفريقية الشمالية." [٦]

وهنا يجب التأكيد علي حقيقة تاريخية ذكرها أكثر الباحثين وهي : " أن نمو واتساع مستقرات المسلمين العرب والنشاطات التجارية لهم في السودان الغربي ، يرجع بشكل أساسي إلي العلاقات الطيبة التى نشأت بين التجار العرب والطبقة الحاكمة فى السودان الغربى الذين أدركوا الفائدة الاقتصادية القصوي التي يمكن الحصول عليها من تواجد أولئك التجار هناك ، وتوثيقاً للعلاقة الودية هذه فإن الحكام السودانيين كملك غانة كان قد عين بعض التجار العرب في بعض المناصب الإدارية العليا في البلاط السوداني . "[٧]

وخلاصة القول: إن الإسلام دخل شمالي السودان بطرق سلمية منذ أن فتحت الجيوش الإسلامية أرض مصر إلا أن تحول شمالي السودان إلى الحضارة والثقافة العربية الإسلامية لم يتم بصورة شاملة إلا بحلول القرن (السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) .

---

(١) السعدي تاريخ السودان ١٢-١٣.
(٢) ابن بطوطة جـ ٤ ص ٤٢١ – ٤٢٢.
(٣) الدعوة إلى الإسلام ـ المستشرق / توماس أرنولد ـ ص ٣٥٥ بتصرف .
(٤) انظر : المرجع السابق أرنولد ص ٣٥٦ بتصرف ، انظر: انتشار الإسلام بالطريق السلمي ـ د/ محمد فاوي عسر ـ ص ٧٨ ، ٨١
(٥) انظر: انتشار الإسلام بالطريق السلمي ـ د/ محمد فاوي عسر ـ ص ٨٤ .
(٦) الدعوة إلى الإسلام ـ المستشرق / توماس أرنولد ـ ص ٣٦٤ .
(٧) النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوى الغربى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى د/ صباح الشيخلى ـ ص ٤٣.

المطلب الثالث : عوامل وأسباب وأساليب انتشار الدعوة الإسلامية فى القارة الإفريقية .

هذه نماذج للدلالة على انتشار الإسلام فى قارة إفريقيا بواسطة التجار المسلمين وهذا مما يدعو للتساؤل عن العوامل والأسباب التي أدت لانتشار الإسلام فى إفريقيا ؟ .

وأقول لقد تعددت الوسائل والأسباب التى أدت لانتشار الإسلام فالقارة الإفريقية ونخص هنا بعض جهاتها الحيوية ، فلقد بدأ انتشار الإسلام في غرب إفريقيا نتيجة الدعوة التي قامت بها الدول التي تأسست هناك، ولعل أهمها دولة المرابطين، الذين أرسلوا الدعاة إلى جهات كثيرة من القارة الإفريقية حتى وصلوا إلى الجابون، وأقاموا رُبطًا في كل مكان حلُّوا به، ثم الدول التي نشأت في تلك الجهات مثل: غانا، ومالي، وغيرهما. وفي العصر الحديث قامت الدعوة على نطاق واسع من قِبل دول الفولاني، مثل: دولة عثمان دونفديو في شمال نيجيريا، وحركة الحاج عمر، وغير ذلك. ومن أهم العوامل التي أدت إلى انتشار الإسلام فى غرب إفريقيا " الحياة القبلية، فإسلام أحد أمراء القبائل يشجع كثيرًا من الأفراد على اعتناق الإسلام، وإن حركة القبائل من أجل المراعي أو اندفاعها نحو الجنوب أمام ضغط من الشمال يجعل هذه الحركة على تماسٍّ مع قبائل أخرى، فينتشر بينها الإسلام؛ لذا فإن انتقال الإسلام نحو الجنوب باتجاه خليج غانا كان بسبب حركة القبائل وانتشار الدعاة، وزادت نسبة المسلمين في هذه البلاد على ٥٠ % من مجموع السكان، ولولا ضغط الاستعمار، ووقوفه في وجه الإسلام، وإفساحه المجال للإرساليات التنصيرية؛ لتُشرفَ على التعليم، وتسعى للحد من انتشار الإسلام عن طريق تقديم المساعدات والإغراء، لولا ذلك لعَمَّ الإسلام المنطقة كاملة (١) .

ولم يكن انتشار الإسلام في غرب إفريقيا مرتبطًا بعامل واحد، بل كانت هناك عوامل شتى، وأدوار متعددة ، وطوائف متنوعة (٢) يرجع إليها الفضل بعد الله فى نشر الإسلام فى غرب إفريقيا ومعظمهم من التجار المسلمين من أهمها :

أولاً: الطرق الصوفية: لقد أَسْدَت الطرق الصوفية في القارَّة الأفريقية دورًا محمودًا وجهدًا مشهودًا في نشر الإسلام في غرب القارة، وتمثَّل هذا الدور في نشر التعاليم الإسلامية، والدعوة للتسامح مع المسيحيين، واستخدم وسائل الترغيب وليس الترهيب لنشر الدعوة الإسلامية، فضلًا عن إنشاء المساجد والزوايا التي صارت خلايا للذكر والعبادة، وفتح المدارس، وشراء العبيد وتعليمهم مبادئ الدين الإسلامي، ثم عتقهم وإرسالهم كدُعاة لنشر الدعوة في مناطق مختلفة، ومن الطرق الصوفية التي كان لها باع في نشر الدعوة الطريقة القادرية، والتيجانية، والسنوسية . "(٣) .

ثانياً : التجَّار المتجوِّلون: وتُعَدُّ طائفتهم من أهم الطوائف التي نشرت الإسلام في غرب إفريقيا، فقد كانت القوافل التِّجارية تنقل الأسلحة والملابس من شمال إفريقيا إلى غربها، ونلاحظ أن التجار عندما كانوا يحُلُّون بالبلاد كانوا يختلطون بسكان المناطق التي ينزلون فيها، ويتزوَّجون منهم، بل وأنشئوا قرىً جديدة في طريقهم، وكوَّنوا لأنفسهم جاليات إسلامية تُقِيم إقامة دائمة بالبلاد التي ينزلون بها، كما أقاموا مراكز تِجارية ومرافئ للمركب والسفن، وشيَّدوا المساجد، ولا يزال بعضها باقيًا حتى الآن، وكانوا يفتحون المدارس القرآنية في هذه الأماكن، ويتبادلون الأفكار مع السكان والملوك والرؤساء، وقد وَجَدَت الأفكار الإسلامية تقبلاً واستجابة من الأفارقة ، وبعدَ وقت قصير تحول الكثير من السكان من الوثنية إلى الإيمان." (٤) .

ثالثاً : الدُّعاة والمعلِّمون : إن الدعوة الإسلامية كانت دعوة رُوحية خالصة، وكان الداعي المسلم يتعقَّب الفاتح؛ ليُكمل النقص في هداية الناس إلى الإسلام، وقد نجح الروَّاد المسلمون الأوائل في دخول الناس في دين الله أفواجًا، وقد أدى هذا إلى تكوين دول إسلامية في مناطق كثيرة من القارَّة وخاصَّة في غربها، وذلك على أنقاض دول وثنية. " (٥) .

---

(١) التاريخ الإسلامي (الأقليات الإسلامية) ـ محمود شاكر ـ ج٢٢ ص٢٧٦ .

(٢) من أهم هذه الطوائف : طائفة الفاتحين: فبهم دخل الإسلام إلى غرب إفريقيا منذ القرن الأول الهجري وأولهم (عقبة بن نافع) ، الذي ولاَّه عمرو بن العاص على شمال إفريقيا، ففتحها وأسس بها مدينة القيروان، وجعلها مركزًا لانطلاق دعوته، وترك بها جالية عربية إسلامية، ثم رجع إلى مصر. ة، ولما تولَّى مرَّة ثانية في عهد يزيد بن معاوية واصل فتوحاته صوب الغرب، حتى وصل بلاد السوس، حيث أسلمت قبائل المصامدة، ثم استمرَّ حتى انتهى إلى البحر المحيط، فنزل بفرسه فيه حتى بلغ الماء نحره، وقال قولته المشهورة: (اللهم إني أشهدك أن لا مجاز، ولو وجدت مجازًا لجزت).ثم انصرف راجعًا، وسار نحو الجنوب حتى صادف قبائل صنهاجة، فأسلموا على يديه، ودخل طنجة، ثم سار جنوبًا، واستمر في أطراف بلاد السودان، ودخل بلاد غانا، وغينيا، وتكرور، وأسلمت على يديه بعض القبائل الأمازيغية، ويُعَدُّ أول قائد إسلامي استُشْهِد في إفريقيا.وولِّيَ موسى بن نُصَيْر على إفريقيا خلفًا لعقبة، فأعاد إلى الإسلام القبائل الأمازيغية المرتدَّة، حتى حَسُن إسلامها، وشاركت في فتح إفريقيا والأندلس..وخلال عهد الخلفاء الراشدين وحُكم بني أمية كان الغرب الإفريقي في التنظيم الإداري تابعًا لمصر، . انظر : المسلمون في غينيا ـ د / محمد عبد القادر أحمد ـ ص٢٤، ٢٥ .

(٣) انتشار الإسلام في غرب إفريقيا ـ د / عبد الله عبد الرازق ـ ص٦ـ طبعة دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ عام ٢٠٠٦م.

(٤) المسلمون في غينيا ـ د / محمد عبد القادر أحمد ـ ص٢٧،٢٦ .

(٥) انتشار الإسلام في غرب إفريقيا ـ د / عبد الله عبد الرازق ـ ص١٠.

وتوجز بعض الدراسات الحديثة ([1]) أسباب تَغلغل الإسلامُ وانتشاره في غرب إفريقيا بوجهٍ عامٍّ، وفي بلاد (الهوسا) بوجهٍ خاصٍّ لأسباب منها : " ما استشعره العلماءُ والدُّعاة من مسئولية الدَّعوة إلى الله وتبليغ دين الله أنَّى حلُّوا. ، بَساطَةُ العقيدة الإسلاميَّة وسماحتها؛ فهي عقيدةٌ تَتَّفق مع الفطرة السليمة، وتدركها العقولُ بسهولةٍ ويُسرٍ، وليست بحاجةٍ في شرحها وتوضيحها وإقامة براهينها إلى مصطلحاتٍ فلسفيَّةٍ، أو أدواتٍ منطقيَّةٍ، أو تعبيراتٍ أدبيَّةٍ، يدركها الصَّغير والكبير على حدٍّ سواء؛ فهي سهلةُ الفَهم في مقدِّماتها ونتائجها، فلا يجدُ أحدٌ صعوبةً في إدراك صدقِ هذه العقيدة واتِّفاقها مع كلِّ المقدِّمات والنتائج العقليَّة.

والسؤل الذى يطرح نفسه الآن بعد هذه الجولة السريعة حول انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية لماذا أقبل الأفريقيون على الإسلام ؟ .

وللإجابة عن هذا السؤال يقول السير توماس أرنولد فى كتابه (الدعوة إلى الإسلام) وهو يتحدث عن أساليب الدعاة في نشر الدعوة الإسلامية : " لقد كانت الأساليب السلمية هى الطابع الغالب على حركة نشر الدعوة الإسلامية في إفريقية ... كان الداعية يتعقب الفاتح ليكمل النقص في تحويل الناس إلى الإسلام. والحق أن نجاح الرواد المسلمين نجاحًا دنيويًا سهل إلى حد كبير جداً نجاح الإسلام في جهات كثيرة من إفريقية، كما سهله تأسيس دولة إسلامية على أنقاض دولة وثنية... ولدينا الدليل القاطع الذي شهد به الراحلون وغيرهم على الدعوة بالطرق السلمية وقيام الداعي المسلم بأعمال تنطوي على الرفق والأناة، تلك الأعمال التي عملت في سبيل انتشار الإسلام سريعًا في إفريقية الحديثة ... وحيثما شق الإسلام طريقه، نجد هناك الداعي المسلم حاملاً الدليل لعقائد هذا الدين، فالتاجر المسلم ـ سواء كان من العرب أو من البول أو الماندنجو ـ يجمع بين نشر الدعوة وبيع السلعة، وإن مهنته وحدها لتصله صلة وثيقة مباشرة بأولئك الذين يريد أن يحولهم إلى الإسلام، وتنفي عنه كل ما يحتمل أن يتهم به من دوافع شريرة، وإذا ما دخل مثل هذا الرجل قرية وثنية فسرعان ما يلفت الأنظار بكثرة وضوئه، وانتظام أوقات الصلاة والعبادة، التي يبدو فيها كما لو كان يخاطب كائناً خفياً. وإن ما يتحلى به من سمو عقلي وخلقي ليفرض احترامه والثقة به على الأهالي الوثنين، الذين يبدو لهم في نفس الوقت استعداده ورغبته في مدهم بمزاياه ومعارفه السامية. " ([2])

ولم يكن سر إقبال الأفريقيين على اعتناق الإسلام إلى هذا الحد الذي لم يحدث فى إفريقيا بالنسبة لأية عقود أخرى ، هو مجرد هذا التعليل الذي ذكره أرنولد ، بل كان هناك أسباب كثيرة أخرى مكنت للإسلام من أن ينتشر بسرعة وعلى نطاق واسع فى إفريقيا ، من أهم هذه الأسباب ([3]) :

أن الدين الإسلامي جوهره عقيدة بسيطة سمحة ليس فيها تعقيد ولا تركيب ، وأنها حين دخلت إلى إفريقيا لم تصطدم بالتقاليد أو العادات المحلية ، بل تلاءمت معها في حدود التعاليم الإسلامية وكونت وإياها ما أطلق عليه (بليدن) تعبير « الاندماج أو الامتزاج الصحي » كذلك كان لمبدأ المساواة الذي يعتبر مبدأ أساسياً فى الإسلام أثر مباشر وعملي في ترحيب شعوب إفريقيا به والمسارعة إلى اعتناقه ، فقد كان للأفريقي الذي يتحول إلى الإسلام نفس الحقوق التي يتمتع بها أي عضو آخر في المجتمع الإسلامي حتى قيادة الجيوش وتولي أعظم مناصب الحكم والإدارة ، ولقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ » ([4]) .

وأصبح طارق ابن زياد وهو من أبناء البربر قائداً من قواد المسلمين ، كل هذه العوامل وغيرها كانت من الأسباب التي حببت الشعوب الأفريقية فى الإسلام وجعلتهم يسارعون إلى الدخول فيه ، ولولا أن أطل الزحف الصليبى برأسه فى إفريقيا فى أوائل القرن الخامس عشر على أيدي غلاة المتعصبين البرتغاليين أولاً ثم بقية العناصر الأوربية الأخرى بعد ذلك لتحولت الشعوب الأفريقية كلها أو الغالبية العظمى منها على الأقل إلى الدين الإسلامي .

وهكذا وجد الإسلام في إفريقيا أرضا خصبة لانتشار دعوته ، ووجد الناس هناك في الإسلام العقيدة الصافية والتوحيد الخالص ، والقيم النبيلة ، والعدل والسلام من التجار المسلمين مع الآخرين ، فكان ذلك سبباً رئيساً في انتشار الإسلام بقارة إفريقيا إلى جانب قربها من مركز الدعوة ومهبط الوحي بجزيرة العرب . فعم نور الإسلام معظم جهات قارة إفريقيا ، ثم كان الفضل للتجار المسلمين الأفارقة في وصول الدعوة الإسلامية إلى مناطق قارة آسيا وأوروبا ، ، فقد كانت إفريقيا معبرا ومنطلقاً لحضارة الإسلام إلى أوروبا ، وإنقاذها من ظلمات الجهل وعصور التخلف ، وهكذا عرفت شعوب أوروبا الإسلام عن طريق هذه القارة المسلمة .

([1]) مجلة : قراءات إفريقية: العدد الأول، رمضان ١٤٢٥هـ/ أكتوبر ٢٠٠٤م. الرابط: - http://www.albayan magazine.com/qiraat/aboutus.htm .

([2]) الدعوة إلى الإسلام ـ المستشرق / توماس أرنولد ـ ص ٣٩٠ ، ٣٩١ بتصرف .

([3]) انظر: الإسلام فى إفريقيا ـ عبدالواحد الإمبابى ـ ص ١٦ .

([4]) صحيح البخارى ـ كتاب الأحكام ـ باب السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً ـ ح رقم ٧١٤٢ .

المطلب الرابع : شهادات علمية منصفة لبيان آثار الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى إفريقيا .

أشرت فيما مضى أن من أهداف هذا البحث الرد العلمى المقنع على ما يزعمه أعداء الإسلام من أن الإسلام انتشر تحت قوة السيف والإكره ، وزيادة فيما قدمته من أدلة قاطعة تدل على كذب هذا الادعاء ، أختم هذا البحث ببعض من شهادات المنصفين الدالة على أن الإسلام قد انتشر فى القارة الإفريقية بالطرق السلمية ومن هذه الشهادات ما يلى :

١) ينقل صاحب كتاب تاريخ الدعوة عن الكاتب المسيحي / هوبير ديشان قوله : " إن انتشار دعوة الإسلام بأفريقية لم تقم علي القسر وإنما قامت علي الإقناع الذي كان يقوم بها دعاة متفرقون لا يملكون حولا ولا طولا إلا إيمانهم العميق بدينهم ، وكثيرا ما انتشر الإسلام السلمي البطئ من قوم إلي قوم فكان إذا ما أعتنقه الارستقراطية ـ وهي هدف الدعاة الأول ـ تبعتها بقية القبيلة ، وقد يسر انتشار الإسلام أمر أخر هو أنه دين فطرة بطبيعته سهل التناول ، لا لبس ولا تعقيد في مبادئه ، سهل التكييف والتطبيق في مختلف الظروف ووسائل الانتساب إليه أيسر وأيسر ،إذ لا يطلب من الشخص لإعلام إسلامه سوي النطق بالشهادتين حتي يصبح في عداد المسلمين ([1]) .

٢) كما يسجل السير / توماس أرنولد شهادة المستشرق / ربيل وهى " أنه كثيراً ما لاحظ في خلال رحلاته في بلاد الحبشة أنها عندما يراد شغل منصب من المناصب التي تتطلب أن يكون الشخص الذي يشغلها أمينا كل الأمانة ، موثوقا به تمام الثقة ، كان اختيارهم يقع دائماً علي شخص مسلم " ([2]) .

٣) ويقول " سميث " (Smith) فى كتابه " المقعد الذهبى ([3]) . ": ينبغى الاعتراف بأن الإسلام ينطوى على قوة جذب ، وكون أن نسبة بهذا الحجم من الإفريقيين ، قد اعتنقت هذه الديانة ، لدليل على ذلك ، فليس من المقنع تفسير اعتناقه ، على أساس أن الإريقيين قد أرغموا على اعتناق الإسلام ، لأن ذلك ليس صحيحاً بالنسبة للغالبية ، وليس من المقنع القول ، بأن الإسلام يكتسب أنصاراً بتملق شهواتهم الحسية ، كما ليس من الممكن القول بأن الإفريقيين قد اختاروا الإسلام ، لأنه لم يكن لديهم بديل آخر عن ديانتهم الوثنية ، التى لم تعد ترضيهم ، ففى زنزيبار أتيحت للآهلين فرصة المقارنة بين النصرانية والإسلام ، على مدى ستين عاماً ، ومع ذلك ظلوا فى معظمهم مسلمين .وتكمن قوة الإسلام في قوة العقيدة التي يمنحها ، فالمسلم يعتقد في إله واحد ويوما بعد يوم يتردد صدي الإعلان المؤثر عن الإيمان ، في الدعوة إلي الصلاة " الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله " ... قد يشير رجال الدين النصراني إلي بعض جوانب سلبية ، في العقيدة الإسلامية ، لكن الإفريقيين ليسوا رجال لاهوت ، فتفكيرهم يتجه إلي التوحيد ، وتأكيد المسلمين الواثق بأنهم يعبدون إلها واحداً ، يجد قبولاً كبيراً لديهم ، وفضلا عن ذلك فإن الدعوة إلي الإسلام في إفريقيا ، لا يتولي أمرها رجال بيض غرباً ، يمارسون تقاليد اجتماعية مغايرة ، وإنما رجال من اللون الافريقي نفسه (أو من لون قريب منه) كما أن الداعية المسلم ، وإن كان ذا مستوي حضاري أسمي بشكل ظاهر ، فهو ليس علي مسافة بعيدة إلي درجة مستحيلة ، كما هو الحال بالنسبة للأوروبي ، فليس ثمة هوة بين الداعية المسلم ، سواء كان تاجراً واعظاً ، وبين الأفريقي ، كتلك الهوة التي بين الداعية النصراني والأفريقي .وكثير من الرجال الذين يعدون أنفسهم نصاري طيبين ، لن يخطر ببالهم الإقرار بالزمالة مع النصاري من سود البشرة ، أما المسلمون فلا يفرقون ، فالعرب والزنوج والبربر والهنود اخوة في الدين ، ولا يختلط بعضهم ببعضهم الآخر في العبادة فحسب ، وإنما يعاون بعضهم بعضا عن طيب خاطر في شئون الحياة اليومية . والحياة القبلية تنفسخ تحت تأثير الحضارة الأوروبية ، لكن عندما يعتنق القبليون الإسلام يجدون طريقهم إلي نظام عظيم للدين والأخلاق ويجدون جزاءات خلقية عوضاً عن تلك التي عفي عليها الزمن ، وفي غرب إفريقيا وحد المسلمون القبائل المتناثرة في ممالك قوية ، شغل فيها الزنوج مناصب رفيعة .

٤) ويقول (ميك) Meek في كتابة (القبائل الشمالية في نيجيريا) : " وهكذا ففيما يتصل بالجانب الروحي ، ليس الإسلام في نيجيريا سوي محاكاة متواضعة للديانة السامية التي جاء بها النبي (صلي الله

([1]) تاريخ الدعوة ـ د / جمعة الخولى ـ ج٢ ص ٢٢٤ ـ نقلاً عن الديانات في إفريقيا السوداء ـ ١٢٨.

([2]) الدعوة إلي الإسلام ـ توماس أرنولد ـ ص ١٣٩ ط ثالثة سنة ١٩٧٠م .

([3]) تاريخ المسلمين فى إفريقيا ومشكلاتهم ـ د/ خديجة النبراوى ـ ص ٦٢ـ طبعة دار النهار القاهرة ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م نقلاً عن : Smith (Edwin W) . The golden stool – London – p226 – 230.

عليه وسلم) وإذا نظرنا إلي الإسلام كعامل سياسي واجتماعي واقتصادي ، فإن الأمر يختلف كثيرا ، فقد أتي الإسلام بالمدينة إلي قبائل بربرية ، وأحال جماعات وثنية منعزلة إلي أمم ، وجعل التجارة مع العالم الخارجي أمراً ممكناً ، وكان من ثم أداة رئيسية في تنمية الغريزة التجارية ، التي جعلت من الهوسا والنومي واليوربا والبربري تجاراً مشهورين ، ووسع من الأفق وأضفي علي أتباعه الكرامة واحترام النفس واحترام الآخرين .وسمو الجماعات الإسلامية ثقافياً وسياسياً ، يرجع أساساً إلي الدين ، فقد أدخل الإسلام إليها القراءة والكتابة ، وبتحريمه الخمر وأكل لحوم البشر والثأر ، والعادات البربرية الأخرى ، مكن الزنجي من أن يصبح مواطنا عالمياً .

٥) ويشرح " منك " وسائل انتشار الإسلام في نيجيريا فيقول :- وترتب علي وجود وسائل المواصلات ، أن شرع الوثنيون والمسلمون يتصلون ببعضهم بعضاً اتصالاً مستمراً . فالوثني الذي يترك موطنه ، يجد أن من المناسب اعتناق مفهوم المسلمين وأسلوبهم في الحياة ، ويتبين سريعاً ضيق ديانته بالمقارنة بعالمية الإسلام ، فضلاً عن أن الانتقال من الوثنية إلي الإسلام لا ينطوي علي صعوبة ، فباتساع أفقه يدرك الإفريقي وجود إله أعظم واجد ، واعتقاده في الأرواح الشريرة ، لا يتأثر بما يحدث من تغيير خارجي في العقيدة ، كما يتبين أن المسلمين متسامحون ، وأن مساكنهم أفضل من مسكنه ، وثيابهم أفضل من ثيابه ، وأن نظرتهم إلي العالم أوسع من نظرته . وكثيرا ما يقيم المسلمون مع الوثنيين ، وهؤلاء المستوطنون ليسوا شداد آفاق بصفة خاصة ، يستهدفون الحياة السهلة ، عن طريق استغلال الوثنيين الجهلة السذج ، وإنما أهدافهم في الغالب شريفة ، وهم يصبحون أصدقاء للوثنيين ، وسرعان ما يكتسبون نفوذا عليهم لا يسيئون استغلاله ، وأكبر عقبة في سبيل انتشار الإسلام هو تحريم الخمر ، فالخمر بالنسبة للوثني ، ليست مجرد كأس يبهج (ويسكر) وإنما هي أيضا طعام يغذي .

٦) ويعرض (مورل) وجهة نظره بالنسبة لأثر اعتناق الإسلام للأفريقي فيقول: يأخذ الإسلام بيد الأفريقي ويمنحه المساواة مع كل الرجال الآخرين ، فمنذ اليوم الذي يعتنق فيه الوثني الإسلام ، لا يستطيع مسلم من الساميين ، أن يزعم لنفسه سمواً اجتماعيا عليه، فالإسلام بالنسبة للزنجي هو الاتجاه نحو مفهوم اسمي للوجود ، حيث يوحي له بالثقة في مصيره ، ويشرب روحه بإيمان قوي في نفسه .

٧) ويقول " بلادين " في كتابه " الإسلام في السودان الغربي " ويتحتم علي الاعتراف بأنني حيثما شاهدت هؤلاء الرجال (الدعاة المسلمين) وهم يعملون ، وكثيراً ما شاهدتهم ، وقارنت بين جهودهم الحماسية ، وإنكارهم للذات ، وعدم مبالاتهم باعتراف الناس بجهودهم أو بالثناء عليهم ، وبين الدعاة المسيحيين وما كانوا عليه من تهيب وتردد واعتماد كلي علي العون والتأييد الخارجي ، كان يعتريني شعور مماثل لذلك الشعور الذي قال " رينان " عنه " Renan " أنه كان يعتلج في صدره في كل مرة يشاهد فيها الصلاة اليومية للمسلمين " لم أدخل مرة مسجداً دون ان يعتريني شعور دافق ، بل لعلي أقول ، دون أن يعتريني شعور ما بالأسف لأنني لست مسلماً " .

٨) ويقول " وسترمان " في كتابه " الإفريقي اليوم وغداً " :- وحقيقة إن الإسلام يمثل في إفريقيا أنموذجاً للحضارة ، يجعل من السهولة أن نفهم لماذا يتمتع بالاحترام والتعاطف ، من جانب كثير من الأوروبيين ، وفي بعض الأحيان يوصي به بوصفه الدين الأكثر ملاءمة للإفريقي ، ومع ذلك فإن أولئك الذين يعتنقون هذا الرأي ينبغي لهم ألا يتجاهلوا حقيقة أن الإسلام له بعض الجوانب السلبية ومن المشكوك فيه انه بحضارته الأسمى ، قد أدخل أخلاقاً أسمي . ([1]) .

٩) وقد أوضح أحد الزنوج كيف كان للدعوة الإسلامية تأثير كبير في جذب الزنوج إليها بقوله : " أما الإسلام فإنه يدعو الناس إلي الخلاص ويقول لهم أن بلوغك اسمي الدرجات الممكنة أنما يتوقف عليه . ومن ثم ركن الزنجي بدافع من الحماسة إلي هذا الدين بروحه وجسده ".وقد جاء في تعليق أحد المشاهدين المحدثين عن انتشار الإسلام في إفريقيا بقوله " إن الإسلام لا يتطلب من وجهة نظر أهل نيجيريا ان يفقد أحدهم قوميته باعتبار ان ذلك شئ يصحب الدخول في الإسلام . ولا يستلزم تغييرات انقلابية في الحياة الاجتماعية ولا هو يقوض نفوذ أسرة او سلطة الجماعة . وليس هناك هوة بين الداعي إلي الإسلام والمتحول إليه فكلاهما متساو أحدهما مع الأخر لا نظريا ، بل عمليا . ولا يعني الدخول في الإسلام أن ينصرف الداخل فيه عن شئون أسرته وحياته الاجتماعية ولا عن احترامه لسلطان حكام بلاده الأصليين .

([1]) انظر: تاريخ المسلمين فى إفريقيا ومشكلاتهم ـ د/ خديجة النبراوى ـ ص ٦٢ .

وليس هناك من لا يعجب بسلوك المسلم النيجري ووفائه . بل بسلوك مسلمي إفريقيا الغربية عامة . وأن هيئة الرجل العامة لتنم عن شعور بالقومية واعتزاز بالجنس يخيل إليك أنه يقول : أن كلا منا يختلف عن الآخر ، ولكننا جميعا بشر ، وان انتشار الإسلام الذي نشهده اليوم في نيجيريا الجنوبية ليؤثر بصفة خاصة تأثيراً اجتماعياً ويمنح الإسلام هؤلاء الذين يتصلون به منزلة أرقي ، وفكرة أسمي عن مكانة الإنسان من العالم المحيط به ، ويحرره من ربق ألاف من الأوهام الخُرافية.[1]

١٠) يقول الإمام / محمد أبوزهرة : " كان التجار المؤمنون فى اليمن وحضرموت يسيرون بمتاجرهم منبعثين من شطر البلاد العربية ميممن شرقى البلاد ومغاربها ، ومع تجارتهم الدعوة الإسلامية ، يعطون بضائع المال ويأخذون مثلها ، ومعها بضائع هى النور وهو الإسلام ، وقد جابوا الآفاق على البضاعة المادية ، والهدى المحمدى ، وكان يسهل الطريق أن الوثنية كانت مسيطرة على الشعوب التى يعاملونها ، فيهدونها ثم يتعاملون معها بنور الهداية ، فكانت بضاعة النور رائجة ، وبضاعة المادة رائجة أيضاً ، وبالتجار الحضارمة آمن أكثر شرق إفريقيا ، وعلى أيديهم أسلمت الحبشة إلا قليلاً ، وكذلك الصومال ، وسائر شرق إفريقيا ، والتجار المسلمون هم الذين نشروا الإسلام فى إندونيسيا وغيرها من بلاد الشرق الأقصى " .[2]

١١) ويقول الدكتور / رأفت غنيمى الشيخ أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة الزقازيق فى كتابه (إفريقيا فى التاريخ المعاصر) : " وقد انتشر الإسلام فى إفريقيا انتشاراً سريعاً بدون صعوبات تذكر لأن حملة الإسلام اعتبروا أنفسهم حملة رسالة إصلاح وسلام ، فكانوا قدوة فى سلوكهم مما جذب الوثنيين الأفارقة إلى اعتناق الدين الإسلامى ، دين هؤلاء العرب الذين لم يؤمنوا بنظرية تفوق الأجناس ، أو وجود جنس نقى ، بل تزوجوا واختلطوا بالأفارقة ، وارتحلت القبائل العربية المسلمة فى الصحراء الكبرى ، وربطت بين الأفارقة شمال القارة ووسطها وغربها . "[3].

وخلاصة القول :

نستخلص من هذه الشهادات العلمية المنصفة ، ومما سجله الرحالة العرب ، وغيرهم عن انتشار الدعوة الإسلامية بإفريقيا أن الأساليب السلمية كانت الطابع المهم في نشر الدعوة الإسلامية في شرق وغرب ووسط إفريقيا ، فإن قيام الداعي المسلم بأعمال تنطوي علي الرفق والأناة هى التي عملت علي انتشار الإسلام انتشاراً سريعاً في إفريقيا أكثر مما عمل أي أسلوب من أساليب العنف . وحيثما شق الإسلام طريقه نجد هناك الداعي المسلم حاملاً الدليل لعقائد هذا الدين فالتاجر يجمع بين نشر الدعوة وبيع سلعته ، وإذا دخل مثل هذا التاجر قرية وثنية فسرعان ما يلفت الأنظار إليه بكثرة وضوئه ، وانتظام أوقات الصلاة ، والعبادة كما أن ما يتحلي به من سمو عقلي وخلقي ليفرض احترامه والثقة علي الأهالي الوثنيين الذين يبدي لهم في نفس الوقت استعداده ورغبته في مدهم بمزاياه ومعارفه السامية . والحاج الذي عاد من مكة مليئاً بالحماس من أجل نشر العقيدة التي يقف عليها كل جهوده متنقلاً من مكان إلي آخر ، وطالب العلم الذي يلقي تكريماً باعتباره رجل علم ، وثقافة ، وتفقه في الدين ، والشريعة الإسلامية كثيراً ما أسهم في تحويل كثير من الأهالي إلي الإسلام وتفقيههم فيه . وفي بعض قبائل إفريقيا الغربية تضم كل قرية داراً لاستقبال هؤلاء المعلمين ، ويعاملون بأعظم مظاهر الاحترام والتقدير.

---

(١) انظر : انتشار الإسلام بالطريق السلمي ـ د/ محمد فاوي عسر ـ ص ٨٨ .
(٢) الدعوة إلى الإسلام ـ الإمام / محمد أبو زهرة ـ ص ٥٩ ، ٦٠ بتصرف ـ طبعة دار الفكر العربى ـ القاهرة ١٩٩٢ م .
(٣) إفريقيا فى التاريخ المعاصر ـ د/ رأفت غنيمى الشيخ ـ ص ٣١٦ ـ طبعة دار الثقافة ـ القاهرة عام ١٩٩١ م .

الخاتمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ، والصلاة والسلام على سيد الدعاة نبينا محمد وعلى آله وصحبه ، والتابعين ، الذين حملوا الإسلام للناس في مشارق الأرض ومغاربها . أما بعد ،،

فأشكر الله ـ تعالى ـ الذي وفقني للقيام بهذا البحث حول (الحركة التجارية فى الإسلام ودورها فى نشر الدعوة الإسلامية) لإبراز مكانتها ، وضوابطها ، وآثارها فى نشر الإسلام ، وقد كشفت الدراسة عن مجموعة من النتائج أذكرها ، ثم أردفها بأهم التوصيات كما يلى :

أولاً : النتائج :

١) أن الحركة التجارية هي إحدى أوجه النشاط الاقتصادي في الإسلام ، وهى تشمل البيع بمختلف صوره ، والشركة بجميع أنواعها ، والتي شرعها الله تعالى لكسب المال ، الذي يشكل أهم العوامل المؤثرة فى حياة الفرد والمجتمع ، وهو دعامة الاقتصاد ، وعليه تدور النظم الاقتصادية و السياسية .

٢) أن للحركة التجارية فى الإسلام مكانة عظيمة ، ومنزلة رفيعة ، فهي مهنة شريفة ، اشتغل بها النبيون والمرسلون ـ عليهم السلام ـ واشتغل بها نبينا ـ ﷺ ـ ، وبها يكسب الإنسان المال الحلال ، ويعمل على كفاية نفسه والآخرين ، وقد مدح النبي ـ ﷺ ـ بعض التجار وذم البعض الآخر، والمدح يقع على أهل الصدق ، والأمانة، والذم يقع على أهل الكذب، والخيانة ، والغش ، وسائر صور التجارة المحرمة .

٣) وضع الإسلام مجموعة من المبادئ والضوابط لضبط حركة التجارة ، وهي تدخل ضمن النظام الاقتصادي الإسلامي العام ، إذ إن ضوابط التجار والتجارة وما يتعلق بذلك هي جزء لا يتجزأ من النظام الاقتصادي في الإسلام ، وهو عبارة عن قواعد وأحكام تنظيم النشاط الاقتصادي للأفراد والتي تتفق مع الأحكام والخصائص العامة للإسلام ، فقد اهتم الإسلام بالموارد المالية وبين طرق الكسب المشروع، كالبيوع والميراث ، والوصايا ، والهبات ، وغيرها، ووضح طرق الكسب غير المشروع ، كالربا ، والغرر، والغش ، والاحتكار وغيرها ولا شك أن الضوابط الإسلامية العامة لحركة التجار المسلمين كانت سبباً رئيساً فى اعتناق الآخرين للإسلام ، والانضواء تحت لوائه بدون جهد أو إكراه كما يدعى الخصوم وإنما كانت بالدعوة الصامتة ـ القدوة الحسنة ـ من التجار المسلمين في تعاملاتهم وسلوكياتهم وهو ما يسميه علماء الدعوة الإسلامية بالدعوة بالحال .

٤) أصبح من الثوابت التاريخية أن الإسلام انتشر في مشارق الأرض ومغاربها بعدة طرق ([1]) من أهمها ما قام به التجار المسلمون ، فقد ثبت أن الحركة التجارية الإسلامية من أهم وسائل نشر الإسلام فى العالم القديم ، لما لها من دور كبير في نشر الإسلام سلميًا في بلاد لم تدخلها جيوش المسلمين ، فقد انتشر الإسلام في كثير من بقاع الأرض بفضل التجار المسلمين المخلصين الصادقين ، بحيث صارت بعض هذه المناطق تُشكّل اليوم الثقل البشري للأمة الإسلامية ، في جنوب غرب آسيا ، وفي إندونيسيا ، وباكستان ، وبنغلادش ، والهند ، وماليزيا ، وسنغافورة. وغيرها من المناطق سواء في آسيا أم أفريقيا وذلك عندما كان التجار المسلمون يعتبرون أنفسهم دعاةً ومُبلّغين، قبل أن يكونوا بائعين وشارين.

٥) من خلال التتبع الدقيق لخريطة (دار الإسلام) تبينت لىَّ حقيقة كبري وهى ماثلة أمام جميع الباحثين المنصفين من الغرب والشرق وهي : (أن ثُلث دار الإسلام فقط قام علي أساس الفتوحات الإسلامية والباقي جاء وليد انتشار الإسلام بقوته الذاتية دون أن يكون لذوي السلطان أي مجهود في تلك السبل) وظهر ذلك جلياً في تتبعنا لانتشار الدعوة الإسلامية بالطرق السلمية عن طريق التجار المسلمين الذين حملوا رسالة الإسلام إلي معظم بلاد القارة الأفريقية والآسيوية انطلاقاً من قاعدة ارتكاز المجتمع الإسلامي في مصر والعراق وبلاد العرب ليخترقوا بنور الإسلام حدود أكبر إمبراطوريتين في العالم والفرس والروم ، في ذلك الوقت لتصل الدعوة الإسلامية إلي الأفريقي والآسيوي ، والناظر لتاريخ الإسلام يري أنه حركة الفتح الإسلامي التي امتدت شرقاً وغرباً كانت ذا أثر ضئيل في نشر الإسلام ، إذ إن الإسلام لم ينتشر بعد هذه الفتوحات إلا بقرون عديدة وخير شاهد علي ذلك أنه حركة الفتح الإسلامي لمصر والمغرب ، وغرب أفريقيا وشرقها لم تتمخض عن انتشار الإسلام بشكل واسع مما يؤكد علي حقيقة أنّ الإسلام لم ينشر بحد السيف كما يزعم المستشرقون الحاقدون علي الإسلام وأهله بل انتشر الإسلام بمبادئه السمحة ، وأخلاق رجاله المسلمين الذين حملوا مبادئه وأخلاقه في سلوكياتهم ومعاملاتهم مع غير المسلمين مما كان سبباً في اعتناق الكثير منهم للدين الإسلامي والدخول تحت لوائه .

([1]) وأهمها : (الفتوحات ، والدعاة ، والحجاج ، والطرق الصوفية) بَيْدَ أن من أهمها ما قام به التجار المسلمون في نشر الدعوة .

٦) اتضح أن للحركة التجارية فضلاً كبيرًا فى نشر الإسلام داخل الجزيرة العربية حيث كان السكان يعتمدون على التجارة، التي كانت تشكل مصدر الرزق الأساسي لأهل مكة، حيث كانت لهم قوافل تجارية تجوب البلاد شمالاً وجنوباً ، وكانت لهم رحلات تجارية منتظمة، منها رحلة الشتاء والصيف، إلى اليمن والشام، وكانت لهم علاقات ومعاهدات تجارية مع القبائل الأخرى على شاكلة (الإيلاف) ، وكانت التجارة تدر عليهم أموالاً طائلة، ومن أشهر التجار من قريش السيدة / خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عنها ـ ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وانتشرت في مكة وغيرها من المدن والمناطق ، وأسواق موسمية منها : (سوق عكاظ ، وذي المجاز ، ومجنة) ، وكانت ثقافية ، إلى جانب أنها تجارية ودينية ، وقد أسهمت حركة التجارة فى هذه الأسواق فى نشر الإسلام فى الداخل والخارج ، مما يدل على أن الحركة التجارية فى مكة وما جاورها كانت من أسباب نشر الدعوة الإسلامية داخلياً .

٧) اتخذ التجار المسلمون وسائل متعددة ، وأساليب متنوعة ، وعوامل كثيرة ، وسمات فضلى ، لنشر الإسلام فى الأرض ، وكان ليُسر الوسائل الدعوية التي سلكها التجار المسلمون وسلامتها ، الأثر الواضح في اجتذاب الأفئدة إلى دين الله الحق ، حيث اتسمت هذه الوسائل باللين والتسامح ، وكان من أهم سمات التجار المسلمين الالتزام بتطبيق المنهج الإسلامي القويم في سلوكهم ، وفي حياتهم ، فكان الصدق، والأمانة ، والإخلاص ، وعمل الخير، والخلق الرفيع ، والسلوك النزيه من أهم الوسائل التي وصلوا بها إلى أعماق قلوب الناس وكسب احترامهم وثقتهم ، وكان التجار دعاة لدينهم بالفطرة ، حيث كانوا نماذج مثلي يحتذي بها في جميع الأعمال الفاضلة ، وكان من أهم السمات التي تحلّى بها التجار المسلمون التواضع ، والتواد ، والإحسان للآخرين ، وهى من أهم ركائز الدعوة الإسلامية.

٨) أن للحركة التجارية فى الإسلام والتى عملت على نشر الدعوة الإسلامية فى العالم منذ القرون الأولى للهجرة لم تكن سوى جهود فردية مخلصة للتجار المسلمين الأوائل ، والذين لم يُخلد التاريخ ذكر أسماء الكثير منهم ، ولم تتحول الدعوة إلى الإسلام من حالاتها الفردية إلى حالاتها الجماعية ، إلا على أيدي رجال الطرق الصوفية فى غضون القرن الثانى عشر الميلادى ، ولم يتبلور نشاطها فى نشر الدعوة إلا مؤخراً عندما تأسس النظام الصوفى ، ونُسبت الطرق إلى أسماء مؤسسيها كـ (القادرية ، والتيجانية ، والسنوسية ، والعلوية) والتى قامت بدورها فى نشر الإسلام خاصة فى قارة إفريقيا .

ثانياً : التوصيات : وإنني بعد أن انتهيت من كتابة هذا البحث لأجد هنالك بعض التوصيات التي تجدر الإشارة إليها ، والتنبيه إلى أهميتها ، وأهم هذه التوصيات ما يلي:

١) *أوصى التجار المسلمين :* أن يستوعبوا ضوابط الحركة التجارية فى الإسلام ، وكذا جوانب من علم الاقتصاد الإسلامي ، والذي يحمل في طياته حل لمتطلبات العصر الحديث وبخاصة أن العالم الإسلامي يمتلك من الطاقات البشرية والمادية ما يمكنه من بناء اقتصاد سليم قوي يواجه التيارات الاقتصادية المتصارعة، وينقذ البشرية من الويلات الاقتصادية التي تعيشها اليوم .

٢) *أوصى كل مسلم* يريد الهجرة فى بقاع الأرض أن يتخذ من أسلافه من التجار المسلمين قدوة فى حمل رسالة الإسلام للعالم أجمع ، فالمسلم إذا هاجر إلى أى مكان في الأرض ينبغي أن يقع في قلبه نية أنه نموذج لهذا الدين فيحمل هذا الدين وأخلاقه واقعاً عملياً يجذب الناس إليه ، وإن لم يتكلم بكلمة واحدة ، خاصة وأن المسلم يتمكن من الخروج لأى مكان في الأرض اليوم ، وهناك الآن ملايين المسلمين فى شتى أنحاء الأرض ، وحركة المسلمين الأوائل علمتنا هذا الأمر ، ولا شك أن وجود المسلمين ببلاد الغرب الآن أكبر فرصة لنشر الإسلام فيها حينما يتمسك المسلمون بدينهم ، وحينما يعيشون لهذا الدين ، والمسلمون لا يملكون تكنولوجيا تجذب الناس للإسلام ، وليس لديهم تقدم علمي ـ في معظم الأحيان ـ يجذب الناس للإسلام ، فحضارتنا المادية متخلفة عدة قرون ، وليست لدينا أموال ننفقها على الناس كالغرب الصليبى ليدخلوا فى الإسلام ، إنما الذى نمتلكه هو كنوز من الأخلاق الربانية الإسلامية ، والتى لن تكلفنا شيئاً فى الدعوة إلى الله تعالى ، سوى حمل أخلاق الإسلام بين الناس وهذه وحدها تكفى لأن يدخل الناس فى دين الله أفواجاً ، وقد أسلم الكثير من الغربيين فى الآونة الأخيرة بناءً على معايشتهم لمسلمين تمسكوا بدينهم فدعوا إلى الله بأخلاقهم وسلوكهم فكانوا فتحاً لأنهم في أوروبا بحاجة إلى الأخلاق الربانية . ([1])

٣) *أوصى الحركات الإسلامية فى الشرق والغرب* : أن تُعد من رجالها من التجار المسلمين من تظهر على سلوكه أخلاق الإسلام في المعاملات التجارية ، وتزوده بالخبرات الميدانية ، بحيث يقتحم مع إخوانه

([1]) خلاصة هذه الوصية مستفاد من محاضرة صوتية حول موضوع (الهجرة) للأستاذ الدكتور / يسرى محمد هانىء (أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة) .

مجالات التجارة الدولية والأسواق العالمية ، ويعمل على توحيد جهود التجار المسلمين ، وإيجاد شبكات للتعاون المثمر بحيث يقارعون الشركات اليهودية ، والشيوعية ، والنصرانية ، ويبذلون ما في وسعهم من أجل هيمنة الاقتصاد الإسلامي على الأسواق العالمية ويحررون شعوب المسلمين من سيطرة الفكر الشيوعي البائد ، الرأسمالي الفاسد .

٤) ***وأوصى الدعاة إلى الله :*** أن يغرسوا فى الناس فكرة (أن التاجر المسلم من صُناع الحياة) ، وأن يجددوا فى دعوتهم فى هذا الجانب ، كما يقول أحد الدعاة المعاصرين ([1]) في هذا الصدد : (وعلى خطة الدعوة أن تتوب توبة نصوحًا من إسرافهم القديم في تعليم الدعاة كراهة المال وحب الوظائف الحكومية.) وطلب في كتابه صناعة الحياة من الدعاة أن يهتموا بجمع المال ولينزل منهم نفر إلى السوق ، لأن في ذلك مردوداً دعويًا عظيمًا ، وذكر اليهود الذين استحوذوا على الأموال ، والأسواق ، ونحن لا نجيد إلا سبهم، ونضجر من المارون ، والأقباط ، والبهرة ، والقاديانية ، والمبتدعة ، والأقليات إذ كان منهم السبق إلى المال ، بتسهيل الدوائر الاستعمارية لهم ذلك في فترة الاستعمار جزماً ،وبمساعدة من قوى خفية أخرى، ولكننا لم نحسن غير سبهم وشتمهم . إن قوة الاقتصاد الإسلامي ووصول الأموال إلى قبضة المسلمين ستكون عاملاً من عوامل قوة الدعوة الإسلامية، وسترتفع رايات المسلمين ومعنوياتهم عندما يرون رجال المال المسلمين الذين ينفقون أموالهم سراً وعلانية ابتغاء مرضاة الله، وينطلق الدعاة في كل مكان مبشرين ومنذرين وخلفهم مؤسسات وشركات تدعمهم وتقف بجانبهم، كل على ثغر، وكل يسعى لتمكين دين الله في الأرض.إن الإعداد المالي والقوة الاقتصادية ستكون في خدمة الأمة والدعوة والسياسة والفكر،. ولابد أن تهتم الحركات الإسلامية بميدان الصناعة والزراعة والعقار والاستيراد والتصدير، وبخاصة في البلاد الحرة التي لا ينال أموالنا فيها ظلم، وفي العالم الكبير الفسيح متسع للاستثمار

٥) ***وأوصى الباحثين والعلماء من المسلمين*** : بإعداد دراسات علمية حول كافة الوسائل السلمية التي عملت على نشر الدعوة الإسلامية فى العالم ، سواء أكانت قديمة كـ (الطرق الصوفية ، والدعاة المعلمين ، والحجاج) ، أم حديثة كـ (المهاجرين المسلمين إلى دول الغرب ، والموفدون من قبل العالم الإسلامى) وبيان دورهم الدعوى والحضاري .

٦) ***وأوصى ولاة أمر المسلمين :*** بعد أن ثبت لـيً يقيناً من خلال هذا البحث أن التجارة العالمية من الصين شرقاً إلى الجزر البريطانية غرباً وشمالاً كانت في أيدي التجار المسلمين، وكان البحران الأحمر والأبيض بحيرتين إسلاميتين ، وكان البحارة المسلمون هم سادة البحار العالمية بشواطئها وبمدها وجزرها، وخطوط الملاحة الصحيحة فيها ، سواء في المحيط الهندي في آسيا، أم المحيط الأطلسي في غرب إفريقيا ، أم أنهار أفريقيا وآسيا ، كما ويمتلك العالم الإسلامي من شواطئ البحار والأنهار، والممرات، والطرق، البرية، والبحرية، والجوية، ما يجعله في مركز القيادة ، ويمكنه من المساهمة والتحرك الفعال بالدعوة الإسلامية نشراً وبلاغاً فى شتى أنحاء الأرض وذلك اقتداءً بسلفنا الصالح من التجار المسلمين الذين أبلوا بلاءً حسناً فى هذا المضمار ، ولا يحتاج ذلك إلا إلى أمر واحد فقط هو تطبيق الإسلام فى واقع الناس ، والتمكين لدين الله تعالى فى الأرض ، ولا يقوم بهذا إلا ولاة أمر المسلمين ، فهم المسئولون عن إعداد وتهيئة وحماية الدعاة ، وتوفير السبل والوسائل المعينة لهم على القيام بهذه المهمة ، وهم المسئولون أيضاً عن نشر الإسلام في أرجاء الأرض ، وبناء السياسة الخارجية على الأسس الدينية الإسلامية ، قبل بنائها على الأسس الدنيوية النفعية ، وكذا دعوة الناس إلى دين الله بكل ما أوتوا من إمكانيات ، وذلك جزء لا يتجزأ من سياسة الدولة الإسلامية الحاكمة بما أنزل الله ، وركن من أركان خُطتها في إقامة الدين الذي تستمد منه وجودها ، وساعتها سيتمثل الناس بالإسلام سلوكاً وعملاً ، وثقافة وتربية ، ونظاماً وحياة ، فيكونون دعاة للإسلام بسلوكهم ، قبل أقوالهم ، وبأخلاقهم قبل كلماتهم ، فيهدى الله بهم من ضلالة ، وينقذ بهم من جهالة ، ولن يصلح آخر الأمة إلا بما صلح به أولها.

وختاماً : هذه هى أهم النتائج والتوصيات التى توصلت إليها من خلال بحث هذا الموضوع ، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده ، وإن كانت الأخرى فمن نفسي ومن الشيطان ، واستغفر الله من ذنبي وتقصيري ، وأسأل الله سبحانه أن يتقبل هذا العمل بقبول حسن فى الأولى والآخرة ، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به ، وأن يكون لبنة في صرح الدعوة الإسلامية العامر .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

([1]) هو الأستاذ / محمد أحمد الراشد في كتابه : صناعة الحياة ، ص ٤٦ ، طبعة دار المجتمع السعودية، ط (٢) ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

المصادر والمراجع

١) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ـ د / إبراهيم على شعوط ـ طبعة دار الشروق جدة ـ طبعة سابعة ـ سنة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .
٢) أحكام القرآن ـ ابن العربي ـ دار الكتب العلمية، بيروت ـ الطبعة: الثالثة،عام ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م.
٣) أحكام السوق فى الإسلام وأثرها فى الاقتصاد الإسلامى ـ أحمد بن يوسف بن أحمد الدريويش ـ طبعة دار عالم الكتب بالرياض .
٤) أداب التاجر وشروط التجارة ـ ابراهيم بن محمد ـ ط دارالصحابة طنطا، ط (٢) ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م
٥) أسواق العرب التجارية فى شبه الجزيرة العربية د/ حقى إسماعيل إبراهيم ـ طبعة دار الفكر للطباعة والنشر ـ الأردن عمان ـ طبعة أولى ـ عام ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.
٦) أسواق العرب فى الجاهلية ـ سعيد الأفغانى، طبعة دار الفكر بدمشق ، طبعة ثانية ١٣٧٩ هـ/١٩٦٠ م.
٧) إحياء علوم الدين ـ محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ـ طبعة دار المعرفة بيروت .
٨) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ـ الشنقيطي ـ ط دار الفكر بيروت، سنة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
٩) إفريقيا فى ظل الإسلام ـ د / عبد الرحمن النجار ـ مجلة الوعي الاسلامى – الكويت السنة الرابعة عشرة – العدد (١٦٤) ، شعبان ١٣٩٨ هـ/ يوليو ١٩٧٨م
١٠) إفريقيا فى التاريخ المعاصر ـ د/ رأفت غنيمى الشيخ ـ طبعة دار الثقافة ـ القاهرة عام ١٩٩١ م .
١١) إندونيسيا مواطن الشعوب الإسلامية فى آسيا ـ محمود شاكر ـ طبعة الدار العلمية لبنان ـ طبعة أولى ـ سنة ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .
١٢) انتشار الإسلام بالطريق السلمي ـ د/ محمد فاوي عسر ، سلسلة دراسات في الإسلام ـ يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة ـ عدد ١١٢ ـ السنة (١٠) ـ رجب ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
١٣) انتشار الإسلام فى القارة الإفريقية،د/ حسن إبراهيم حسن، طبعة مكتبة النهضة القاهرة ١٩٦٣ م .
١٤) انتشار الإسلام في غرب إفريقيا ـ د / عبد الله عبد الرازق، ط دار الفكر العربي القاهرة، ٢٠٠٦م.
١٥) انتشار الإسلام د/ محمد فتح الله الزيادي ـ طبعة دار قتيبة ط ثانية ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م .
١٦) أوروبا دراسة في الجغرافية الإقليمية ـ د / محمد خميس الزوكة ـ طبعة دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ـ طبعة عام ١٤٢٢ هـ ـ/٢٠٠٢م .
١٧) انتشار الإسلام وأشهر مساجد المسلمين فى العالم ـ محمد كمال حسين ـ طبعة دار الفكر العربى القاهرة ١٩٧٦ م .
١٨) آسيا في التاريخ الحديث والمعاصر د/ رأفت غنيمي الشيخ ـ ط عين للدراسات والبحوث الإنسانية ـ ط ثانية عام ٢٠٠١ م .
١٩) الأبعاد التاريخية والسياسية للصراع بين المسلمين والهندوس ـ حسن الرشيدي ـ مجلة البيان تصدر عن المنتدى الإسلامي بجدة .
٢٠) الأسس التى تحكم النشاط التجاري فى الإسلام ـ د/ محمد سليمان الأشقر ـ ضمن بحوث فقهية فى قضايا اقتصادية معاصرة ـ طبعة دار النفائس الأردن ـ طبعة أولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م .
٢١) الأعمال التجارية والتاجر ـ د/ حسين النورى ـ طبعة دار الجيل ـ مكتبة عين شمس .
٢٢) الأقليات المسلمة في أوروبا، سيد عبد المجيد بكر، ط رابطة العالم الإسلامي، شوال ١٤٠٥ هـ.
٢٣) الإتقان في علوم القرآن ـ السيوطي، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ،عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م .
٢٤) الإشارة إلى محاسن التجارة ـ للشيخ أبى الفضل جعفر بن على الدمشقى ـ تحقيق / البشرى الشوربجى ـ طبعة مكتبة الكليات الأزهرية ـ الطبعة الأولى .
٢٥) الإشارة إلى فقه البيع والتجارة ـ إبراهيم محمد حسين الشويخ ـ طبعة مكتبة المعتز ـ عمان ـ المملكة الأردنية الهاشمية ـ طبعة أولى ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م .
٢٦) الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا ـ د/ حسن أحمد محمود ـ دار الفكر العربى القاهرة.
٢٧) الإسلام فى أفريقيا ـ عبدالواحد الإمبابى ـ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ السنة الثانية العدد (١٣) ١٥شعبان ١٣٨١ هـ / ٢١يناير ١٩٦٢ م .
٢٨) الإسلام ظهوره وانتشاره فى العالم، أ/ حامد عبدالقادر، ط نهضة مصر، القاهرة١٣٥٧ هـ / ١٩٥٦م .
٢٩) الإسلام فى أرخبيل الملايو ومنهج الدعوة إليه ـ الدكتور رؤوف شلبى ـ طبعة مطبعة السعادة القاهرة ـ عام١٤٠١ / ١٩٨١ م .
٣٠) الإسلام فى بلاد البنجال (بنجلاديش)،د/عمر عبدالعزيز ـ الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م .
٣١) الإسلام والمسلمون فى شرق وجنوب شرق آسيا ـ د/ محمود أحمد قمر ـ طبعة عين للدراسات والبحوث الإنسانية ـ القاهرة ـ طبعة أولى ١٤٢٤ / ٢٠٠٣م .
٣٢) الإسلام فى اندونيسيا ـ محمد ضياء شهاب وعبد الله بن نوح ـ طبعة الدار السعودية للنشر والتوزيع ـ الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م .
٣٣) الإسلام والمسلمون في تنزانيا ـ بقلم: سعيد عبيد الله مجلة البيان ـ تصدر عن المنتدى الإسلامي .
٣٤) الإسلام والمسلمون فى آسيا الوسطى(الاتحاد السوفيتى سابقا) ـ د/ عبدالفتاح مقلد الغنيمى ـ طبعة دار الأمين للنشر والتوزيع القاهرة ـ عام ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .
٣٥) الإسلام والمسلمون في نيجيريا بين الماضي والحاضر، محمد بابنجيدا محمد ـ مجلة البيان .
٣٦) الإسلام في سيراليون ـ أحمد صالح محايري ـ طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ الطبعة: (٦) العدد الثاني ـ رجب ١٣٩٣هـ / أغسطس ١٩٧٣م .
٣٧) الإسلام والاقتصاد ـ أ / أحمد الشرباصى ـ القاهرة ـ د ت .

٣٨) الاقتصاد الإسلامي مبادىء وأهداف وخصائص ـ حسن سرى ـ ط الإسكندرية ١٤١٩ هـ ١٩٩٩م
٣٩) الاقتصاد في الإسلام،أ/ حمزة الجميعى الدموهى، ط دار الأنصار القاهرة أولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م
٤٠) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ـ محمد بن يعقوب الفيروزابادى ـ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ طبعة رابعة ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥م.
٤١) بلاد العرب ـ الحسن الأصفهانى ـ طبعة دار اليمامة الرياض السعودية ـ ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨م.
٤٢) بينات الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزاته ـ الشيخ/عبد المجيد الزنداني ـ نشر دار الإيمان القاهرة
٤٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق ـ زين الدين ابن نجيم الحنفي ـ الناشر دار المعرفة بيروت.
٤٤) تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر ـ معهد البحوث والدراسات العربية بغداد ـ طبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ سنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.
٤٥) تجارة القوافل بين شمال وغرب إفريقيا وأثرها الحضارى،د/السر سيد أحمد العراقى بالكتاب السابق
٤٦) تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة التاسع والعاشر للميلاد د / سعيد عبدالله بن بيه القحطانى ـ طبعة دارة الملك عبدالعز ـ الرياض.
٤٧) تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ـ ابن بطوطة ـ طبعة بولاق القاهرة ١٩٣٤ م
٤٨) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ـ المباركفوري ـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت.
٤٩) تفسير البغوي ـ البغوي ـ طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.
٥٠) تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير ـ طبعة دار الفكر بيروت ـ سنة ١٤٠١هـ .
٥١) تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ـ طبعة دار الشعب ـ القاهرة .
٥٢) تفسير الرازى مفاتيح الغيب ـ الرازي ـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م
٥٣) تفسير السعدى ـ السعدي ـ طبعة مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م
٥٤) تاريخ الدعوة ـ د/جمعة الخولـ ط دار الطباعة المحمدية القاهرة ط أولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م
٥٥) تاريخ الإسلام في الهند ـ د/ عبد المنعم النمر،ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة٢٠٠٢ م .
٥٦) تاريخ الرسل والملوك ـ بن جرير الطبري ـ طبعة دار التراث بيروت ـ ط ثانية ـ ١٣٨٧ هـ .
٥٧) تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم،د/ خديجة النبراوى، ط دار النهار القاهرة١٤١٨ / ١٩٩٨ م .
٥٨) تاريخ مسلمي أسبانيا ـ المستشرق / رينهارت دوزي ـ طبعة دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٣م.
٥٩) تاريخ السودان القديم والحديث ـ نعوم شقير ـ القاهرة ١٩٥٦م.
٦٠) تهذيب اللغة ـ الأزهري ـ الناشر دار إحياء التراث العربي ـ سنة ٢٠٠١م ـ بيروت .
٦١) تهذيب الأسماء واللغات ـ النووي ـ ط دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .
٦٢) التجارة والتجار فى الأندلس ـ د/ أوليفيا ريمي كونستبل ـ تعريب د/ فيصل عبدالله ـ طبعة مكتبة العبيكان الرياض الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م .
٦٣) التجارة فى ضوء القرآن والسنة ـ د/عبدالغنى الراجحى ـ طبعة مطابع شركة الإعلانات الشرقية.
٦٤) التجارة وطرقها فى الجزيرة العربية ـ د/ محمد حسن عبدالكريم العمارى ـ طبعة .
٦٥) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، السخاوي ،ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٤ه/ ١٩٩٣م .
٦٦) التاريخ الإسلامي ـ محمود شاكر ـ ط المكتب الإسلامي بيروت ـ ط الثانية ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .
٦٧) التوقيف على مهمات التعاريف ـ المناوي ـ ط دار الفكر المعاصر بيروت ـ سنة ١٤١٠هـ .
٦٨) التعريفات ـ الجرجاني ـ الناشر دار الكتاب العربي ـ سنة ١٤٠٥ هـ بيروت.
٦٩) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ـ ابن عبد البر النمري ـ تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ـ الناشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب ـ سنة النشر ١٣٨٧هـ .
٧٠) جغرافية العالم القديم ـ د/ جودة حسنين جودة، طبعة منشأة المعارف الإسكندرية، ط أولى١٩٩٨ م .
٧١) جغرافية العالم الإسلامي واقتصاديته ـ د/ محمود أبوالعلا ـ طبعة مكتبة الفلاح الكويت ـ ط(٥) ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
٧٢) جغرافية العالم الإسلامي ـ د/ ياسين محمد مراد ـ مذكرات كلية الدعوة بالقاهرة عام ١٩٩٦ م .
٧٣) جغرافية العالم د / محمد السيد غلاب بالاشتراك ـ طبعة مكتبة الأنجلو المصرية .
٧٤) جهود خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز في دعم الأقليات المسلمة، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مركز البحوث والدراسات الإسلامية،ط أولى، ١٤٢٣ه / ٢٠٠٢م
٧٥) الجامع الصحيح ـ البخاري ـ طبعة دار ابن كثير بيروت، اليمامة ـ سنة النشر ١٤٠٧ / ١٩٨٧م.
٧٦) حضارة العرب ـ المستشرق/ غوستاف لوبون ـ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب. د . ت.
٧٧) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ـ أ / عباس العقاد ـ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩ م .
٧٨) حقائق الإسلام في مواجهة حملات التشكيك ـ د/ زقزوق ـ سلسلة قضايا إسلامية ـ الصادرة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ طبعة رابعة ـ عدد (٧١) ذوالحجة ١٤٢٣ هـ/ فبراير٢٠٠٣م.
٧٩) حاضر العالم الإسلاميّ ـ لوثروب ستودارد ـ ترجمة عجاج نويهض ـ القاهرة ١٣٥٢هـ
٨٠) الحضارة الإسلاميّة في القرن الرابع الهجريّ ـ لآدم متز ـ تعريب محمّد عبد الهادي أبو ريدة ـ دار الكتاب العربيّ ، بيروت ـ الطبعة الخامسة .
٨١) الحضارة العربيّة ـ جاك ريسلر ـ تعريب د.خليل أحمد خليل ، بيروت باريس ، ط أولى ١٩٩٣.
٨٢) الحركة المحمدية في إندونيسيا ودورها في الدعوة إلى الإسلام،ماجستير مخطوطة بكلية أصول الدين بالقاهرة ـ إعداد/ أحمد مخلص طيب الإندونيسي ـ رقم (٣١٥) ، نوقشت عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) .
٨٣) الحلال والحرام فى الإسلام، د/ يوسف القرضاوى، ط مكتبة وهبة ط ٩ عام ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧ م .

٨٤) الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى د / محمد ضيف الله بطانية ـ طبعة دار طارق توزيع دار الكندى الأردن .د . ت .
٨٥) الخراج ـ يحيى بن آدم ـ طبعة المكتبة العلمية ـ مكان النشر لاهور ـ باكستان. ـ سنة ١٩٧٤.
٨٦) دخول الإسلام إلى القارة الهندية ـ محمود السيد الدغيم ، مجلة البيان تصدر عن المنتدى الإسلامي .
٨٧) دراسة في السيرة ـ د/ عماد الدين خليل ـ الناشر: دار النفائس – بيروت الطبعة: الثانية ـ ١٤٢٥ هـ .
٨٨) دراسات في حضارة الإسلام ـ هاملتون جب ـ ترجمة إحسان عبّاس ، بيروت- دون تاريخ .
٨٩) دفاع عن الإسلام،لورا فيشيا فاغليري ـ ت منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت،ط (٥) ١٩٨١ .
٩٠) دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ـ د / عصمت عبد اللطيف دندش ـ طبعة دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
٩١) دائرة المعارف الإسلامية ـ مجموعة من المستشرقين ـ مادة سوق ـ ترجمة / أحمد الشناوي ، إبراهيم خورشيد د/ عبد الحميد يونس ـ ط أولى العربية عام ١٩٣٣م ـ طبعة بيروت ـ دار المعرفة.
٩٢) الدعوة إلى الإسلام ـ الإمام / محمد أبو زهرة ـ طبعة دار الفكر العربى ـ القاهرة ١٩٩٢ م .
٩٣) الدعوة إلى الإسلام ـ المستشرق / توماس أرنولد ـ ترجمه د / حسن إبراهيم حسن ، و د/ عبدالمجيد عابدين ، إسماعيل النحراوى طبعة . مكتبة النهضة المصرية ـ ط ثالثة ١٩٧٠م.
٩٤) الدعوة الإسلامية فى ماليزيا ظهورها وانتشارها ـ ا.. وان حسين عزمى ـ د / هارون دين ـ الناشر الحاج جعفر صديق الحاج سلام ـ الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٥ م .
٩٥) الدولة الأموية والمعارضة ـ المستشرق / فان فلوتن ـ ترجمة د/ إبراهيم بيضون طبعة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ببيروت ـ الطبعة الثانية ـ عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٩٦) الزواجر عن اقتراف الكبائر ـ ابن حجرالهيثمي ـ ط المكتبة العصرية بيروت ـ ١٤٢٠/١٩٩٩م .
٩٧) سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام ـ الصنعاني ـ الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت ـ سنة النشر ١٣٧٩هـ .
٩٨) سنن ابن ماجه ـ أبوعبدالله القزويني ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ الناشر دار الفكر بيروت.
٩٩) سنن الترمذي ـ أبوعيسى الترمذي ـ تحقيق أحمد شاكر ـ ط دار إحياء التراث العربي بيروت .
١٠٠) سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ علي محمد الصلابي ـ ط الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م .
١٠١) سير أعلام النبلاء ـ الذهبي ـ الناشر: دار الحديث- القاهرة الطبعة: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م .
١٠٢) السيرة النبوية لابن هشام ـ عبد الملك بن هشام ـ طبعة دار الجيل ـ بيروت طبعة ١٤١١هـ .
١٠٣) السيرة النبوية ـ أبوالحسن الندوي ـ نشر دار ابن كثير – دمشق الطبعة: الثانية عشرة ـ ١٤٢٥ هـ .
١٠٤) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ـ الزرقاني، ط دار الكتب العلمية بيروت ـ سنة ١٤١١هـ.
١٠٥) صحيح مسلم بشرح النووي ـ النووي ـ ط دار إحياء التراث العربي بيروت ـ سنة ١٣٩٢هـ .
١٠٦) صناعة الحياة ـ محمد أحمد الراشد ـ ط دار المجتمع السعودية ـ ط (٢) ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
١٠٧) ضحى الإسلام ـ أحمد أمين ـ طبعة دار الكتاب العربيّ بيروت ـ ط العاشرة ـ دون تاريخ .
١٠٨) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ـ طبعة دار صادر ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ عام ١٩٦٨ م .
١٠٩) عون المعبود شرح أبي داود ـ شمس الحق العظيم آبادي، ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٥م .
١١٠) عوامل ضعف الدعوة الإسلامية في أندونيسيا ـ الباحث / مفتاح الجنة أزهري ـ رسالة ماجستير مخطوطة بكلية أصول الدين والدعوة بالقاهرة ـ رقم (٣٠١) نوقشت عام ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
١١١) العدالة الاجتماعية ـ أ / سيد قطب ـ طبعة دار الشروق ـ ط أولي ١٩٨٥ م .
١١٢) العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية دراسة مقارنة ـ د / سعيد عبدالله حارب المهيرى ـ طبعة مؤسسة الرسالة بيروت ـ طبعة أولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.
١١٣) غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية ـ بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري ـ الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ـ الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م .
١١٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ ابن حجر العسقلاني ـ الناشر دار المعرفة بيروت .
١١٥) فتوح البلدان ـ أحمد بن يحيى البلاذري ـ طبعة دار ومكتبة الهلال بيروت ـ عام ١٩٨٨ م .
١١٦) فجر الإسلام ـ أحمد أمين ـ طبعة دار الكتاب العربيّ، بيروت ـ الطبعة الحاديّة عشرة ١٩٧٩ .
١١٧) فضائل الصحابة ـ أحمد بن حنبل ،ط مؤسسة الرسالة بيروت ـ سنة النشر ١٤٠٣ / ١٩٨٣م .
١١٨) فقه السيرة ـ الشيخ / محمد الغزالي ـ طبعة دار القلم ـ دمشق ـ الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ.
١١٩) فقهُ التاجر المسلمِ وآدابُه ـ د/ حسام الدين بن موسى عفانه ـ توزيع المكتبة العلمية ودار الطيب للطباعة والنشر القدس ـ الطبعة الأولى ـ سنة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م
١٢٠) فيض القدير شرح الجامع الصغير ـ المناوي ـ ط المكتبة التجارية الكبرى مصر ـ ١٣٥٦هـ .
١٢١) قبسات من الثقافة الإسلامية ـ د/ محمود رسلان ـ طبعة أولى ـ عام ١٤١٥/١٩٩٤م.
١٢٢) الكسب الطيب أبحاث فى وظيفة المال فى الإسلام ـ الشيخ / أحمد أحمد جلباية ـ طبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ـ ط أولى ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.
١٢٣) لسان العرب ـ ابن منظور ـ الناشر : دار صادر – بيروت ـ الطبعة الأولى.
١٢٤) مبادىء التجارة ـ عبدالحميد محمود السنباطى ، ومجلى روفائيل عطية ـ طبعة مطابع الأخبار ـ الجهاز المركزى للكتب الجامعية والوسائل التعليمية .
١٢٥) معجم البلدان ـ ياقوت الحموى ـ طبعة دار صادر بيروت ـ١٣٧٦هـ/١٩٦٠ م. الثانية، ١٩٩٥
١٢٦) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ـ الخطيب الشربيني ـ طبعة دار الفكر ـ بيروت .
١٢٧) مسند الفردوس بمأثور الخطيب للهمذانى ـ طبعة دار الكتب العلمية بيروت ـ طبعة أولى ١٩٨٦م

١٢٨) مسلمو أوغندا ومشكلاتهم التربوية ـ د مصطفى رجب ـ بحث مجلة منبر الإسلام ـ ص ١٠٢ السنة (٦٧) العدد (٦) جماد الآخرة ١٤٢٩ هـ / يونيه ٢٠٠٨ م .
١٢٩) مقدمة ابن خلدون ـ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ـ طبعة دار القلم ـ سنة ١٩٨٤م ـ بيروت.
١٣٠) موسوعة التاريخ الإسلامي ـ د / أحمد شلبي ـ طبعة مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٩٠ م .
١٣١) مائة سؤال عن الإسلام ـ أ/ محمد الغزالي ـ ط. دار ثابت ـ ط (٥) ـ عام ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
١٣٢) ماهية الحروب الصليبية د/ قاسم عبده قاسم، س عالم المعرفة بالكويت،عدد (١٤٩) شوال ١٤١٠هـ
١٣٣) المبادىء العامة لأخلاقيات المال ـ السفير / محمد أمين جبر ـ طبعة مكتبة الشروق الدولية القاهرة ـ طبعة أولى ١٤٣٢٣هـ /٢٠٠٣ م.
١٣٤) المجتمعات الإسلامية ماضيها وحاضرها، د/ إبراهيم أحمد العدوى، طبعة عام ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
١٣٥) المجموع ـ الإمام / النووي ـ طبعة دار الفكر بيروت ـ سنة ١٩٩٧م .
١٣٦) المدخل إلى تاريخ الإسلام بالشرق الأقصى ـ السيد علوى الحداد ـ دار الفكر الحديث ١٩٧١م .
١٣٧) المد الإسلامي في أفريقيا ـ عباس محمد جلال ـ طبعة المختار الإسلامي ـ القاهرة، ١٣٩٨هـ .
١٣٨) المعجم الجغرافي لدول العالم ـ تأليف / هذاع بن عيد الشمري طبعة عام ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
١٣٩) المعجم الوسيط ـ مجمع اللغة العربية ـ الناشر دار الدعوة القاهرة .
١٤٠) المغني في فقه الإمام أحمد ـ ابن قدامة المقدسي ـ طبعة دار الفكر بيروت ـ سنة ١٤٠٥.
١٤١) المسلمون فى العالم اليوم ـ عبدالرحمن زكى ـ طبعة مكتبة النهضة ـ القاهرة ـ سنة ١٩٦٠ م .
١٤٢) المسلمون فى أوروبا التاريخ والأقليات، مصطفى كسبة ،هدية مجلة الأزهر ذى الحجة ١٤١٧ هـ .
١٤٣) المسلمون في أوغندا تاريخ وتحديات ـ زياد صالح لوبانغا مجلة البيان تصدر عن المنتدى الإسلامي
١٤٤) المسلمون في غينيا ـ د/ محمد عبد القادر أحمد ـ طبعة أولى سنة ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م القاهرة .
١٤٥) المسلمون في أراكان (بورما) ـ أحمد موفق زيدان ـ مجلة البيان ـ تصدر عن المنتدى الإسلامي .
١٤٦) المسلمون في بلغاريا بين الاستئصال والبقاء د/عبد الله بن ابراهيم مجلة البيان المنتدى الإسلامي .
١٤٧) المسلمون في يوغسلافيا ـ محمد آل الشيخ ـ مجلة البيان ـ تصدر عن المنتدى الإسلامي بجدة .
١٤٨) المستدرك على الصحيحين ـ الحاكم ـ ط دار الكتب العلمية بيروت ـ سنة ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م .
١٤٩) المستشرقون ـ العقيقي ـ طبعة دار المعارف ـ طبعة رابعة القاهرة.
١٥٠) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ـ الفيومي ـ طبعة ونشر المكتبة العلمية بيروت.
١٥١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ د/ جواد علي، طبعة دار الساقي ط (٤)١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
١٥٢) الموسوعة الفقهية الكويتية ، ط (٢) ـ ط وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت، عام١٤٢٧ هـ
١٥٣) الموسوعة العربية الميسرة ـ محمد شفيق غربال ـ طبعة دار إحياء التراث الغربي ـ عام ١٩٦٥م
١٥٤) نبذة عن الصين ـ سعيد نجونمن ـ طبعة مطبعة المعارف بغداد ـ عام ١٩٤٦ م.
١٥٥) النشاط التنصيرى فى بنجلاديش أساليبه ومواجهته ـ د / ماجد عبد السلام ، حولية كلية الدعوة بالقاهرة ـ العدد الخامس عشر .
١٥٦) النظام الاقتصادي في الإسلام ـ د/أحمد غلوش ـ مذكرات كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة.
١٥٧) هولندا والعالم العربي المغرب والمشرق ـ د / الكسندرو د ه خروت ـ بحث بكتاب هولندا والعالم العربي منذ القرون الوسطى حتى القرن العشرين ـ تعريب / أسعد جابر ـ طبعة القاهرة .

المجلات والدوريات والجرائد ومواقع النت :

١٥٨) مجلة البحوث الإسلامية ـ مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الموضوع أمكنة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .
١٥٩) مجلة المجتمع الكويتية ـ العدد رقم ٣٩٧ السنة التاسعة .
١٦٠) مجلة المجتمع الكويتية ـ العدد رقم ٤٠٠ السنة التاسعة .
١٦١) مجلة المجتمع، رقم العدد (١٥٧٠)، تاريخ العدد ٢٠٠٣/٩/٢٧م.
١٦٢) مجلة الوعي الاسلامى الكويت السنة الرابعة عشرة العدد (١٦٤)، شعبان ١٣٩٨ ه/ يوليو ١٩٧٨م
١٦٣) مجلة : قراءات إفريقية: العدد الأول، رمضان ١٤٢٥هـ/ أكتوبر ٢٠٠٤م. الرابط:http://www.albayan - magazine.com/qiraat/aboutus.htm .
١٦٤) جريدة الفتح ـ عدد رمضان السنة ١٣٥١ هـ.
١٦٥) الموسوعة الحرة ويكيبيديا الزيارة بتاريخ ٢٣ أغسطس ٢٠١١م . http//ar.wikipedia.org
١٦٦) الدين في أفريقيا عبر الانترنت"، موقع جامعة ستانفورد ـ الزيارة نوفمبر ٢٠١٠ م.
١٦٧) موقع إسلام أون لاين على الشبكة العالمية موضوع : (الهولنديون أمة تجارة واستعمار) .
١٦٨) وصول الإسلام إلى أوروبا ظروفه وطبيعته وأثره فى عصر النهضة الأوروبية ـ الدكتور/ أحمد شلبى أستاذ التاريخ الإسلامى كلية دار العلوم جامعة القاهرة ـ موضوع الإسلام فى أوروبا موقع : http://www.elazhar.com/conf_au/9/10.asp . ٥ / ٢٠١١م
١٦٩) موقع :مركز الشارقة ميسان للحوار العالمي والتنمية الثقافية ،و موقع إسلام أون لاين على الشبكة العالمية. و(www.sharjahmisan.com/.../culture_arts.html . بتاريخ ٢٥ / ٦ / ٢٠٠٩م.
١٧٠) الدراسات العربية في هولاندا حتى بداية القرن العشرين ـ المستشرق / بيتر شورد فان كوننجسفيلد ـ موقع :مركز الشارقة – ميسان للحوار العالمي والتنمية الثقافية الزيارة (٢٧ / ٦ / ٢٠٠٩ م) .

* * *

الفهرس

المقدمة ١
أهمية الموضوع ٢
أسباب اختيار الموضوع ومنهجه ٣
الدراسات السابقة ٣
تقسيم البحث : خطة البحث ٤
المبحث الأول : مفهوم الحركة التجارية لغة واصطلاحاً ٥
المطلب الأول : المفهوم اللغوي للحركة التجارية ٥
المطلب الثاني : المفهوم الاصطلاحي للحركة التجارية ٥
المبحث الثاني : مكانة الحركة التجارية وأهميتها في الإسلام ٨
المطلب الأول : أهمية الحركة التجارية ومكانتها في ضوء القرآن الكريم ٨
المطلب الثاني : أهمية الحركة التجارية ومكانتها في ضوء والسنة النبوية ١٠
المبحث الثالث : ضوابط الحركة التجارية في الإسلام ١٢
المطلب الأول : ضوابط الحركة التجارية المتعلقة بالتاجر ١٢
١) النية الصالحة في الوصول إلى الرزق الحلال وإعفاف النفس والأهل عن الحرام ١٢
٢) التبكير في طلب الرزق ١٢
٣) من آداب التاجر الخلق الحسن ١٢
٤) من آداب التاجر وفاء الكيل والميزان ١٣
٥) من آداب التاجر الوفاء بالوعد ١٣
٦) من آداب التاجر الإقالة ١٣
٧) عدم الحلف في البيع والشراء لترويج السلعة ١٤
٨) وجوب تعلُم أحكام البيع والشراء ١٥
٩) الموازنة بين أمور الدنيا وأمور الآخرة ١٥
المطلب الثاني : ضوابط الحركة التجارية المتعلقة بالتجارة ١٧
١) الحركة التجارية قائمة على التراضي ١٧
٢) الحركة التجارية قائمة عل الصدق والأمانة فى التعامل ١٧
٣) الحركة التجارية قائمة على العدل والإحسان مع جميع الناس ١٧
٤) الحركة التجارية قائمة على تحريم الربا ١٨
٥) الحركة التجارية قائمة على تحريم كل معاملة فيها غش وخداع ١٨
٦) الحركة التجارية قائمة على تحريم الاتجار بالمحرمات ١٨
٧) الحركة التجارية قائمة على حرمة المتاجرة بالمواد المسروقة والمغصوبة ١٨
٨) الحركة التجارية قائمة على تحريم المعاملات التجارية التي فيها غرر ١٨
٩) الحركة التجارية قائمة على السماحة في البيع والشراء وإنظار المعسر ١٩
١٠) الحركة التجارية قائمة على تحريم الغش ١٩
١١) الحركة التجارية قائمة على تحريم النجش ٢٠
المبحث الرابع : آثر الحركة التجارية في نشر الدعوة الإسلامية ٢١
المطلب الأول : أثر الحركة التجارية في نشر الدعوة الإسلامية داخلياً ٢١
١) دور الحركة التجارية فى الإعلام بدين الإسلام ٢١
٢) الرحلات التجارية ودورها فى التعريف بالإسلام ٢١
٣) الأسواق التجارية فى الجزيرة العربية ودورها في التعريف بالإسلام ٢٢
٤) حركة الأسواق التجارية فى الجزيرة العربية مداً وجزراً وأثرها الدعوى ٢٢

٥) دور الأسواق الدعوى والديني فى العصر النبوى ٢٥
٦) عمل النبى ـ ﷺ ـ بالتجارة وأثره الدعوى ٢٦
٧) علاقة الحركة التجارية بمصدر الدعوة الإسلامية الأول ٢٨
٨) الأثر الدعوى للحركة التجارية فى عهد الراشدين ٢٩
أ- توسيع دائرة نشر الإسلام عن طريق تشجيع الحركة التجارية ٢٩
ب- تسهيل مهمة الفتوحات الإسلامية..... ٣٠
ت- تأمين الدعوة الإسلامية والعمل على نشرها ٣٠
ث- إنشاء المشاريع الإسلامية التى تخدم المسلمين ٣٠
المطلب الثانى : أثر الحركة التجارية في نشر الدعوة الإسلامية خارجياً (قارة إفريقيا نموذجا) . ٣١
أولاً : التعريف بالقارة الأفريقية..... ٣١
ثانياً : أدوار تطور الإسلام فى إفريقيا ٣٢
ثالثاً : محاور انتشار الإسلام فى إفريقيا..... ٣٢
رابعاً : تاريخ انتشار الإسلام في القارة الأفريقية ٣٣
خامساً : دور الحركة التجارية في نشر الدعوة الإسلامية فى قارة إفريقيا نماذج وأنماط ٣٤
أولاً : دور الحركة التجارية في نشر الإسلام فى غرب إفريقيا ٣٤
١) دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى غانا..... ٣٥
٢) دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى غينيا لاستوائية ٣٦
٣) دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى داهومى (بنين حالياً) ٣٧
٤) دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى نيجيريا ٣٧
٥) دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى سيراليون ٣٩
٦) دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى مالي ٤٠
٧) دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى إمبراطورية السونغاي ٤١
ثانياً : دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى شرق إفريقيا ٤٣
١) دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى أوغندا ٤٤
٢) دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى تنزانيا ٤٦
٣) دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى مالاوى (نياسلاندا) ٤٧
ثالثاً : دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام في أواسط إفريقيا..... ٤٨
١) دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى بورندى ٤٨
٢) دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى رواندا..... ٤٩
٣) دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى الكونغو (زائير حالياً)..... ٥٠
رابعاً : دور الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى شمال إفريقيا (السودان نموذجاً) ٥١
أولاً : لمحة تاريخية : ٥١
ثانياً : دور مصر في تكوين المجتمعات الإسلامية الأفريقية ٥٢
ثالثاً : دور التجار المسلمين فى نشر الإسلام فى السودان ٥٢
المطلب الثالث : عوامل وأسباب وأساليب انتشار الدعوة الإسلامية فى القارة الإفريقية ٥٥
أولاً: الطرق الصوفية ٥٥
ثانياً : التجَّار المتجوّلون..... ٥٥
ثالثاً : الدُّعاة والمعلِّمون ٥٥
المطلب الرابع : شهادات علمية منصفة لبيان آثار الحركة التجارية فى نشر الإسلام فى إفريقيا ٥٧
الخاتمة..... ٦٠
أولاً : النتائج :..... ٦٠
ثانياً : التوصيات : ٦١
المصادر والمراجع ٦٣
الفهرس..... ٦٧